

عدد

أ/د: سيد أحمد على عثمان العقيد

السلطان الشهيد على ديـنار بين المجاز وليبيا وتركيا القاومة الوطنية الاولى (وثائق وعقائق) (1898-1916م)

السلطان الشهيد على ديار بين الحجاز وليبيا وتركيا

المقلومة الوطنية الاولى (وثائق ومقائق) (1898-1916م)

تأليف

أ.د . سيد أحمد على عثمان العقيد

أستاذ مشارك في التاريخ الحديث والمعاصر كلية الآداب عميد مكتبات جامعة النيلين

الطبعة الأولى

2008



الدار العربية للنشر والتوزيع

حقوق النشر

اسم الكتاب: السلطان الشهيد عملى ديسنار

بين الحجاز وليسبيا وتركسيا

المقاومة الوطنية الاولى (وثائق وحقائق) (1898-1916م)

اسم المؤلف: أ.د . سيد أحمد على عثمان العقيد

Y . . Y / Y Y 7 . £

رقم الإيداع:

977-258-294-5 I. S. B. N.

الطبعية الأولى: 2008



الدار العربية للنشر والتوزيع

حقوق النشر محفوظة للدار العربية للنشر والتـوزيع 32 شارع عباس العقاد – مدينة نصر جمهورية مصر العربية – القاهرة

تليفون: 22753335

فاكس: 22753388

لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب، أو اختـزان مادتـه بطريقـة الاسـترجاع أو نقلة على أى وجه، أو بأى طريقة، سـواء أكانـت إليكترونيـة، أو ميكانيكيـة، أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو بخلاف ذلك إلا بموافقة الناشـر عــلى هــذا كــتابة ومقدماً.

مقدمة الناشر

يتزايد الاهتمام باللغة العربية في بلادنا يوماً بعد يوم. ولا شك أنه في الغد القريب ستستعيد اللغة العربية هيبتها التي طالما امتهنت وأذلت من أبنائها وغير أبنائها. ولا ريب في أن امتهان لغة أية أمة من الأمم هو إذلال ثقافي فكرى للأمة نفسها، الأمر الذي يتطلب تضافر جهود أبناء الأمة رجالاً ونساءً طلاباً وطالبات، علماء ومثقفين مفكرين وسياسيين في سبيل جعل لغة العروبة تحتل مكانتها اللائقة التي اعترف المجتمع الدولي بها لغة عمل في منظمة الأمم المتحدة ومؤسساتها في أنحاء العالم لأنها لغة أمة ذات حضارة عريقة استوعبت – فبما مضى – علوم الأمم الأخرى وصهرتها في بوتقتها اللغوية والفكرية، فكانت لغة العلوم والأدب، ولغة الفكر والكتابة والمخاطبة.

إن الفضل في التقدم العلمي الذي تنعم به أوروبا اليوم يرجع في واقعه إلى الصحوة العلمية في الترجمة التي عاشتها في القرون الوسطى. فقد كانت المرجع الوحيد للعلوم الطبية والعلمية والاجتماعية هو الكتب المترجمة عن اللغة العربية لابن سينا وابن الهيثم والغارابي وابن خلدون وغيرهم من عمالقة العرب، ولم ينكر الأوروبيون ذلك، بل يسجل تاريخهم ما ترجموه عن حضارة الفراعنة والعرب والإغريق، وهذا يشهد بأن اللغة العربية كانت مطواعة للعلوم والتدريس والتأليف، وأنها قادرة على التعبير عن متطلبات الحياة وما يستجد من علوم، وأن غيرها ليس بأدق منها، ولا أقدر على التعبير.

ولكن ما أصاب الأمة من مصائب وجمود بدأ مع نهاية عصر الوجود التركى، ثم الاستعمار البريطانى والفرنسى مما عاق اللغة عن النمو والتطور، وأبعدها عن العلم والحضارة ولكن عندما أحس العرب بأن حياتهم لابد من أن تتغير، وأن جمودهم لابد أن تدب فيه الحياة، اندفع الرواد من اللغويين والأدباء والعلماء نحو إنماء اللغة وتطويرها حتى أن مدرسة قصر العينى فى القاهرة، والجامعة الأمريكية فى بيروت درستا الطب بالعربية أول إنشائهما. ولو تصفحنا الكتب التى ألفت أو تُرجمت يوم كان الطب يدرس فيها باللغة العربية لوجدناها كتباً ممتازة لا تقل جودة عن مثيلاتها من كتب الغرب فى ذلك الحين، سواء فى الطبع، أو حسن التعبير، أو براعة الإيضاح، ولكن هذين المهدين تنكرا للغة العربية فيما بعد، وسادت لغة المستعمر. وفُرضت على أبناء الأمة فرضاً، إذ رأى المستعمر أن فى خنق اللغة العربية مجالاً لعرقلة الأمة العربية.

وبالرغم من المقاومة العنيفة التى قابلها، إلا أنه كان بين المواطنين صنائع سبقوا الأجنبى فيما يتطلع اليه، فتفننوا فى أساليب التملق له اكتساباً لمرضاته، ورجال تأثروا بحملات المستعمر الظالمة، يشككون فى قدرة اللغة على استيعاب الحضارة الجديدة، وغاب عنهم ما قاله الحاكم الفرنسى لجيشه الزاحف إلى الجزائر: "علموا لفتنا وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا حكمت لفتنا الجزائر، فقد حكمناها حقيقة".

فهل لى أن أوجه نداءً إلى جميع حكومات الدول العربية بأن تبادر – فى أسرع وقت ممكن – إلى اتخاذ التدابير، والوسائل الكفيلة باستعمال اللغة العربية لغة تدريس فى جميع مراحل التعليم العام والمهنى والجامعى، مع العناية الكافية باللغات الأجنبية فى مختلف مراحل التعليم لتكون وسيلة الإطلاع على تطور العلم والثقافة والانفتاح على العالم. وكلنا ثقة فى إيمان العلماء والأساتذة بالتعريب، نظراً لأن استعمال اللغة القومية فى التدريس ييسر على الطالب سرعة الفهم دون عائق لغوى وبذلك تزداد حصيلته الدراسية، ويرتفع بمستواه العلمى، وذلك يعتبر تأصيلاً للفكر العلمى فى البلاد، وتمكيناً للغة القومية من الازدهار والقيام بدورها فى التعبير عن حاجات المجتمع، وألفاظ ومصطلحات الحضارة والعلوم.

ولا يغيب عن حكوماتنا العربية أن حركة التعريب تسير متباطئة، أو تكاد تتوقف بل تحارب أحياناً ممن يشغلون بعض الوظائف القيادية في سلك التعليم والجامعات ممن ترك الاستعمار في نفوسهم عقُداً وأمراضاً، رغم أنهم يعلمون أن جامعات إسرائيل قد ترجمت العلوم التطبيقية الحديثة إلى اللغة العبرية وعدد من يتخاطب بها في العالم لا يزيد عن خمسة عشر مليون يهوديًا، كما أنه من خلال زياراتي لبعض الدول واطلاعي على مناهجها الدراسية وجدت كل أمة من الأمم تدرس بلغتها القومية مختلف فروع العلوم والآدب والتقنية كاليابان، وإسبانيا، وألمانيا، ودول أمريكا اللاتينية، ولم تشك أمة من هذه الأمم في قدرة لغتها على تغطية العلوم الحديثة، فهل أمة العرب أقل شأناً من غيرها ؟!.

وأخيراً .. وتماشياً مع أهداف الدار العربية للنشر والتوزيع ، وتحقيقاً لأغراضها فى تدعيم الإنتاج العلمى باللغة العربية ، وتشجيع العلماء والباحثين فى إعادة مناهج التفكير العلمى وطرائقة إلى رحاب لغتنا الشريفة تقوم الدار بنشر هذا الكتاب المتميز الذى يعتبر واحداً من ضمن ما نشرته – وستقوم بنشرة – الدار من الكتب العربية التى قام بتأليفها أو ترجمتها نخبة ممتازة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية المختلفة.

وبهذا ... ننفذ عهداً قطعناه على المضى قدما فيما أردناه من خدمة لغة الوحى وفيما أراده الله تعالى لنا من جهاد فيها.

وقد صدق الله العظيم حينما قال في كتابة الكريم ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ وَلَا اللَّهِ عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (106) ﴾ " سورة التوبة الآية "

محمد أحمد دربساله الدار العربية للنشر والتوزيع

لصفحة	الموضوع
	المحـــتويات
11	السيرة الذاتية للمؤلف
15	مقدمة
	الفصــل الأول
21	علي دينار – المولد – النشأة العزم على العودة إلى السلطنة
21	أ- المولد - النشأة
23	ب- السلطان الشهيد على دينار والوصول إلى السلطة
24	ج- السلطان الشهيد على دينار وابو الخيرات
25	د- المهدية والسلطان الشهيد على دينار
31	هـ- السلطان الشهيد على دينار تحت عين الخليفة
34	و- السلطان على دينار والهيمنة التامة على دارفور
36	ز- السلطان الشهيد علي دينار والاحتلال
41	ح- إسلامية السلطنة والوجود العربي بدارفور والحفاظ على الهوية
44	- مهددات الأمن ومحددات السياسة الخارجية السودانية الحالية
47	ط- السلطنة الدارفوراوية بين الاستقلال والتبعية
49	 جذور مشكلة دارفور الحالية وامكانية حلها
50	- السلطان الشهيد على دينار والاعتداد بالذات
	الفصــل الثانــي
	العسلاقات الدارفسسوراوية الليسبية في الربع الأول من القبرن العشرين
55	(p1916-1898)
55	المبحث الاول: السنوسية والحركة الوطنية في دارفور - تعريف بالسنوسية
	المبحث الثاتي: السلطان على دينار بين المنفذ التجاري والاستقلال وتأصيل
59	عروبة وزنجية وإسلامية دارفور
68	المبحث الثالث: النزعة التبشيرية والإحياتية للحركة الوطنية الليبية السنوسية
	المبحث الرابع: الأطماع الدعوية السنوسية في وداي (تشاد الحالية) وحساجتها
74	إلى ملجأ
	المبحث الخامس: دخول تركيا في الحرب الأوروبية الأولى وحمية الشهيد
83	الإسلامية
	5

صفحة	الموضوع
	الفصـــل الثـالث
97	طبيعــة التحــالف الدارفــوري الســنوسي
	الفصــل الرابـع
109	الحلف السنوسي العثماني الدارفوري الألماني
109	المبحث الأول: الضعف المادي للطرفين وفشل تركيا والماتيا في الدعم
111	المبحث الثاتي: هل استخدم السلطان على دينار السحر والأوهام لبلوغ غايته
	المبحث الثالث: السنوسية تلجأ إلى الغيبيات في مساندة السلطان الشهيد بدلاً عن
112	الإمداد المادي
114	المبحث الرابع: السلطان الشهيد على دينار والجبهة الوطنية المحلية
	المبحث الخامس: إجراءات الحكومة الثنائية البريطانية ضد السلطان الشهيد علي
117	دينار
118	المبحث السادس: تضعضع موقف السنوسية أمام الهجمات الفرنسية الايطالية
	الفصــل الخــامس
125	علاقات السلطان الشهيد علي دينار بوداي رتشاد الحالية)
125	المبحث الأول: (تشاد) وداي تحت السلطنة الإسلامية والاحتلال الفرنسي
136	المبحث الثاتي: التحرك الفرنسي لاحتلل وداي (تشاد الحالية)
137	- دارفور والأمن والاستقرار التشادي
143	المبحث الثالث: الفرنسيون يستولون على العاصمة التشادية أبشي
146	المبحث الرابع: بدء الاعتداءات الفرنسية على حدود دارفور
148	المبحث الخامس: هزيمة الفرنسيين ومقتل قائدهم في بئر الطويل
149	المبحث السادس: الفرنسيون يخططون للانتقام من سلطان دارفور
-	المبحث السابع: السلطان الشهيد على دينار يعلن الجهاد في وجه الغزو الفرنسي
155	لبلاده
	المبحث الثامن: تفاقم مشكلة الحدود بين الوجود المحتل الفرنسي في وداي سلطنة
176	دارفور والتفكير في عقد مؤتمر دولي لحلها
178	- السيد على الميرغني وجون قرنق
179	- السلطان الشهيد علي دينار ومشكلة الحدود مع تشاد
182	- دارفور البديل لدول الخليج في الإستراتيجية الأمريكية

____ 9 ____

الصفحة	الموضوع
183	- مشكلة الحدود وبوادر الحرب الأوروبية الأولى
191	- فقاعة تدويل قضية دارفور والمصالح الأمريكية
	الفصـــل الســادس
197	العسلاقات بين دارفسور والحجساز
	المبحث الاول: مساهمة دارفور الاقتصادية ومسؤوليتها التاريخية ازاء الحرمين
198	الشريفين
	المبحث الثاني: السلطان الشهيد على دينار ودوره في السقاية والإطعام في
200	الحرمين الشريفين
205	المبحث الثالث: السلطان الشهيد على دينار ومحاربة البغاء في السودان
	المبحث الرابع: المحمل الدارفوري ودوره في إحسياء النشاط الاقتصادي بين
207	دارفور والحجاز
209	المبحث الخامس: المحمل الشريف الدارفوري والدور العسكري
	المبحث السادس: تردي الأوضاع الأمنية والاقتصادية بالحجاز وإغاثة دارفور
209	السنوية
211	المبحث السابع: السلطان وتعدد مصادر استيراد السلاح لتقوية ترسانته
213	المبحث الثامن: المحمل الشريف الدارفوري ودوره الدبلوماسي
215	المبحث التاسع: السلطان الشهيد على دينار ودوره الإقليمي
	المبحث العاشر: المحمل الشريف الدارفوري ودوره الاقتصادي والثقافي
216	والاجتماعي في الحجاز
221	المبحث الحادي عشر: المحمل الدارفوري يهدد المشروع البريطاتي في المنطقة
	المبحث الثاتي عشر: المحمل الدارفوري وتنسيق المواقف لخوض الحرب
223	لصالح المشروع الإسلامي في المنطقة
226	المبحث الثالث عشر: الوظائف الحيوية للمحمل الشريف الدارفوري
	المبحث الرابع عشر: السلطان الشهيد على دينار ومحاولة التأثير على السلطة
227	الزمنية بالحجاز
	الفصيل السابيع
233	العسلاقات بيسن دارفسور والدولسة العسشمانية ومصسر
236	المبحث الأول: العلاقة الدارفورية التركية (العثمانية)
	, , , , , , , , , , , , , , , , , , , ,

لصفحة	الموضوع
239	المبحث الثاتي: السلطان الشهيد على دينار وعلاقته بالدولة العثماتية
	المبحث الثالث: السلطان الشهيد على دينار والدعوة الدائمة للسلطان العثماتي
240	على المنبر كل جمعة
242	المبحث الرابع: اهتمام الدولة العثماتية بالسلطان الشهيد على دينار
	المبحث الخامس: السلطان الشهيد على دينار وإعلان الخروج على الحكم
244	البريطاتي
	المبحث السادس: السلطان الشهديد على دينار في قلب الأحداث في الحرب
246	الأوروبية الأولى
247	المبحث السابع: السلطان الشهيد على دينار وإعلان الجهاد على الذين يلونه
	المبحث الثامن: السلطان الشهدد على دينار وخيبة الأمل في القيادات الوطنية
249	والزعامات الطائفية
	المبحث التاسع: السلطان الشهيد على دينار ومراسلات الدولة العثماتية في فترة
251	الحرب الأوروبية الأولى
	المبحث العاشر: مبررات خروج السلطان الشهيد على دينار وقيادته المقاومة
252	الوطنية الأولى
254	المبحث الحادي عشر: بريطاتيا وتشويه سمعة السلطان الشهيد على دينار
	المبحث الثاتي عشر: نجاح السلطان الشهيد على دينار في إقتاع عدد من القيادات
257	العسكرية المصرية في الانضمام إليه
258	المبحث الثالث عشر: السلطان الشهيد على دينار وتهمة العنصرية
267	- المصادر والمراجع
273	- الملاحق
_	

﴿ السيرة الذاتية ﴿

الاسم: سيد أحمد علي عثمان العقيد

المراحل الدراسية: حفظ القرءان العظيم 1964م.

- معهد أم درمان العلمي 1964م.
- مدرسة مروي الثانوية 1969م-1974م.
- جامعة أم درمان الاسلامية 1973-1975م.
- جامعة الرياض 1978-1980م (بكالوريوس في الآداب قسم التاريخ بتقدير ممتاز).
- جامعة الملك سعود (الرياض سابقا) (ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر) سياسة الفور الخارجية 1898م 1916م (دراسة تاريخية وثائقية).
- -جامعة أمدرمان الاسلامية 1989م 1991م. (دكتوراة فسي التساريخ الحسديث بتقدير ممتاز 1991م).
- موضوع الرسسالة: العلاقات المهدوية الحبشية 1884م 1898م (دراسة تاريخية وثائقية).
- رئيس قسم التاريخ والحضارة الاسلامية كلية البنات / جامعة ام درمان الاسلامية 1991م 1992م.
- استاذ الثقافة الاسلامية بكل من جامعة السودان / كلية التنمية البشرية قسم المحاسبة 1996 1999م. وكلية شرق النيل الجامعية 1993م 1996م.

- عميد برنامج الاقتصاد بكلية شرق النيل الجامعية 1996م
 - وكيل عمادة الطلاب 1997م / جامعة النيلين .
 - عميد المكتبات جامعة النيلين1997م إلى الآن.
- معد ومقدم برنامج قطوف على القناة الفضائية السودانية 1994م إلى الآن (أكثر من خمسمائة وخمسين حلقة اسبوعية).
- أستاذ مشارك في التاريخ الحديث والمعاصر (علاقات دولية) كلية الأداب جامعة النيلين .

♦ابحــاث:

- 1. الاسلام وحوار الحضارات قدم في المؤتمر العالمي لحوار الحضارات جامعة النيلين 2003م.
 - 2. ادارة المكتبات الجامعية قدم في سمنار المكتبات الاول 2003م جامعة كسلا.
- 3. علاقة مصر بالقرن الأفريقي في القرن التاسع عشر قدم في ندوة علاقة مصر بشرق أفريقيا عبر العصور مايو 2004م. معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة.
- 4. دور المرأة في سلطنتي الفور والفونج (دراسة اجتماعية تاريخية تحليلية) قدم في ورشة كرسي اليونسكو في أغسطس 3004م جامعة السودان.

♦ الكتب المنشورة:

- 1. الكتاب الأول من برنامج قطوف السودان / الخرطوم 2000م.
- 2. الدلالات الحضارية لشعائر الإسلام السودان / الخرطوم / دار الشريعة للطباعة والنشر 1998م.
 - 3. مصر والقرن الأفريقي / مصر / القاهرة / الدار العربية 2005م.

4. العلاقات المكية السودانية عبر القرون / مصر / القاهرة / الدار العربية للنشر 2005م.

- 5. التراث ودوره / السودان / الخرطوم / الخرطوم عاصمة الثقافة العربية 2005م
 في ورقة الحاضر واستبصار المستقبل .
- 6. أثيوبيا مشروع تكامل بين دول شعوب ودول حـوض وادي النيــل الــسودان / الخرطوم / جامعة النيلين / الناشر المؤلف 2005م . ط (نفدت).
- 7. دارفور والحق المر .. الماضي الحاضر والمستقبل (دراسة سياسية تحليليـة من منظور تاريخي).

♦ كتب تحت الطبع:

- 1. الإسلام وحوار الحضارات.
- 2. الحبشة ومرتكزات التكامل بين شعوب ودول وادي النيل (السسودان مسصر اريتريا اثيوبيا) .
 - 3. المرأة السودانية في عصر الفونج والفور والمهدية (دراسة تاريخية تحليلية).
 - 4. العلقات المهدوية الحبشية (1884- 1989م).
- العلاقات الحبشية السودانية المصرية والخطر الاستعماري (من القرن الخامس عشر إلى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي).
 - 6. تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ومشكلاته.
- 7. السودان ودول الجوار. مهددات الأمن القومي ومحددات السياسة الخارجية السودانية
 - 8. الثورات الكبرى في التاريخ.
 - 9. تاريخ السودان الحديث والمعاصر الاقتصادي والسياسي (1821-1984م).
 - 10. الخليفة عبد الله التعايشي بين جهل الأبناء وكيد الأعداء (وثائق وحقائق).



يعتبر السلطان الشهيد على دينار واحداً من الشخصيات الوطنية الهامة والفاعلة في تاريخ السودان الحديث والمعاصر والذي فجر حركة أول مقاومة وطنية سودانية ضد الوجود الأوروبي بالبلاد وأقام أول دولة وطنية خالصة بعد سقوط المهدية ضارعت فترة دولة المهدية بل فاقتها تخطيطاً ورؤية سياسية ودبلوماسية.

ولقد تمتع السلطان على دينار بعقلية سياسية توافقية عكس العقلية المهدوية الشمولية الاحتوائية التي لاتعرف إلا اتجاها واحداً في تعاطيها مع الآخرين شأن كثير من الأنظمة الشمولية المعاصرة ذات الاتجاه الواحد على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.

وقد أبدى قدراً من المرونة في علاقاته الإقليمية والدولية فاقت ما تمتعت به العقلية المهدوية في عصريها المهدوي أو التعايشي. إذ تمتع بسعة أفق وقدرة على المحاورة والمداراة والدبلوماسية وبناء الأحلاف الإقليمية والمحلية، عكس ما جادت به قريحة قيادات المهدية في فترتيها فترة المهدي أو الخليفة. ولو قدر له من الوقت والزمن والسلطة بما تمتعت به الدولة المهدوية لأحدث انقلاباً في تاريخ السودان الحديث والمعاصر. ولقبل عرض ملك الحبشة بالتعاون أو الحماية الفرنسية التي عرضت على الخليفة عبد الله التعايشي ورفضها نتيجة حماسة دينية متشنجة واستشارة غير موفقة من قبل قادته.

وكان السلطان الشهيد على دينار متفوقاً على ذاته وأقرانه سواء أكانت قيادات المهدية أو الختمية الحديثة أو الطريقة الهندية حين انحيازه إلى جانب الصف المسلم في معركته المصيرية تحت راية الدولة العثمانية حامية بيضة الإسلام ورمزه. وتفوق على

ذاته حين وقف مع السنوسية في نضالها وجهادها ضد كل من الوجود الفرنسي في تشاد والوجود الايطالي في ليبيا. وقام بدعمها مادياً ومعنوياً. وتمكن من أن يقف بصلابة منقطعة النظير في وجه الوجود الانجليزي في الشرق، والفرنسي في الغرب حيث لم يسمح ولو بالخطأ لأجنبي أوروبي واحد بأن يطأ أو يدنس بقدمه تراب دارفور سواء من الانجليز أو الفرنسيين حتى ولو كان صديقاً حميماً له كسلاطين باشا النمساوي والمفتش العام في الحكومة البريطانية بالسودان.

وكان بعيد النظر، شديد الفراسة، استراتيجي التخطيط، عميق الرؤية، واضح الفكرة، سياسي وطني من الطراز الأول. عمل بكل إمكاناته وقدراته لتخليص السودان من الاحتلال الأجنبي وعاش مستقلاً ومات مستقلاً عن كل الولاءات للأنظمة الغربية الأوروبية، فعاش شامخاً ومات شامخاً شموخ السلطنة الدارفورية صانعة التاريخ والأمجاد في السودان.

كما عمل بكل همة وجد وإخلاص على ايقاظ همم قيادات السودان الطائفية ولكنه في الواقع وكما أثبتت الوقائع التاريخية كان يؤذن في مالطة لأن هذه القيادات التقليدية بعضها كان من العمالة بمكان والآخر كان من الضعف بمكان آخر. وقام السلطان الشهيد على ديتار بدعم السلطة القائمة في الحجاز وطلب منها الوقوف والانحياز إلى الصف المسلم والتزام جانب تركيا ضد الوجود البريطاني بيد انها كانت غارقة حتى أننيها في الانحياز إلى جانب بريطانيا بتأييد ومكاتبات من حكومة السودان عن طريق على الميرغني الذي له صلة قرابة بهذه القيادة الحجازية، كما عمل السلطان الشهيد على دينار على تتمية بلاده وترقية أداء أبناء أمته العربية والإسلامية والأفريقية. ويقال انه ذات مرة وزع على كل بيت من بيوت الفاشر شجرة برتقال وغيرها من الاشجار النافعة ليقوموا بزراعتها أمام منازلهم فاشتكوا إليه عدم وجود الماء ، فقال لهم توضأوا عليها، أي اسقوها بماء الوضوء المتكرر في اليوم خمس مرات.

يلحظ المرء دقة هذه الإشارة من الناحية التربوية والإعدادية والأخلاقية والعقلية والاقتصادية والإنتاجية والاجتماعية والسياسية.

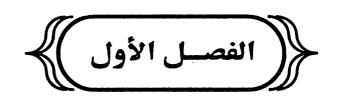
وقد جاء هذا المؤلف (السلطان الشهيد علي دينار - المقاومة الوطنية الاولى (وثائق وحقائق)) في سبعة فصول تناولت حياة السلطان الشهيد على دينار ونشأته وبزوغ نجمه على الساحة الوطنية وعلاقاته بالدولة العثمانية والحركة السنوسية في ليبيا ومحاولته الجادة لبناء أحلاف محلية وإقليمية لمقاومة الاحتلال كما تعرض لدحض الاتهامات التي حاولت بها أقلام المخابرات الغربية الأوروبية تشويه سمعة السلطان عن قصد وترصد.

وتعرض الكتاب لعلاقاته مع الحجاز وإرساله المتواصل والمستمر لمحمل سنوي لدعم السلطة القائمة بالحجاز وكان يوزع نصفه على الفقراء من سكان مكة والحجاج والزوار للبيت الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما تعرض الكتاب لانحياز السلطان الشهيد على دينار إلى الصف المسلم في الحرب الأوروبية الأولى مضحياً بعرشه في سبيل انحيازه إلى الدولة العثمانية في حين لزمت قيادات دينية وسياسية وطائفية وتقليدية في طول السودان وعرضه وعلى امتداد العالم الإسلامي والعربي والأفريقي يومئذ الصمت وانحازت إلى الصف الكافر من اجل سلامة النفس والبقاء في كرسى الزعامة.

وأكد هذا السفر على أن السلطان الشهيد على دينار قد قاد أول مقاومة وطنية جادة قبل حركة ود حبوبة وثورة (24) بكثير. وبالتالي فهو أول رمز وطني ونضالي على امتداد البلاد بعد الاحتلال الانجليزي للسودان سنة 1889م.

المؤلف أ.د . سيد أحمد علي عثمان العقيد الخرطوم ابريل 2007م



علي دينار – المولد – النشأة العزم على العودة إلى السلطنة

الفصل الأول عسلى ديستنار المولد - النشأة - والعزم على عودة السلطنة

أ- المولد - والنشاة:

نلاحظ أن معظم المصادر المكتوبة والشفاهية تذهب إلى أن السلطان الشهيد علي دينار قد ولد فيما بين (186، 1870م) تقريباً بقرية الشوايا بالقرب من الملوم بدارفور وهي منطقة تقع على مسافة ثمانين ميلاً جنوب غرب نيالاً. ويعتبر أبوه زكريا أصغر أبناء السلطان محمد الفضل وهو ابن مغمور بين أخوته. ويعتبر على دينار من ناحية أصوله الدارفورية خالاً للسيد عبد الرحمن المهدي جد الصادق المهدي لأبيه. لأن السلطان على دينار هو ابن زكريا بن السلطان محمد الفضل ووالدة عبد الرحمن المهدي هي مقبولة الدارفورية ابنة نورين بن السلطان محمد الفضل بن السلطان عبد الرحمن الرشيد وبالتالي فهي ابنة عمه لزوماً. ولزيادة في الإيضاح فإن أم السلطان الرحمن الرشيد وبالتالي فهي ابنة عمه لزوماً. ولزيادة في الإيضاح فإن أم السلطان دارفور إلى دارفور من جنوب السودان للخدمة العامة واستوطنت بدارفور ودخلت في النسيج الدارفوري بالطول والعرض وعليه فإن آل المهدي تربطهم بجنوب السودان السيج الدارفوري بالطول والعرض وعليه فإن آل المهدي تربطهم بجنوب السودان ولداً قد تم حبسه بالقاهرة وهرب واختفى من عين السلطات الإنجليزية التي ترمي إلى المتراتيجية فصل الشمال عن الجنوب. وتعمل بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لخنوب ولأنه التحقيق ذلك لأنها تحاول أن تنفي أي صلة أو علاقة حميمة بين الشمال والجنوب ولأنه لتحاول أن تنفي أي صلة أو علاقة حميمة بين الشمال والجنوب ولأنه

من المعلوم لو قدر لابن الدينكاوية أن يعيش في النور لأصبح هو الابن الأكبر للمهدي ولتغيرت خارطة السودان السياسية الحديثة والمعاصرة ولما دخلنا في المأزق الذي ظل السودان يراوح مكانه فيه منذ عقود. ويقال أن ابن المهدي الدينكاوي الأم قد تزوج مصرية وأنجب منها أبناء وصار له أحفاد لا يزالون علي قيد الحياة وقد أخبرني بروفيسور دياب أنه قد قابل أحدهم ولعل ما يدور من أحاديث الآن علي صفحات الصحف هذه الأيام يقع في إطار تحقيق المناط كما يقول أهل الأصول حيث حضر إلى السودان المواطن المصري سيد محمد عبد الله بن محمد المهدي في أكتوبر سنة البروفيسور احمد إبراهيم دياب للتحقق (1) ومن الغريب حقاً أن السيد أحمد المهدي يقال البروفيسور احمد إبراهيم دياب للتحقق (1) ومن الغريب حقاً أن السيد أحمد المهدي يقال أنه قد اعترف به أو لا و زوجه من إحدى قريباته من آل المهدي من آل شريف وما أن بدأ الصادق المهدي في طريقه للاعتراف به بتوجيهه إلى البروفيسور أحمد إبراهيم دياب حتى تنصل أحمد المهدي من اعتراف وهذه مسألة ليست بالصعبة إذ يمكن إثباتها عن طريق السرونيسور دياب وهو محقق عن طريق السرونيسور دياب وهو محقق في هذا الجانب. ولعل هذا يؤكد ما ذهبا إليه سابقاً .

ولكن من الغريب حقاً أنه لا يعرف كثير شئ عن حياة السلطان الشهيد على دينار الأولى لاسيما في فترة صباه وشبابه، سوى أنه ظهر فجأة ودون مقدمات وتفاصيل مع ابن عمه أبي الخيرات. وذلك حين انضمام المقاومة الدارفورية إلى حركة الثائر أبي جميزة. ولجآ يومئذ (أبو الخيرات والثائر أبو جميزة) إلى سلطان سلا في دارفور واختلفا معه. هذا هو ما حدث بالضبط والتحديد بعد هزيمة (أساغه)(2) ونتيجة لاختلافهما مع سلطان سلا، اتجها صوب جنوب غرب جبل مرة في منطقة نائية في منطقة (كلمي) (3).

انظر: شركة المنحنى للطباعة والنشر: صحيفة آخر لحظة – السودان/الخرطوم/شركة المنحنى للطباعة والنشر – 19 مارس 2007م العدد (231) ص 1 ، 3.

⁽²⁾ في لغة أهلنا أهل غرب السودان نجد قلباً في الحروف وتقديما وتأخيرا فأساغة يعني: أسامة. كما يطلقون على حجرة : هجرة.

⁽³⁾ A. B. Theobald: Ali Dinar The Last Sultan Of Darfur (1898-1916). England. Western Printing Service .Ltd. Bristol . 1965.Pp.26-28.

وكان السلطان الشهيد على دينار منذ صباه المبكر قد عرف بشدة المراس والعناد وكما يقول أهلنا في السودان عرف بقوة الرأس. ونتيجة لهذا التمرد والعناد الأصيل درج على القيام بعدة غارات على قبيلة التعايشة دون مشورة قيادته أو موافقتها. الأمر الذي يوحي باعتداده بذاته وعدم اعترافه الضمني بقيادة غيره له ولم يسلم من غاراته أهل دارفور أنفسهم مما اقتضى تأنيبه بالكلمات الجارحة (4). من قبل قيادته يومئذ مما يدل على تكوين نفسي متمرد ممزوج بحماس واندفاع الشباب وطيشه. ولربما كان ذلك بداية الخلاف مع ابن عمه وركوب السلطان الشهيد على دينار الصعب للتخلص منه. ولكن في ذات الوقت فإن هذا السلوك الدارفوري من قبل سليل السلطنة إزاء بني جلاته يمكن أن يشكل مؤشرا هاماً في تفسير أحداث دارفور الحالية بكل أبعادها وجذورها أخرى أو تمرد جماعة على ذات القبيلة أو خروج أفراد على قبيلتهم شيء طبيعي والاعتداء وإزهاق الأرواح بغير ضرورة ملحة أمر عادي وفي غاية البساطة والسهولة. وبالتالي فان ما يدور الآن في دارفور يمكن أن يناقش وأن توجد له الحلول في إطار الأعراف والتقاليد الدارفورية الأصيلة بعيداً عن المزايدات السياسية الرخيصة في إطار الأجنبي ذي الأجندة الخفية والمكشوفة في بعض الأحيان.

ب- السلطان الشهيد علي دينار والوصول إلي السلطة:

هناك عدة خطوات دفعت بالأحداث قدماً وسراعاً لوصول السلطان الشهيد علي دينار مندرج دينار إلى السلطة بأقصر طريق، وبالرغم من أن السلطان الشهيد علي دينار مندرج تحت قائمة سلاطين الظل في العهد المهدوي إلا أن أمره جدير بالأفراد والتأمل والاستقصاء. لاسيما وأن هذا الكتاب في مجمله يدور حول مواقفه البطولية والوطنية وسياسته الخارجية وعلاقاته بجيرانه في دارفور وكردفان لذا فلابد من إلمامة ولو سريعة بقدر غير يسير من تاريخ حياته الحافلة بالأحداث والمرارات والمجاهدات والمكابدات من أجل كرامة هذا البلد وحرية أهله ومحاربة الأجنبي المغتصب الذي

⁽⁴⁾ S.N.R.. J.E.H Boustead: The Youth and Last Days of Ali Dinar Vol. 22 (1939) P. 149-150.

مثلته بريطانيا باستخباراتها وإدارتها وخبراتها لذا اختص أمره بهذا الفصل الأول. وأولى هذه الخطوات التي سلكها لتسنم العرش جاءت عبر عدة بوابات.

ج- السلطان الشهيد على دينار و أبو الخيرات:

مما لا شك فيه أن وجود السلطان الشهيد على دينار ومنذ هذه الفترة المبكرة من حياته في معسكر أبي الخيرات وهو أحد أبناء السلاطين قد أكسبه تجربة ومراساً وتدريبا عمليا وخبرة عالية على ممارسة الأقدار السياسية والعسكرية والتنظيمية والتعاطى معها باقتدار وكفاءة عالية، وأهله ذلك لبناء ذاته بناء دفعه للقيادة فيما بعد. إذ الشك أن قيادته لعدة غارات مستقلة عن قيادة أبى الخيرات وبغير رضاه شكلت حجر الزاوية في اختلافه ابتداءً مع ابن عمه. وتلقى تلكم التصرفات المتفردة والمتميزة الضوء على تفرد إرادته وبحثه الحثيث عن التفرد بالقيادة و الانجاز وعدم انصباعه للنظام الدارفوري القائم. وفي الوقت ذاته تشكل من جانب آخر تنافساً على كرسى القيادة الدار فورية. ورأي (بوستد) في ذلك دليلاً قوياً على أن السلطان على دينار قد شارك فعلياً وبما لا يدع مجالاً للشك في إزاحة ابن عمه عن القيادة عن طريق الاغتيال السياسي وهو أمر لا يستغرب في عالم السياسية الذي لا تحكمه الأخلاقيات، والتحاضر هو ابن الماضى بكل صفاته وجيناته الوراثية، وبقراءة متأنية لما يدور في عالمنا الحديث و المعاصر لا تخطىء العين في إبصار ما هو سبيه أو مثيل للله، حيث يقول (بوسند): (إن على دينار قد دبر بليل خطة للقضاء عليه - أي على أبى الخيرات - حيث جمع حوله عدداً من خدمه الفرتيت وقضى على ابن عمة ودفنه فــــى معسكره في وادي عريبو (Aribo) وسمى نفسه سلطاناً)(5). وأيا كانت هذه الاتجاهات أو تلك الادعاءات فإن السلطان الشهيد على دينار قد خلف فعلياً سلفه، ابن عمه أبا الخيرات في قيادة دارفور طوعاً أو كرهاً وحقق ما كان يهدف إليـــه فــــي 1891م⁽⁶⁾. ويبدو لى أن هذا الأمر قد يقع في دائرة التخمينات ولكن في الممارسة السسياسية كل

⁽⁵⁾ J. E. H. Boustead .op. cit. PP. 149-150.

⁽⁶⁾ تقارير المخابرات 1 – 1920/1/31 م انظر ايضا: S.I.R. 90/8. A.B. Theobald. op. cit. PP. 28-29.

الإحتمالات غير الأخلاقية واردة وغير مستبعدة في مضمار السياسة والـساسة كمـا أشرنا وهو أمر جلي على المستوي المحلي أو الإقليمي أو الدولي، فرأينا في عــصرنا الحديث والمعاصر من انقلب على أبيه ولم يتورع وجلس مكانه، ومن قتل أبيه من أجل كراسي الحكم ولم يخش في ذلك لومة لائم، ومن قتل ابنه من أجل الحفاظ على كرسيه ولم تأخذه في ذلك رأفة أبوة ولا رحمة إنسانية فياضة ندية، ومن أزاح أخاه عن السلطة وهو في الرمق الأخير من حياته، وقديماً قد تصارع الأمين والمأمون على الـسلطة. ومن الواقع السوداني نجد لها سنداً قوياً فيما حدث بين دكتور الترابي وزمرته، وما حدث بين الصادق المهدي وأفراد أسرته ونقد وتيسير مدثر وشرذمتيهما سواء في الستينات من القرن الماضي أو في بدايات القرن الحالي. والتاريخ يشكل وعي الأمــة الحاضر. ومهمة المؤرخ هو سرعة الاستدعاء وحضور البديهة والقدرة على الربط والتحليل والنقد دون ميل أو زيغ أو محاباة. لأن التاريخ كتاب مفتوح لا يحتمل المداهنة والمواربة أو التزوير أو تجيير الحقائق والمسح على الأحذية والمجاملة الزائفة إذ أن القراءة التاريخية الواعية والقادرة على ربط الأحداث تدل على وجود نماذج تاريخية تكاد تكون متشابهة ومتكررة في هذا التشرذم وهذا التجزؤ أو التفتت، وقد مارست وتمارس هذا النوع القذر من السلوك اللا إنساني واللا أخلاقي سواء على مستوى السودان أو القارة الأفريقية أو العالم العربي والإسلامي مجموعات وأحراب وتجمعات نوعية وغثنية وعرقية وفكرية وطائفية سواء أكانت إسلامية أو علمانية أو جهوية شرقية أو غربية. وهو في تقدير الكَاتب يدل على سوء التقدير وعدم وضوح الرؤية وذاتية وأنانية القيادة التى لا تعترف بكينونة الآخر وإن كان يقف معها في خندق واحد.

د- المهدية والسلطان الشهيد على دينار:

في هذه الفترة التي تولى فيها السلطان الشهيد على دينار القيادة الدارفوراوية فقدت المهدية أحد قادتها الكبار الأشاوس الذين لا يشق لهم غبار في منطقة دارفور. ووفقا لذلك بدأت أسهم المهدية في الانحسار والنزول بعد هلاك (عثمان آدم جانو). وآذنت شمسها بالغروب ونجمها بالأفول فعين الخليفة على الغرب خلفاً له محمود ود أحمد

ابن عم الخليفة. فوصل الأخير إلى الفاشر في 27 يناير 1891م. وتولى القيادة الغربية مكان عثمان آدم الذي راح ضحية مرض فتك به ولم يمهله طــويلا. وكــان مركــز محمود قبلا في كردفان، لذا لم يطب له المقام في دارفور ولم يستقر بالفاشر عاصمة دارفور وإنما ولى قائداً نيابة عنه على الفاشر وهو عبد القادر دليل. في هذا الأثناء حاول محمود ود أحمد استمالة واستدعاء السلطان الشهيد على دينار الذي احتمى في تلك الأثناء بأتباعه في جبل مرة طالبا منه القدوم إلى الفاشر لأداء فسروض الطاعسة لقائد عبد القادر دليل في دارفور. إلا أن السلطان الشهيد على دينار بذكاء ودهاء شديدين أخذ ينتحل الأعذار الواحد تلو الآخر. فتارة كان يعتذر ببعد المسشقة وأخسرى بترك أتباعه له إشارة إلى أنه ما عاد يشكل خطراً على النظام السياسي القائم في البلاد وبالتالى لا يستحق كل هذا الاهتمام من قبل السلطة المهدوية. هذا بالرغم من أن السلطان الشهيد على دينار حينذاك كان قد لقب نفسه بعبد ربه أمير المؤمنين الـسلطان على دينار بن المرحوم السلطان زكريا. ودرج على المراسلة الرسمية مع الجهات الأخرى بهذا اللقب(7). من خلال هذه الحيثيات المتقدمة يلاحظ المرء دهاء السلطان الشهيد على دينار ومدى قدرته على التحايل على القائد المهدوي، وان تصرفه ذاك كان من باب التقية لأنه كان يخشى أن يتم الفتك به قبل تحقيق أمنية دارفور وأهلها في استرداد سلطانهم الضائع. لذا احتاط بقوله أن أتباعه قد تفرقوا عنه. ولكنه في الوقست ذاته ترك الباب مفتوحا لكل الاحتمالات والتفسيرات والخيال السياسي.

ولكن مما تجدر الإشارة إليه ولظروف لا تزال غامضة لم يكشف عنها النقاب من خلال الوثائق وما هو متاح من معلومات بعد فقد تخلى عنه أتباعه حقيقة (°). وما أن

⁽⁷⁾ تقارير المخابرات 1-1920/1/31 انظر ايضا

S.I.R. 90/8: See also A.B. Theobald. OP. Cit. PP.28-29.

وفي تقدير الكاتب يبدو أن السياسة المهدوية المرنة قد نجحت إلى حد كبير في سحب البساط من تحت رجليه ولو مؤقتا كما نجحت في استقطاب أتباعه. ولا يخفى على ذي بصيرة ووعي سياسي أن المعاملة الحسنة من قبل الخصم دائماً تكون لها أثار سلبية على المقاومة التي صمدت فترة والتي قد يستولى على افرادها الياس والاحباط لطول الانتظار وعدم تحقيق نتائج ايجابية طويلة. بمعنى آخر أن الحوار الهادئ نتائجه هي اقوي من استخدام القوة. وفي الواقع توجد أدلة كثيرة على ذلك لقد استطاع معاوية إين أبي سفيان أن يكسب الجولة لصالحه عن طريق إتفاق عام الجماعة. ونجح نظام مايو أن يكسر شوكة المعارضة ويشتت شملها عن طريق المفاوضات وما أسماه هو ومفاوضه يومئذ الصادق المهدي بالمصالحة الوطنية ونجحت الإنقاذ في تشتيت شمل خصومها عن طريق التفاوض لاسيما مع سيلان لعاب الكثيرين للسلطة وأمام المناصب والمكاسب الآتية.

شعر السلطان الشهيد على دينار بالوحدة القاتلة وانصراف أتباعه عنه حتى بدأ ينمق عباراته ويحسن ألفاظه في مخاطبة محمود ود أحمد تقية ومداراة له ريثما يتمكن من استعادة أنفاسه واسترجاع نفوذه على أتباعه وبعث روحهم المعنوية من جديد. الأمر الذي يدل على أنه قد نهج سياسة جديدة وسلك طريقاً وعراً، ربما أراد أن يستفيد من تجربة ابن عمه يوسف بن السلطان إبراهيم قرض في مهادنة المهدية بغية انتزاع السلطة من أنياب الثورة المهدوية مرة أخرى. ومحاولة هدم النظام من الداخل لما لم تجد المقاومة والمواجهة الخارجية فأعلن السلطان الشهيد على دينار ظاهريا ولاءه للمهدية وفقاً لما ورد في كلماته الآتية: (قلوبنا مليئة بحبكم هدفنا الإتصال بكم والتعاون معكم لرفع كلمة الدين، واتباع طريق المهدية .. إلا أن الذهاب والانتظار بيد الله)⁽⁸⁾. ويؤكد في هذه الرسالة على أن خطابات محمود ود أحمد قد زادته رغبة في زيارته ورؤيته وتقبيل أياديه (9). إن هذه الإشارات تدل على أنه كان قارئاً جيداً لمعطيات الواقع السيما بعد أن تخلى عنه بعض أتباعه، وأضحى في موقف الا يحسد عليه. ولربما كان للحركة المهدوية دور في هذه التعرية السياسية، ومن ناحية أخرى لربما انتهج أهل دارفور سياسة جديدة مؤداها هدم البناء من الداخل كما قدمت ،أو كان ذلك حقيقة واقعة فقبل أن يصاب السلطان الشهيد على دينار بتصحر سياسى فتاك وتموت آماله وتقبر أحلامه في استعادة أمجاد آبائه، لجأ إلى المصالحة التكتيكية مع النظام المهدوي القائم باعتباره واقعا لافكاك منه ولا مناص من التعامل والتعاطى معه بقدر من الذكاء والدهاء. وهي قراءة سياسية ذكية قادرة على التلون والتكيف مع الوقع دون إخلال بالأهداف النهائية والاستراتيجيّات طويلة المدى. وهي في تقدير الكاتب لا تعدو عن كونها مصالحة مرحلية شأن كثير من المصالحات التي نراها الآن على الساحة السياسية السودانية.

وتحت ضغط الإلحاح والطلب والظروف التي أحاطت به استجاب السلطان الشهيد على دينار ودخل تحت عباءة الدولة المهدوية طوعاً واختياراً وتكتيكاً مرحلياً متظاهراً

⁽⁸⁾ تقارير المخابرات 1- 13/1/1902م S. I. R. 90/8 .

⁽⁹⁾ المرجع نفسه.

بالتسليم المطلق للسلطة المهدوية عام (1893م). وركب بهذه الصورة الصعب بكل مخاطره ومكنونه متجهاً صوب الفاشر. وعند وصوله لها استقبله عبد القادر دليل استقبالاً حافلاً يليق بسليل السلاطين وقام القائد المهدوي بهذا الإجراء بغية كسب الجماهير الدارفورية. ومن جانبه أكد السلطان الشهيد على دينار في خطاب بعث به إلى القائد المهدوي محمود ود أحمد أنه: (وفقاً للتعليمات الصادرة من قبل مولانا وسيدنا خليفة المهدي عليه السلام ولكم فلقد أصبحت أحد أفرادكم وتحت حمايتكم والآن تحت أوامر عبد القادر... وأسال الله أن يرينا وجهكم بأسرع ما يمكن)(10).

يلاحظ المرء بوضوح وجلاء أن الصيغة الخطابية للسلطان الشهيد على دينار قد تغيرت لاسيما التي كان يعنون بها مراسلاته إلى الآخرين فمن أمير المؤمنين السلطان على دينار إلى عبد الله على بن زكريا⁽¹¹⁾. ويرى الكاتب أن هذا الأسلوب الدارفوري الناعم الجديد اقتضته الظروف المرحلية الآنية. وحاولت القيادة الدارفورية أن تستمد مواقفها الآنية من تجارب سابقة كما حدث للسلطان يوسف بن إبراهيم قرض في مهادنته للحركة المهدوية وإستطاعته التمرد عليها من الداخل حين تمكن واشتد ساعده وأضحى بين أبناء شعبه ووسط أهله.

ومن جانب آخر وبناء على ما أبداه السلطان الشهيد على دينار من حسن النوايا قام عبد القادر دليل القائد المهدوي بالفاشر بتزكية سلوك السلطان الشهيد على دينار لقائده محمود وطلب منه له الأمان، وفي المقابل وزيادة في التعمية كتب السلطان الشهيد على دينار إلى ابن عمه إسحاق يطلب منه القدوم إلى الفاشر والخضوع النظام القائم، وشرح له حسن الاستقبال الذي لقيه من قبل القيادة المهدوية في الفاشر. ولكن من خلال الإطلاع على هذا الخطاب وقراءة ما وراء السطور فيه وبقليل من التأمل يلمح المرء لفتة ذكية بارعة من السلطان الشهيد على دينار تؤكد على أنه كان يعي طبيعة أهل دارفور ومدى استعدادهم الدائم للالتقاف حول أي من أبناء السلاطين إذا لنزل على دينار طواعية عن هذا الدور القيادي وانخرط في سلك النظام المهدوي

⁽¹⁰⁾ المصدر السابق.

⁽¹¹⁾ المصدر السابق.

المرفوض من قبلهم جملةً وتفصيلاً. لذا لا غرابة إن أراد بذكاء ودهاء أن يحتفظ بحقه في القيادة والتوجيه والعرش وهو تحت مظلة النظام المهدوي. وعقد العزم على أن لا يدع مجالاً لأي منافس آخر خارج دائرة نفوذه يمكن أن يتحكم في دارفور من وراء ظهره. وفي دعوة ابن عمه يكمن مغزى آخر يرمز إلى تغيير اتجاه السياسة الدارفورية تجاه الحركة المهدوية التي استعصت وشكلت قوة ذات وزن في المنطقة. فلابد أذن من مهادنتها مرحلياً ومحاولة الإعداد والتنظيم داخل أراضيها. والاستفادة من مظلتها للاتصال بالأطراف الدارفورية الموجودة داخل تركيبة الدولة المهدوية. لا يختلف اثنان في أن هذا أسلوب سياسي ذكي لا زالت وستظل القوى السياسية الحديثة والمعاصرة القارئة الجيدة لمعطيات الواقع في ظل مواجهة سلطة شمولية قوية رادعة، تتعاطى هذا القدر من الجرعات السياسية في التعامل مع السلطة القائمة بغية هدمها من الداخل.

وقد لجأت إلى هذا الأسلوب الجبهة الوطنية السودانية والتي كانت تضم الوطني الاتحادي الديمقراطي وحزب الأمة وجبهة الميثاق الإسلامي (الحركة الاسلامية) في سبعينيات القرن الماضي بقيادة الصادق المهدي وعلقت مرحلياً خلافاتها مع المشير جعفر نميري يومئذ، وتمكنت بعقدها للمصالحة التي أسموها زوراً مصالحة وطنية وهي لا تعدو عن كونها مصالحة بين متصارعين على جيفة السلطة. لقد تمكن القادمون الجدد بالرغم من معارضة عناصر مايو من التغلغل في مفاصل النظام المايوي وتم هدم البيت المايوي من الداخل. وكذلك سلكت هذا السلوك بعض الأحزاب الجنوبية والشمالية والدارفورية مع حكومة الإنقاذ. ولعل الاتفاقات الأخيرة من المشاريع الكبيرة والتي فشلت سواء في ظل مايو أو في ظل الإنقاذ تصب في هذا الاتجاه وبالتالي فإن كثيراً من الاشام المشاريع الكبيرة والتي فشلت سواء في ظل مايو أو في ظل الإنقاذ تصب في هذا الاتجاء الذي يرمي إلى (تنفيس) المشاريع الحيوية والهامة من الداخل وتصوير النظام التنام بأنه متردد وغير قادر على الاستمرارية، وهي محاولة من باب تهديد الحصون من الداخل. ومحاولة لإدخال النظام السياسي القائم في عنق زجاجة مالياً وأمنياً من الداخل. ومحاولة لإدخال النظام السياسي القائم في عنق زجاجة مالياً وأمنياً واقتصادياً ومن ثم تحريض الشعب وقلب الطاولة عليه بوسائله وإمكاناته.

بعد هذه المجاملات الظاهرية التي اقتضتها الظروف الواقعية المحيطة بالسلطان الشهيد على دينار تم اقتياده إلى القائد المهدوي محمود ود أحمد في مقر إقامته في الأبيض. ولم يصدق الخليفة أننيه حين سماعه لخبر استسلام على دينار وقدومه طوعاً واختيارا وانضمامه إلى صفوف الدولة المهدوية لذا كتب الخليفة إلى السلطان الشهيد على دينار بعدئذ يستدعيه ويستعجله في القدوم إلى أم درمان ليكون تحت عينيه لمعرفته التامة بطبيعة أهل دارفور. بيد أن السلطان الشهيد على دينار قد تردد كثيراً في تابية هذه الدعوة ولما لم يجد بدأ لبي النداء مكرها أخاك و لا بطل. وليطمئنه الخليفة ويشعره بقدر من الثقة جعله ضمن حرسه الخاص وهذه سياسة بعيدة النظر والهدف درج الخليفة على إتباعها إزاء الذين يشك في ولائهم، وتم الحاقه بفرقة إبراهيم الخليل أخ محمود ود احمد وهو إبن عم الخليفة. وفي هذه الفترة وهو في اعتقال شبه تحفظي نشأت بينه وبين سلاطين باشا النمساوي(٠) الذي كان يحكم دارفور من قبل الدولة المصرية صداقة حميمة. مما كان له أكبر الأثر في علاقته بالحكم الثنائي البريطاني فى البلاد فيما بعد (12). إن هذه الإشارة التاريخية لها دلالتها الموضوعية إذ تؤكد على أن على دينار لم يؤمن يوماً ما بالمهدية، ولكنه كان مجبراً على التظاهر بما تظاهر به، تقية وتحيناً لفرصة استعادة مجد أجداده. ومن جانب آخر فإن الخليفة بعينه الثاقبة كان يدرك ذلك. ومن هنا نلاحظ أنه احتفظ به في أم درمان في اعتقال شبه تحفظي مقيداً حركته وهذه سياسة اتبعها الخليفة إزاء كل المشكوك في ولائهم من أمثال سلاطين باشا النمساوي وأوهر والدر وغيرهما كما سبقت الإشارة إليه. ورغماً عن هذه المهادنة الظاهرة والخضوع الأسمى من قبل السلطان الشهيد على دينار للدولة المهدوية إلا أنه لم يغب عن ذهنه لحظة واحدة قضية حكم بلاده واسترداد مجده وحضارة سلطنة أجداده الغابرة، إذ من يكون الخليفة أو حتى المهدي في نظره؟ في مقابل إرث سلطنة دارفور وقادتها العظام.

^(°) صاحب كتاب السيف والنار والمفتش العام في فترة الحكم الثنائي البريطاني.

⁽¹²⁾ D.S.A. box 110/6 H.A.Macmicheal. OP. cit. PP. 22 See also: G.D. Lampen OP. cit. PP. 196.

تقارير المخابرات 1- 1902/1/31م S.I.R. 90/8 .

ه - السلطان الشهيد على دينار تحت عين الخليفة:

سبقت الإشارة إلى أن السلطان الشهيد على دينار بعد تردد وتلكؤ ظاهر لا تخطئه العين قدم أم درمان في فترة مبكرة وهو في دخيلة نفسه مكره ولكن رب ضارة نافعة. وان كان هناك من الدلائل الوثائقية ما يشير إلى أنه ظل مع محمود ود أحمد أمير أمراء عموم الغرب في الأبيض حتى استدعائه لمواجهة الحملة المصرية الانكليزية عام 1896م. حيث يذكر أن السلطان الشهيد على دينار قد شهد مع محمود ود أحمد معركة عطبرة. بيد أن ذلك لا يتفق تماماً وما تقدم من أن السلطان الشهيد على دينار بقي تحت عين الخليفة في أم درمان إلى لحظة ما قبيل معركة كرري بأم درمان بساعات معدودات. ثم غادرها أثناء انشغال الخليفة وقياداته بهذا الخطب الجلل مع مجموعة من أتباعه من أهل دارفور.

ولا خلاف بين الباحثين بأن السلطان الشهيد على دينار قد ألحقه الخليفة بفرقة ابراهيم الخليل (13). مما تقدم يتضح أن الثورة المهدوية لم تقتنع هذه المرة باستسلام قيادة دارفور وبقائها في منطقة الغرب حتى لا تتكرر تجربة يوسف إيراهيم التي تعتبر تجربة مريرة بالنسبة للدولة المهدوية في تاريخها القريب لذا لم تسمح الدولة المهدوية بتكرارها. ومن هذه الحيثية كان إصرار الخليفة غير المتهاود على استقدام السلطان الشهيد على دينار إلى أم درمان وبقية أبناء السلاطين معه له ما يبرره من وجهة النظر السياسية القارئة الذكية للأحداث والمستفيدة من عبر التاريخ المعاصرة. وتلكأ السلطان الشهيد على دينار أولاً حتى لا يفقد قاعدته ولما لم يكن بد من تلبية الطلب لئلا يشكك في ولائه جاء إلى أم درمان ولكن بنية الكمون المرحلي والإعداد طويل النفس والتنظيم الدقيق. وكان الخليفة عبد الله من جانبه له أجندته الخاصة ورؤاه الموضوعية في هذا الجانب إذ يرى أن وجود السلطان الشهيد على دينار تحت عينيه يساعده على عدم تكرار تجربة (السلطان يوسف قرض) وتكرار محاولة الانفصال بدارفور مرة ثانية تحت أي ظرف أو تحت أي مسمى. بيد أن السلطان الشهيد على دينار خلال تواجده

(13) Ibid.

بأم درمان عمل على تجميع رجالاته حوله وتمكن من تكوين تنظيم دارفوري سري وقوي أثبتت الأيام أن السلطان كان ابعد نظراً وأقوى شكيمة من نظرائه (14).

وبالرغم من عدم وجود وثائق يمكن أن تكشف النقاب عن فترة أم درمان بالنسبة للسلطان الشهيد على دينار ومراحل وكيفية تكوين هذا التنظيم السري الدارفوري إلا أن القرائن وما تلى من أحداث تفسر وتؤيد ما سبقت الإشارة إليه. فإذا تقرر بما لا يدع مجالاً للشك أن السلطان الشهيد على دينار لم يشترك في معركة أم درمان الكبرى والفاصلة بكرري 1898م، وأن ذهابه إلى غرب السودان تلقاء الفاشر عاصمة أجداده لم يكن فيه بمفرده وإنما تبعه رجالاته الذين قام بتنظيمهم والإشراف عليهم أثناء تواجده بأم درمان ولحقت به فرقة أخرى من أتباعه، كل ذلك يدل في تقدير الكاتب على وجود تخطيط مسبق، وتنظيم دقيق، ووجود قيادة مقتدرة، جريئة وشجاعة وتوقيت مناسب وكلها تصب في خانة قدرات وكفاءة السلطان الشهيد على دينار التنظيمية والقيادية ومدى قدراته على التعاطي مع الواقع بايجابية وتقية. ولعل عبارة نعوم شقير ووصفه له في العبارة التالية يدلان على أن السلطان الشهيد على دينار كان في أم درمان على اتصال وثيق ودائم دائم بكبار رجالات البلاط الدارفوري والذين قد تبوأوا مكانة مرموقة في ظل الثورة المهدوية حيث يقول: (أما على دينار فقد مر أنه فر من واقعة أم درمان بنفر من أهله وأخصَّائه وفيهم الأمير قمر الدين البرناوي من أمراء الأرباع والفقيه أمين الفلاتي وهو من رجال السلطان إبراهيم قرض الذين اشتهروا بالصلاح والتقوى وسداد الرأي. وقد كان عند الخليفة أميناً للجبخانة فسار بهم السلطان الشهيد على دينار إلى الترعة الخضراء وكان فيها أبل الخليفة فأخذها وتقدم إلى كحمر فأقام فيها ثمانية أيام إلى أن تكامل الفارون من أهل دارفور من عرب وسود، وسار بهم إلى أ الفاشر)(15). يلاحظ المرء أن دارفور طوال تاريخها الماضى كانت تحكمها قومية واحدة لا تعرف التفرقة العنصرية والإثنية البغيضة إليها سبيلاً، فالذين ساروا تحت راية على دينار هم عرب وزنوج وفلاته. ويمثلون شتى أنواع الطيف العرقى والإثنى

⁽¹⁴⁾ تاريخ السودان: نعوم شقير: تحقيق واختصار محمد ابراهيم ابو سلبم / لبنان / بيروت / دار الجيل 1981م. ص 845–846.

⁽¹⁵⁾ المصدر السابق. ص 964-965.

في دارفور، وهذا شأن دارفور عبر التاريخ حتى الذين يقومون بالنهب المسلح في دارفور كانوا وظلوا إلى يومنا هذا هم من شتى ألوان الطيف الإثني والعرقي

هذه الإشارات في مجملها تؤكد على أن السلطان الشهيد على دينار كان على صلة دائمة ووثيقة برجالات دارفور الموجودين في أم درمان من كل ألوان الطيف السياسي والجهوي العرقي دون تفرقة عنصرية. وأنه لم يتنازل عن مركزه القيادي في التوجيه والتنظيم والتخطيط، كما أن عملية الإعداد التي كان يقوم بها خلال تواجده في أم درمان آتت ثمارها اليانعة وقطوفها الدانية بأن تجمع حوله فور انفصاله عن الدولة المهدوية كبار رجالات دارفور الذين تبوأوا مناصب قيادية خطيرة ومتقدمة في الدولة المهدوية. واستطاع بمهارة متناهية أن يجمع صفوفهم بعيدا عن عين الخليفة ورقابته الحازمة وان يفر بهم عشية الحملة الانكليزية المصرية على أم درمان 1898م. و لا يخفى أن انتظاره في مكان معين لجمع صفوف الفارين من أهالي دارفور يدل على التخطيط المسبق وتحديد نقاط التجمع بعناية فائقة. ولعل الدولة المهدوية بالرغم من حذر الخليفة الزائد لم تكن تملك جهاز استخبارات على قدر من اليقظة والفاعلية والكفاءة العالية ولعل انشغالها بمخاطر الجبهة الخارجية شل قدراتها وأضعف من كفاءتها الأمنية الداخلية وأتاح الفرصة للسلطان الشهيد على دينار ورجالات دارفور أن ينظموا صفوفهم وأن يحددوا ساعة الصفر بعناية وبدقة، كما يؤكد ذلك على أن الدولة المهدوية كانت مخترقة من مفرق رأسها إلى أخمص قدميها وإن لا فإن الذي قام به السلطان الشهيد على دينار من جانب آخر يدل على قدرته الفائقة على الإستقطاب والجانبية القيادية. أما تمكنه من المحافظة على سرية الإعداد والتنظيم واهتبال الوقت المناسب وتحديد ساعة الصفر بكفاءة واقتدار فهذا مؤهل قيادي نادر توفره. وفي ذات الوقت يدل ذلك الحدث على مدى غفلة الدولة المهدوية حتى في عقر دارها في العاصمة. ولعل كتاب (أوهر والدر) وهروبه من أم درمان سنة 1891ممما يمكن أن يفسر به ما يجري في الأطراف. وما كتبه هذا الألماني الكذاب والأفاك في ذات الوقت عن الدولة المهدوية ونشره له في أوروبا بعدة لغات يؤكد على أنها كانت دولة يمكن اختراقها بواسطة أي استخبارات خارجية بسهولة وبيسر، ولعل هذا في حد ذاته يفسر

مهزلة هروب كل من (أوهر والدر) (وسلاطين باشا). ويشير إلى تورط عناصر داخلية تدعي الوطنية في ارتكاب هذه الحماقة التاريخية وفي التعامل مع هذه الجهات الخارجية. مما يضعها في مخانة العمالة وارتكاب جريمة الخيانة العظمي مهما كانت المبررات والمسوغات ولعل هذا يطال كثيراً من الحركات والقيادات السياسية الحديثة والمعاصرة بمختلف ألوان طيفها وواجهاتها ومسمياتها بغية تمكين أفراد تنظيمها بغض النظر عن مصالح الأمة أو الشعب.

و – السلطان علي دينار والهيمنة التامة على دارفور:

بناء على ما سبق سرده يمكن القول بأن السلطان الشهيد على دينار أثناء وجوده في أم درمان تحت سمع وبصر الخليفة لم يكن على وفاق تام معه أو منع الدعوة المهدوية منذ بزوغ فجرها في أول يوم وحتى آخر لحظة من أفول نجمها. وبالتالي فإن إذعانه للمهدية كما أشرنا سابقاً لم يكن إلا توجهاً مرحلياً، ومهادنة تكتيكية مؤقتة، بغية تجميع وإعداد رجالات دارفور الموجودين في مفاصل الدولة المهدوية ومحاولة انتهاز أية فرصة مناسبة للانقضاض والاستيلاء على دارفور، وإقامة نظام ومراسم السسلطنة من جديد. علَّ ذلك تبينه لنا مغادرته لأم درمان في وقت كانت فيه التسورة المهديسة بحاجة إلى ذرة أي جهد وطنى وقوة أي رجل في قلبه ذرة إيمان بمبادئ المهدية. في هذا اللحظات الحرجة من تاريخ السودان ومن تاريخ الحركة المهدوية (فر السلطان علي دينار بأنصاره إلى دارفور) (16). الأمر الذي يؤكد على وجود التنظيم المحكم والترتيب الدقيق والتخطيط والإعداد المسبق. إذن كان السلطان الشهيد على دينار يقيم في أم درمان بجسده، وروحه وقلبه معلقان في الفاشر ودارفور عموماً. وأن الكفاءات المقتدرة التي جمعها حوله تدل على نظرته البعيدة. وكما تقدم فقد اتجه عشية الحملة الانكليزية المصرية صوب الفاشر من نقاط اللقاء المختارة بدقة وبعناية. وكان محمود ود أحمد لحظتئذ قد ترك في الفاشر حامية مؤلفة من ثلاثمائة رجل بقيادة أمبذي الرضى التعايشي، وتوجه صوب أم درمان، وترك حامية أخرى في كبكابية مسلحة ب (50) بندقية بقيادة الفكى سنين التاماوي.

34 ====

⁽¹⁶⁾ المصدر السابق، ص 823.

وفى 1897م هرب رجل من سلاطين دارفور يدعى إبراهيم على من جيش محمود ود أحمد ولجأ إلى السردار قائد الحملة الانكليزية المصرية على السسودان. الأمر الذي يلقى الضوء وبكثافة شديدة على ما يجري في دارفور الآن من أحداث من غير رتوش أو لف أو دوران أو تجبير لحقائق التاريخ والالتفاف حولها. وأذن له السردار بالذهاب إلى دارفور وجمع أهلها على طاعة الحكومة باعتباره عميلاً متبرعاً بعمالته لصالح الحكومة الإنكليزية حقيقة المصرية إسماً. ولكنه لحسن حيظ السلطان الشهيد على دينار قد تأخر العميل في الطريق وقبل وصوله أم شنقة كانت واقعة أم درمان 1898م. وفي هذا الأثناء كان السلطان على دينار قد أتى الفاشر وطرد منها القائد المهدوي أمبدي الرضى إلى غير رجعة، ولما لم يكن بد من التقهقر وشعور أمبدي الرضى بإيذان شمس المهدية للغروب وبمنطق حساب الربح والخسارة بعيداً عن التمسك بالمبادئ وأخلاقياتها أنضم الأخير إلى إبراهيم على في أم شنقة، وفضل أن يكون عميلاً للنظام الجديد بدلاً من أن ينضم إلى السلطان على دينار أو أن يلحق بالخليفة. وقدر بأن انضمامه إلى الحملة ونظام الحكم البريطاني الجديد قد يمنحه مكانة وفرصة جديدة في الحياة. الأمر الذي يؤكد على ضعف الولاء للمهدية، لأنه لا زالت الدولة المهدية تلفظ أنفاسها الأخيرة ولم تمت بعد لأن الخليفة وهو القائد العام لا يـزال على قيد الحياة ومعه ثلة من رفاقه. وعلى صعيد آخر رأي السلطان الشهيد على دينار أن دخول إبراهيم عليه في الفاشر وهو سليل العائلة المالكة من غيــر منـــازع يعتبــر تعدياً (17) صريحاً من قبل هذا الدعى وهو تجاوز للخط الأحمر. وأيضا كان هناك دعى دارفوري آخر يدعى حسين أبوكوده الدارفوري. بيد أنه بوصول السلطان الشهيد على دينار سلم إليه الأخير زمام الأمر فعينه الأول مكافأة له على هذا التتازل أميرا على الكرنك (18). أما إبراهيم على فلم يجد بدأ من التقهقر بعد أن جرد عليه السلطان على دينار جيشاً هزمه ورده على أعقابه. فبعث إبراهيم على إلى السردار يطلب منه المدد لمنازلة السلطان الشهيد على دينار ومحاولة طرده من دارفور. بيد أن السردار وقائد

H.A. Macmicheal: (Notes) OP. cit. PP. 27.

⁽¹⁷⁾ المصدر السابق، ص 964-965. أنظر أيضاً:

⁽¹⁸⁾ المصدر نفسه.

الجيش الانكليزي كتب إليهما يوفق بينهما حتى يتسنى للجيش الثنائي البريطاني التفرخ لاحتلال دارفور. ورأي إبراهيم علي أن لا مناص من التقهقر والتسليم بالأمر الواقع، فكر راجعاً إلى أم درمان (19)، يبدو أن المعلومات التي وفرها سلاطين باشا النمساوي فكر راجعاً إلى أم درمان (19)، يبدو أن المعلومات التي وفرها سلاطين باشا النمساوي وقيادته لم تكن مطمئنة ولم تدفع بالجيش الغازي وقيادته إلى إختيار السلطان على دينار ليكون عميلاً آخر بديلاً عن إبراهيم على. بيد أنه من ناحية أخرى فإن سكوت الجيش الغازي ومحاونته التوفيق بينهما هو من باب التسكين المؤقت ريثما تنجح الحملة في مسعاها بالإستيلاء على كل السودان وتوطيد أقدامها ومن شم تلتفت إلى دارفور وتستولي عليها بالقوة وبقراءة لما وراء السطور في الفقرة السابقة يلحظ القارئ طبيعة الشخصية الدارفورية المتمردة دوماً والمتطلعة إلى التفلت والخسروج على القيادة والسلطة المركزية واعتدادها بنفسها وتصارعها فيما بينها. ولعل ذلك يفسر كثرة التحركات السياسية القائمة الآن بدارفور بدون مبرر منطقي أو وجود فوارق أطروحات ذات جذور موضوعية ومنطقية بقدر ما أنها محورية النذات شخصانية التوجه فردية القرار استعلائية القيادة لا تحكمها معايير أو استراتيجيات بقدر ما هي السجابة بوعي أو بدون وعي لأجندة أجنبية بمقابل أو بدون مقابل.

ز - السلطان الشهيد علي دينار والاحتلال:

سبق وأن رأينا أن اختيار الجيش الغازي قد وقع ابتداء علي إبراهيم علي ليقوم بدور كرزاي أفغانستان أو علاوي العراقي بإخضاع دارفور تحت راية الجيش المحتل مما يعني أن السلطان الشهيد علي دينار لم يكن يومئذ خياراً مفضلا للإنكليز. بيد أن السلطان الشهيد علي دينار القائد الجسور والسياسي المحنك الذي أفنى ردحاً من عمره قائداً وهو من أبناء السلاطين وقد آلت خلافة قيادة دارفور إليه بدون منازع خالل الفترة الماضية لا يمكن أن يغفل دوره في مثل هذه الظروف الحرجة من تاريخ دارفور على وجه الخصوص وتاريخ السودان على وجه العموم. ولذا كان لا يسمح

⁽¹⁹⁾ المصدر نفسه.

لأحد كائناً من كان أن يتجرأ على انتزاع القيادة منه ولو بالخطأ أو حتى منافسته تحت أي مسمى من المسميات. لذا سارع ودونما توجيه من أحد عشية غزو القوات الانكليزية للسودان ووصولهم إلى المعركة الفاصلة في كرري سارع إلى الفاشر رأساً لاستعادة سلطنة آبائه. وكان في ذات الوقت مستعداً لأية مقاومة وهذا يفسره موقف تجاه رجلين من أبناء السلاطين أولها أبو كوده وثانيهما إبراهيم علي. فقد أخذ من الأول زمام المبادرة وسحب البساط من تحت الآخر بأن جرد عليه جيشاً لهزيمته.

ولم يكن السلطان الشهيد علي دينار يومئذ في موقف يؤهله لمقاومة الجيش الغازي. ولكن الملفت للنظر والخطير فعلاً في الأمر أنه قد ناصب مبعوث السردار الانكليزي العداء منذ الوهلة الأولى دون هوادة، لأنه قد تجاوز الخطوط الحمراء لديه، الأمر الذي قد يجر عواقب وخيمة عليه وعلى بلاده ولكنه بالرغم من ذلك لم يبال بالعواقب أياً كانت درجتها، وأياً كان مصدرها. بيد أن الجيش الغازي على المصعيد الآخر لم يكن يومها في وضع يؤهله لمواصلة غزو بقية بقاع السودان الشاسعة ودار فور الواسعة على وجه التحديد. وكانت قوات الاحتلال ترمي حين غزوها للسودان إلى ليجاد شخصية دارفورية كارزمية عميلة سهلة القياد خالف كارزمية وشخصية السلطان الشهيد على دينار المعروف بتمرسه وعناده تستطيع القضاء على نفوذ المهدية في دارفور وتحكم البلاد وتخضعها للحكم الثنائي البريطاني دونما خسائر، وتكون على استعداد لتسليم مفاتيح دارفور طوعاً واختياراً لمندوب الحاكم الانجليزي دون نقاش. لذا نلاحظ أن خطاب السردار إلى كل من إبراهيم والسلطان الشهيد على دينار كان يعني قدراً من المرونة والمكر والدهاء السياسي. ويوحي بأن هناك خيطاً ممدوداً يمكن التعامل من خلاله مع أي منهما متى سنحت الفرصة.

لقد اهتبل السلطان علي دينار هذه الفرصة السانحة بذكاء وبعث بخطاب إلى السردار يعلن له فيه طاعته. ويبدي رغبة أكيدة في أنه سيحكم دارفور مقابل ضريبة اسمية يدفعها لحكومة السودان (20)، وللمرة الثانية يكرر السلطان الشهيد علي دينار ذات اللعبة السياسية الذكية التي لعبها من قبل مع المهدية، وهي عملية شراء الزمن الذي قد

⁽²⁰⁾ نعوم شقير مصدر سبق ذكره ص، 965. انظر ايضاً:

يكون في صالحه إذا ما رسخت أقدامه في دارفور ومن ثم يقلب ظهر المجن لها، ولكنه هذه المرة يكررها على مسرح آخر، مع قيادة جيش الإحتلال الجديد الانجليزي بخبراته واستخباراته مما يدل على قراءته الجيدة لمعطيات الواقع ووضور رؤاه المستقبلية. فبذات القدر الذي ظلت تلعب فيه السلطة المحتلة معه دوراً مرحلياً كان هو من جانبه يقوم بمغازلتها بذات المستوى من الذكاء والدهاء وكان كل منهما يتعامل مع الآخر من زاويته التي تقاطعت فيها مصالحه مع الآخر. وهو دور أشبه ما يكون بدور القط والفأر، الكل يتربص بالآخر ويرى أن الأيام كفيلة بحسم الأمر لـصالحه. ومما يجدر ذكره والتأمل فيه أنه بمجرد وصول السلطان الشهيد على دينار إلى دارفور عمل ختماً نقش فيه: السلطان على دينار بن السلطان زكريا بن السلطان محمد الفضل بن السلطان عبد الرحمن الرشيد بن السلطان بكر 1316هـ (21). فيما يتصل بالنقطة الأولى ومراسلته ومبادرته للسردار بإعلان الطاعية أمر ليه مدلوليه المنطقي والموضوعي في ذات الوقت إذ كان ينشد بذلك نزع اعتراف مبدئي بسلطانه على سلطنة آبائه وأمجاده من قبل المحتل. هذا بالرغم من عدم قناعته بلزوم ذلك، حيث أعلن نفسه سلطاناً على دارفور من أول يوم وصل فيه إلى ديار آبائه وأجداده وعمل الخاتم الرسميّ مما يدل على تصميمه المسبق على استعادة مجده وإحياء سلطنة الآباء. ولكن المصلحة العاجلة، والدهاء السياسي يقتضي منه ذلك السلوك المرحلي. أما محاولة أثبات شرعية سلطانه ليست بحاجة إلى إقرار الحكومة الثنائية البريطانية الغازية المحتلة، ولكنه كان يدرك مدى الخطر الذي يمكن أن يحدق ببلاده في حالية مناصبته العداء لهذا النظام السياسي القاهر الجديد في البلاد منذ الوهلة الأولى. فقد رأي بأم عينيه ما حاق بالثورة المهدية من تقتيل وتشريد وخراب ديار. لذا حاول انتزاع الاعتراف من الحكومة الثنائية البريطانية. وضمن خطابه إقراره بدفع جزيسة سنوية ليضمن استقلاله شيئاً ما، وليضفي شرعية قانونية على نظامه ووجوده. في رأي الكاتب أن هذا السلوك من السلطان الشهيد على دينار في وقته يدل على واقعيته وقدرته على التعاطى مع الواقع بذكاء وبوعى تام، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله،

A.C. Beaton op. Cit. PP.5

Moreover see: S.I.R. 90/8-9 1st to 31st January, 1902.

⁽²¹⁾ نعوم شقير مصدر سبق ذكره، ص 965. انظر ايضا:

والسياسي الناجح هو الذي يستطيع التضحية بالأهداف الثانوية في سبيل تحقيق الأهداف الإستراتيجية الجوهرية. وهذا ما تقوم به كثير من الكيانات السياسية المعاصرة على مستوى السودان أو العالم الأفريقي والإسلامي. فمثلاً في السودان لقد ضم تنظيم الجبهة الوطنية في سبعينيات القرن العشرين متناقضات ومتنافرات ما بين طائفية وحركة إسلامية واتحادي ديمقراطي. وضم تنظيم التجمع في تسعينيات القرن الماضي وبدايات الألفية الثالثة متناقضات غريبة وعجيبة شيوعيين وطائفية واتحاديين وهكذا ...الخ.

إذن كانت دبلوماسية السلطان الشهيد على دينار دبلوماسية ناجحة وذكية في ذات الوقت لا سيما إذا علمنا أن وجود سلاطين باشا النمساوي الأصل في صفوف الجيش الغازي وصداقة السلطان الشهيد على دينار القديمة له قد أفادته إلى حد كبير في انتزاع الاعتراف به من قبل الحكومة الثنائية البريطانية بسيادته على بلاده في دارفور (22). وتمكن السلطان الشهيد على دينار بكفاءة من توظيف واستثمار هذه العلاقة إلى أقصى مدى ممكن دون أن يضر ذلك بثوابته وأهدافه الاستراتيجية الغربية والبعيدة المدى.

ومن المعروف أن سلاطين باشا النمساوي كان حاكماً سابقاً لدارفور في الفترة التركية (أي الحكم المصري السابق). وقد تناول تاريخ دارفور بشيء من التقصيل وبقدر من التعاطف في كتابه السيف والنار المطبوع (1895م) وان كان قد ضمنه طائفة من الأكانيب وقدراً من التحامل على الثورة المهدوية وقادتها لخدمة أهداف غربية ذات بعد استخباراتي واستراتيجي في السياسة الإقليمية وإضفاء شرعية على حركة الغزو الانجليزي للسودان. وقد قام صديقه ونجت (ريجناله) رئيس قلم الاستخبارات في الجيش الثنائي البريطاني والحاكم العام في السودان فيما بعد بترجمة هذا الكتاب الذي تلقفه الأكاديميون السودانيون الأوائل بشراهة وغفلة وجعلوه في بعض الأحيان مصدراً من المصادر الأصيلة، علماً بأن هذا الكتاب هو صنيعة استخباراتية استعمارية. فقد ترجم هذا الكتاب بعلاته وبأكاذيبه إلى اللغة الانكليزية (1896م)(23).

⁽²²⁾ D.S.A.Intell 301/6.

⁽²³⁾ نعوم شقير مصدر سبق ذكره، ص845-847.

فلعل لصداقة السلطان الشهيد على دينار وصلته بسلاطين أثر في ذلك، أي في تناول سلاطين لتاريخ دارفور بشيء من التعاطف. كما أثرت تلك الصداقة على الإسراع بانتزاع الاعتراف من الحكومة الثنائية البريطانية بسيادته على بلاده باعتباره سلطانا مستقلاً: (أسس حكومته على مثال سلطنة أجداده وصنع ختماً للسلطنة كأختام أجداده)(24) هذه العبارة أوردها نعوم شقير في كتابه تاريخ وجغرافية السسودان ومن المعلوم أن كتابه قد ألفه (1903م). وهو رجل يتبع للمخابرات الثنائية البريطانية شان كثير من الشوام أو ممن تناولوا تاريخ السودان خلال هذه الفترة ممن عملوا في سلك الحكم البريطاني حقيقة المصري اسماً، لذا فإن ورود هذه الإشارة وبهذا القدر تدل على استقلالية السلطان ببلاده ومنذ اليوم الأول وأن الحكومة الثنائية البريطانية كانت على علم بذلك. وبذا نستطيع أن نجزم بأن السلطان الشهيد على دينار قد استطاع ومنذ اليوم الأول أن ينتزع الاعتراف به من قبل الحكومة الثنائية البريطانية باعتباره كياناً مستقلاً وباعتباره أمراً واقعاً ورقماً لا يمكن تفاديه أو تجاوزه في المعادلة السودانية. لا شك أن هذا القدر من الحقيقة التاريخية في دارفور يمكن أن تفسر من خلاله أحداث دارفور المعاصرة إذ تخطئ أي حكومة تتجاوز أهل دارفور أصحاب السلطة التاريخية في موازناتها السياسية وفي تركيبتها الإدارية. فأهل دارفور كانوا ولا زالوا وسيظلوا يشكلون محور الأحداث والفاعلية الإيجابية في دارفور وفي السودان عموماً ويكفى أنهم الآن متغلغلون في كل التنظيمات السياسية الإسلامية والعلمانية والحديثة على حد سواء. ففي الجيش لا يقل عددهم عن 40% وكذلك في الشرطة وفي التعليم العالى فإن نسبتهم بين الأساتذة قد تصل إلى الستين في المائة (60%) وكذا بين طلاب الجامعات السودانية وفي دواوين الحكومة المختلفة. فإن عددية على هذا القدر وفاعلية على هذا المستوى لابد من أن يوضع أمرها في الاعتبار. ويلاحظ المرء كأنهم جميعاً يـشكلون تنظيماً سرياً متواصلاً بالرغم من توزيعاتهم المختلفة وتواجدهم المتنوع وتوزعهم على كل ألوان الطيف السوداني. فهم أصحاب سلطة تاريخية ومجد حسضاري فاعل في المنطقة كلها مما يعنى ضرورة إعطائهم مساحة من الحركة في أي معادلة سياسية

⁽²⁴⁾ المصدر نفسه، ص 965.

الفصل الأول - على دينار - المولد - النشاة

قادمة. وإن لا فهم جاهزون لإحداث هزة في النظام السياسي القائم مهما كان توجهه ولونه وطبيعته. شأنهم شأن معظم القبائل الكبيرة المستقرة أو المشتركة بين دارفور ودول الجوار التي كانت وما زالت وستظل تشكل مهدداً أمنياً هاماً خطيراً ومؤطراً للسياسة السودانية الخارجية عبر التاريخ.

ح- إسلامية السلطنة والوجود العربي بدارفور والحفاظ على الهوية:

لقد استطاع السلطان الشهيد على دينار بذكاء ووعى تام انتزاع الاستقلال من قبل الحكم الثنائي 1900م (²⁵⁾. ولعل وجوده في الاعتقال التحفظي لفترة من الزمن بجانب الخليفة وحضوره صلاة الجماعة بانتظام ودروس مجالس الخليفة العلمية بأم درمان قد كون لديه شعورا بضرورة أحياء العقيدة في مجال سياسة الراعي والرعية وعليه فان رفضه للدعوة المهدوية لم يكن يشكل رفضاً للإسلام وانما كان يرى بأن إرثه الإسلامي أصيل، وأن حملة مشاعل الدعوة المهدوية منبتو الأصول الحضارية والتاريخية، فما المهدي في نظره إلا رجل من عامة الناس وكذا الخليفة، أما هو فهو ابن السلاطين وسليل السلطة الحاكمة في دارفور باسم الإسلام لمدة تزيد على الأربعة قرون من الزمان وبالتالي كان يأنف من الدنيوية والخضوع لقيادة المهدية، وهذا شأن أصحاب المجد التاريِّخي الذين يصعب أن يسلس قيادهم لمن هم أحدث منهم في هذا المضمار، مضمار القيادة والسياسة إذ يرون فيهم مستجدي نعمة ومتطاولين على حق ليس لهم فيه نصنيب من الدعم التاريخي. وهذا النوع من الناس يكون دوماً أسير موروثه التاريخي وحبيس ماضيه وبالتالي لا يضع اعتباراً للكفاءة والمنافسة الحرة الشريفة في هذا المجال، إذ يعتبر نفسه أنه خلق للحكم أي ليصير حاكماً وليس محكوماً وأن غيره خلق ليكون محكوماً له. وهذه مشكلة أحفاد الطائفتين التقليديتين في السودان الآن (الانصار والختمية) مع الطبقات المثقفة الحديثة في السودان. وفي كثير من بلدان العالم الثالث ذاتى الطبيعة العشائرية أو القبلية أو الملكية أو الشاهشانية. فبوصوله الفاشر أطلق على نفسه أِلقاباً ذات صلة وثيقة بالنظام السياسي الإسلامي في زمن

⁽²⁵⁾ Sir Reginald Wingate .D.S.A.Intell.103/66.

السلف مثل قوله: (فمن ... أمير المؤمنين ... السلطان على دينار)(26). وقوله في خطاب آخر: (فمن عبد ربه الراجي عفوه المعتصم بالله أمير المؤمنين وسلالة الطيبين الطاهرين)(27). وفي خطاب ثالث جاء قوله: (فمن حضرة السلطان الأعظم والخليفة الأكرم من دانت له جميع الأمم وخضعت له رقاب العرب والعجم أمير المؤمنين)⁽²⁸⁾. هذه الإشارات لها دلالتها الموضوعية والتاريخية والعرقية والحضارية، فدارفور كانت ولا تزال وستظل هي موطناً وموئلاً للعرب والعجم. ولأن دماء كل فريق قد جرت في شرايين الفريق الآخر تزاوجاً ومصاهرة ومؤاكلة ومشاربة وثقافة وديناً ... والعلاقات الإجتماعية والإدارة والتنظيمات القبلية والعشائرية تحكمها نظم وأعراف وتقاليد وقيم وسماحة ودماثة خلق لا يتجاوزها المقدر السياسي أو العلمي أو المعرفي للفرد مهما كان ومهما كانت درجته العلمية أو السياسية أو الفكرية. فلكل ماعون إجتماعي محدد وسقف لا يتجاوزه. ومهما كانت المشكلة على درجة من التعقيد وإن بلغت إهدار الدم فلها في دارفور حل وألف حل في ظل الأطر الاجتماعية والأعراف والتقاليد والقيم السائدة الموروثة. وتربى بعضهم في أحضان وبيوت البعض الآخر فهذا موسى هلال الحالى قد تربى ونشأ في بيت التجاني آدم الطاهر وهكذا دواليك. فيحكي لي دكتور عبدالمجيد عبدالرحمن المدير التفيذي لمكتب مدير جامعة النيلين بأنه قد حضر ذات مرة مجلس صلح في الخرطوم بين فريقين متحاربين في دارفور أهريقت بينهما دماء فما أن حضر الطرفان وقد كان رأس الفريق الأول قد تربى في بيت رئيس الفريق الأخر فذكره رأس الفريق الآخر بذلك قائلاً له: أتريد أن تقتل أمى أو أختى فلانة؟ حتى جهش الفريقان بالبكاء وتعانقا واعتبر الفريقان أن ذلك صلحاً قد تم دون توقيع معاهدات أو إجراء عقوبات على الفريق المعتدي. فهذه هي دارفور الأصالة والعراقة والتداخل العرقى والتسامح.

⁽²⁶⁾ خطاب من على دينار بتاريخ 1316/4/1هـ الى كافة من يطلع على هذا الرسد. (130 S.N.A. Intell الم

⁽²⁷⁾ خطاب من على دينار في 1317/4/8هـ S.N.A. Intell 1/30 S.N.A. Intell 1/30

⁽²⁸⁾ خطاب من على دينار في 1316/8/4هـ

ولا يخفى أن أي محاولة توصيفية تتجاوز هذه المعرفة التاريخية وهذه المفردات الثقافية وذلك الإرث الحضاري التليد مصيرها الفشل. وأي حزب سواء أكان دارفورياً أم طائفياً أو علمانياً أو إسلامياً عميلاً أو عليماً أو جاهلاً أو مثقفاً يتبنى طرحاً خـــلاف ذلك الموروث الحضاري هو حزب منبت الأصل والفكر تاريخياً واجتماعياً وثقافياً عن موروث دارفور السياسي والاجتماعي والثقافي والحضاري. ويلاحظ المرء أن معظم خطابات السلطان الشهيد على دينار التي كتبها في فترة مبكرة كانت تحتوي على مثل هذه العبارات الإسلامية التي تفوق العد والحصر. وهذه دلالة إسلامية تلقي السضوء على هوية السلطنة والسلطان منذ الوهلة الأولى. وهناك دلالسة أخسرى تتمثل فسى استخدامه التاريخ الهجري بانتظام في كل مكاتباته الرسمية والشخصية على الإطلاق. وهو بهذه الكيفية وبهذا السلوك المتفرد والمتميز قد تجاوز عقدة الدونية التسى شكلت رؤى كثير من الساسة وقادة الفكر الحديث والمعاصر الآن سواءُ على مستوي دارفور أو السودان أو العالم الإسلامي ممن أصبحوا يقدمون في مراسلاتهم التاريخ الإفرنجي على التاريخ الإسلامي. ودلالة ثالثة تؤكد على إسلاميته التي لا تقبل الجدل تتجسد في تطبيقه الأحكام الشرعية دون هوادة، وقد أشار إلى ذلك بقوله: (فهو أنى معاهد الله أن الذي يغير أو يبدل الأحكام الجارية حسب الأصول العادلة من جماعتنا التي تحت ركاب دولتنا ولو يكون ابنى لو انحرف عن الحق الشرعى لا أرفع عن إيقاع أحكام الجزاء اللايق به كما يقتضيه الشرع المحمدي) (29).

- بكل ثقة يمكن أن نقرر بأن دولته كانت تشكل نقلة نوعية حيث كانت تحكم بشرع الله وتنفذ أحكامه العادلة ولا تتعامل إلا بمصطلحات القاموس الإسلامي في تعاطيها مع القوى المحلية والإقليمية. ولا يكاتب السلطان الشهيد على دينسار أحداً إلا بالتساريخ الهجري. وهذا التوجه فيه محاولة جادة لإبطال المشروع الغربي في السسودان وفسي العالم الإسلامي مما يؤكد على أن السلطان على دينار كان رمزاً وطنياً وإسسلامياً دلالة رابعة: وهي أن حكمه لا يعدو عن كونه امتداداً طبيعياً لسلطنة آبائسه وأجداده وهي سلطنة إسلامية بكل المقاييس ويقرر ذلك بقوله: (إن مملكة دارفور فسي العسادة

⁽²⁹⁾ خطاب من على نينار إلى سلاطين في 3/3/1321هـ S.N.A. Intell 7/1/5

القديمة ملوكها وكافة أهل الوظائف التابعين ركاب السلطنة لهم عوايد تجري عليهم من آبائنا وأجدادنا السلاطين الماضين. كانت قبل خراب دارفور موجودة .. والآن بعودة أهل الوظائف من الملوك والشراتي والدمالج وسلاطين ديار رغبوا منا إعمال عوايدهم لهم كالعادة القديمة)⁽³⁰⁾. هذه المفردات غاية في الأهمية من الوجهة التاريخية وإيرادها في هذا السياق كانت مقصودة لتؤدي هدفاً مرسوماً لأنه بهذا النص أراد السلطان الشهيد على دينار أن يقرر عزمه على قيام نظام إداري جديد على غرار ما كان سائداً في السلطنة قبل خرابها. وهذه التسميات لم يسبق لنظام آخر قيامه بها، وهي مصطلحات إدارية وتنظيمية وسياسية تفردت بها سلطنة دارفور تاريخياً عن غيرها فالشراتي: هم في مقام المدراء. والدمالج: تعني مأمورين. والملوك هم رجالات الإدارة المركزية في البلاد (31).

- مهددات الأمن ومحددات السياسة الخارجية السودانية الحالية:

وبهذه الإشارة قرر السلطان الشهيد على دينار فعلاً أن النظام قد استكمل بناءه وفقاً لما كان سائداً في عهد أجداده وأكد على أنه امتداد طبيعي لما انقطع من مسشوار هذه السلطنة ونظامها السياسي والإداري. وهذا بدوره يعطي بعداً استقلالياً متميزاً. ويوحي بأن التبعية الدارفورية للحكومة الثنائية الانكليزية المصرية كانت تبعية إسمية. إن هذه المفردة التاريخية الهامة تشير إلي أن دارفور في تاريخها القديم والحديث والمعاصر يغلب عليها النظام السياسي التقليدي من حيث الإذعان والطاعة للأرقام التاريخية أكثر من استجابتها للعناصر الحديثة منبتة الأصل أو التي تحمل ثقافة وقيماً مخالفة للموروث السياسي والمعرفي في دارفور وان حاولت في الظاهر تجاوز الموروث والخروج على المألوف فإنها لا تستطيع أن تحدث استقراراً أو هدوءاً في دارفور في الوقت الراهن أو المستقبل القريب ذلك لأن مشكلة دارفور هي غاية في التعقيد إذ ترتبط ارتباطاً وثيقاً باثنياتها وبعرقياتها التي تزيد على الاثنى عسشر أثنية

⁽³⁰⁾ D.S.A. Box 110/6 Macmicheal (Notes) OP. Cit. PP. 27-33.

⁽³¹⁾ نعوم شقير، مصدر سبق ذكره ص 176- 177. أنظر أيضاً: محمد بن عمر بن سليمان التونسي: (ملحق جومار)، ص 416-417.

مشتركة بينها وبين تشاد والنيجر ومالى ونيجيريا وأفريقيا الوسطى وليبيا في آن واحد. وهي تشكل مهددات أمنية دائمة ومحددات هامة في التعاطي مع الـسياسة الخارجيـة للسودان وهم مجموعة الزغاوة والمساليت والقرعان والفور والطنجور والسداجو والمحاميد وغيرهم من الأثنيات التي سيتعرض لها كتابنا الذي سيصدر قريبا تحت هذا العنوان المتقدم. وبالتالي فإن فرض أي نظام حديث بالقوة ودون وضع اعتبار لهذه المعطيات الهامة والخطيرة في ذات الوقت ومتجاوزاً هذه الأطر التقليدية يكون خاطئاً إلا بعد حدوث تحول ثقافي عميق وتحول اجتماعي دقيق واهتمام فائق بإعداد الكادر البشري ورفع كفاءة وعيه السياسي والاجتماعي والاقتصادي ومعالجة الروابط العرقية مع دول الجوار عن طريق مساجلات ومحادثات وحوارات طويلة الأمد وتخطيط أمنى واستراتيجي واقتصادي وتكاملي مشترك بين السودان وهذه الدول المشتركة معه في هذه الاثنيات والعرقيات المتعددة. ولعل هذه هي مشكلة السودان التي ستظل تـشكل قنابل موقوتة لا يفك طلاسمها إلا التكامل والرؤية العقلانية من قبل القيادات الفاعلة والمؤثرة في هذه الدول مجتمعة. ولعل الغالب الأعم من الساسة عندنا في السودان وفي دول الجوار انفعاليون مرتزقة وتجار سياسة نفعيون أكثر منهم عقلانيين ومصطحيين أكثر مفهم وطنيين مخلصين إذ تجدهم في الغالب يعملون لرفعة شأنهم لا لرفعة الوطن أو الأمة ولبناء أسرهم لا لبناء المجتمع الذي هتف باسمهم ويوعدون فيخلفون ويقسمون فيحنثون ويدعون فيكذبون ويقولون ما لا يفعلون. وان أمر السياسة في السودان وفي كثير من الدول العربية والأفريقية والإسلامية يقوم على الأفعال وردودها، وعلى الكسب الرخيص مقابل التضحية بالأهداف القومية والمكاسب الوطنية. فبعد أكتوبر في السودان على سبيل المثال لا الحصر رفع اليسار شعار التطهير واجب وطنى ففقد السودان بذلك خيرة كوادره المدنية نتيجة غيرة حزبية متشنجة وتصفية حسابات شخصية لا تمت للمصلحة الوطنية أو القومية بصلة. وفي عهد مايو رفع اليسار مرة أخرى شعاراً آخر ألا وهو تصفية الإدارة الأهلية دون دراسة واعية وتحليل موضوعي ففقد السودان أحد ركائز الاستقرار فيه بغض النظهر عهن موافقتنها علمي سلوكها

وممارساتها بيد أن العقل يقول أن الحياة لا تقوم على الهدم لما هو موجود وإنما العقل السليم يقول أن تطوير ما هو موجود هو الطريق القويم للوصول إلى نتائج أفضل. ولم يكن البديل واقعياً أو فعالاً والذي تجسد في خطرفات جعفر محمد على بخيـت والتـي قبرت بزواله. وتمت عملية تنزيل السلم التعليمي على الواقع دون دراسة فأصبح الطالب يقرأ ولا يكتب إلى أن جاء الوقت الذي لا يحسن فيه القراءة ولا الكتابة معاً كما قدمنا. وتمت تصفية النقل الميكانيكي في عهد الإنقاذ دون دراسة. فامتلأ السودان بقدر هائل من الحديد والسيارات التي لا تتاسب البلد والتي تم استيرادها بعملات صعبة خصماً على مقدرات هذه الأمة ودخلها القومي لصالح مجموعة لا تخاف إلا ولا ذمــة في مقدرات وحق هذا الشعب الأبي الكريم. وتم التوقيع على اتفاقية نيفاشا دون أخذ رأى الأمة. وهكذا ما حدث في القاهرة من اتفاق من أجل هم الحصول على كراس في الحكم دون مراعاة حقوق ومصالح الشعب. ويجتمع في الخرطوم ثلاثة من السشيوخ الذين تجاوزهم الزمن ومعظمهم تجاوز السبعين ليقرروا دون تفويض مسصير أمسة ويزعمون بأنهم قادرون على إيقاف الحرب في دارفور وهم فتيلة إشعالها. ولعل من مصائب هذه الأمة أن يتسلط عليها أمثال هؤلاء المتسيسون الأنانيون الذين بلغ ببعضهم من الكبر عتياً وما زالوا يتشبسون بأهداب السلطة بل أن بعضهم ظن انه مخلد ولدو كان مخلداً لما آل إليه الأمر. لأن السلطة عارية من الله يأخذها كما يأخذ صاحب الأمانة أمانته متى شاء وأنى شاء وبالكيفية التي يشاء .فكم من عزيز ذل، وكم من قوي ضعف، وكم من غنى قد افتقر وانفض عنه السامر. وهم ليسوا بدعا من ذلك القدر الإلهى الماضى وليسوا استثناء من سنن الله الجارية على مخلوقاته فبعضهم قد حفر الزمان على جبهته وخدوده حدوداً أو مجار أنهار وأدمع، وبعضهم ضعف بصره وكلُّ متنه حتى أصبح يتوكأ على عصاه أو على غيره وما زال متشبثاً بالسلطة وبعضهم أبيض شعر رأسه ولحيته وشاربه فجعل يخفيه بأصباغ نسيأ وتجاوزا لجيله ولكن هیهات هیهات!

ط- السلطنة الدارفورية بين الاستقلال والتبعية:

لعل نقاشاً قد يدور بين الباحثين حول مدي الاستقلالية التي تمتعت بها هذه السلطنة في عهد السلطان الشهيد على دينار. وهل هذه السلطنة كانت مستقلة أم لا؟ في تقدير الكاتب أن هذه السلطنة قد تمتعت بلا شك باستقلالية تامة وواضحة سواء أكانت دستورية أم إدارية أم عسكرية أم تنفينية أم تستريعية أم قصائية أم شكلية، ومارستها واقعاً لا مراء فيه. الأمر الذي اقتضى دراسة علاقاتها على ضوء هذا التقدير واعتبارها إحدى انجازات السلطان الشهيد على دينار، الأمر الذي أهله لأن يقود أول مقاومة وطنية بالبلاد، مقاومة متفردة في وسائلها وأطروحاتها وموضوعها ونتائجها وعلاقاتها ومواقفها المحلية والإقليمية والدولية.

- أهم الملامح الاستقلالية هي:

أولاً: أن التسميات (32) التي وردت في وثائق هذه السلطنة تعكس روحاً استقلالية تامة شكلاً ومضموناً عن النظام الأوربي المزمع قيامه في البلاد. وينافي وجودها بتلك الكيفية المتميزة ذات الإرث الحضاري والبعد التاريخي، التبعية بأي مستوى ولائي سواء للخديوية المصرية أو الحكومة الإنجليزية أو السلطنة العثمانية بتركيا. وتعتبر هذه المصطلحات ذات دلالة تاريخية وحضارية في النظام السياسي الإسلامي.

ثانياً: إن الحكم بشرع الله الذي نفذه السلطان الشهيد في دارفور دون هوادة كما تقدم له مغزى استقلالي مطلق عن النظام المطبق في بقية أجزاء السودان الخاضعة للحكم المصري الانكليزي.

ثالثاً: استخدام التاريخ الهجري من قبل السلطان الشهيد على دينار منذ الوهلة الأولى لتوليه الحكم في دارفور يعتبر بعداً استقلالياً واضحاً واتجاهاً وطنياً محرراً من رؤية الغزاة البريطانيين.

⁽³²⁾ J.E. Boustead. OP. Cit. PP. 142-149.

رابعاً: إقدام السلطان الشهيد على دينار ومنذ الأيام الأولى على صك عملة خاصة بدولته يعتبر ذلك عاملاً استقلالياً هاماً (33). لا يستطيع أحد إنكاره حتى بمقاييسنا الحالية، لأن العملة مظهر سيادي. وهو بهذا الإجراء قد ضرب بمسمار في نعش تبعيته للنظام الانكليزي بالبلاد.

خامساً: ومما لا ريب فيه أن مطالبته المستمرة بتحديد الحدود الفاصلة بينه وبين الحكومة الثنائية البريطانية والإشارة إلى أن حدود دارفور قديماً كانت تشمل كذا وكذا يدل ذلك كله على قناعته التامة بالاستقلال الكامل وغير المشروط وبدا يعلن براءته التامة عن التبعية للحكم المصري الإنكليزي في البلاد (34).

سادساً: إن ورود كلمة دولتنا الآنفة وقوله: (ولكنني مما صار جلوسي في كرسي مملكة آبائي وأجدادي ...) (35). تؤكد هذه الإشارة إلى أن السلطان الشهيد كان يعتبر أن الإقليم الذي يحكمه هو دولة تتميز بمراسمها وقوانينها وتقاليدها وأعرافها ونظمها الإدارية والسياسية والتشريعية والقضائية عن حكومة الانكليز التي أقاموها في الخرطوم بغياً وعدواناً رغم إرادة الأمة السودانية.

كل ذلك فيه دلالة إعلامية ورسالة واضحة للحكم المصري الإنكليزي بأنه مستقل بحكم بلاده لا يشاركه فيه أحد كائناً من كان. وهو مقتنع في قرارة نفسه بهذه الكيفية الاستقلالية وكل ما عدا ذلك يفسر لصالح هذا الاستقلال.

سابعاً: يلاحظ الدارس لتاريخ هذه الفترة في دارفور في فترة السلطان السشهيد على دينار قيام نظام إداري وقضائي وتشريعي وسياسي وعسكري يعتبر صنواً بل امتداداً طبيعياً لما كان سائداً في السلطنة قبل سقوطها عام 1874م ويستكل دلالة قوية على استقلالية هذه السلطنة الدارفورية، وبذا تعتبر السلطنة التي أوجدها السلطان الشهيد على دينار امتداداً طبيعياً لسلطنة دارفور بتقاليدها وإداراتها وأقاليمها (36)، وتنظيماتها وتشريعاتها وأعرافها ومراسمها وطقوسها.

⁽³³⁾ نعوم شقير مصدر سبق ذكره، ص 189. وقد قام السلطان علي دينار بصك العملة لأول مرة في 1317هـ.. 1899م.

⁽³⁴⁾ السلطان إلى سلاطين في 1901/2/7م

السطان إلى سلاطين في 9 رمضان سنة 1330هــ (35) السلطان إلى سلاطين في 9 رمضان سنة 1330هــ

⁽³⁶⁾ نعوم شقير أمصدر سبق نكره، ص 189.

ثامناً: محاولة السلطان على دينار الدعوبة لبناء قوات مسلحة مصادمة ووجود جيش مستقل عن جيش الاحتلال شكلاً ومضموناً، ولا يخضع جملة أو تفصيلاً لأوامر الخرطوم يعتبر ذلك في تقدير الكاتب دلالة استقلالية.

تاسعاً: لا يخفى أن إتباع السلطان الشهيد على دينار لسياسة داخليـة لا تـاتمر بـامر الخرطوم أو أي جهة داخل أو خارج السودان في ذلك الزمان يعتبر دليلاً قاطعاً على استقلاليته التامة والمطلقة من ذلك حملاته التي دأب على القيام بها علـى القبائل والبطون الخارجة عن سلطانه والتي كان الهدف منها تثبيت دعائم حكمه، مثل حملته على كل من المعاليا والرزيقات وكاجا سروج، ومحاولة إخضاع هذه القبائل وتلك المناطق لسلطانه دون أذن أو علم الحكومة المـصرية الإنكليزيـة المحتلة.

- جذور مشكلة دارفور الحالية وإمكانية حلها:

ولئن كانت النقطة السابقة في تقدير المؤلف ذات بعد موضوعي وتاريخي وثقافي وسياسي هام في تفعيل الأحداث الحالية في دارفور بعيداً عن الاستغلال الأجنبي الحالي. فإن دارفور كانت ولا يتزال وستظل بحكم تكوينها الطبيعي والبشري وموقعها الجغرافي منطقة رعي وزراعة كانت ولا تزال، ومنطقة قبائل رحل وقبائل مستقرة وقبائل مشتركة بين دارفور وجيرانها على امتداد هلامي ناحية الغرب وامتداد محدود ناحية الشمال والجنوب الغربي. فهذه الأثنيات المشتركة وتلقائية انتقالها وتجنرها في عدة دول مجاورة من أمثال تشاد التي توجد بها أكثر من عشر عرقيات لها امتداد طبيعي في السودان مما يؤثر على امن المنطقة القومي والسياسي والاقتصادي إذ يكفي الإشارة إلى أن الرئيس التشادي الحالي (ادريس دبي) هو زغاوي أباً عن أم وللقارئ أن يقوم بإكمال فصل القصة. ومن المألوف في ظل هذه الظروف الطبيعية والبشرية والثقافية أن تحدث منازعات وتمردات وخروج على السلطة المركزية وهي قضية قديمة حديثة من باب تنازع الزعامة، أو من باب الاعتداء الفردي أو الجماعي على أراضي

أو مزارع الغير. وهي مسألة طبيعية في ظل ظروف مكانية واجتماعية بهذا القدر من الخصوصية بمكان. ولا يمكن تجاوز ها أو حلها إلا إذا حدث تحول اقتصادي واجتماعي وثقافي وترقية فهم وأوجود أداء بشري متميز. لأن مشكلة دارفور الحاليــة بكل تداعياتها وزخمها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتساريخي والثقافي هي مشكلة ثقافية وسياسية بالدرجة الأولى أكثر منها عرقية. ويخطئ من يريد تحويلها إلى مشكلة بين العرب والزنوج لأن نسبة الدم العربي في كل سكان دارفور دون استثناء هو ما بين 40% إلى 80% حسب الدراسات الجينية الحديثة التي قامت بها بعض الدول الأوربية (ألمانيا) على وجه التحديد لتحقيق أجندة خفية وما أن جاءت الدراســة مخيبة لآمال الدولة الممولة لهذه الدراسة حتى قامت بإخفائها ولمزيد من البحث يمكن الرجوع إلى كتابنا و بحثتا عن العلاقة المكية السودانية عبر التاريخ لإجلاء الموقف أكثر مما هو وارد في هذه العبارة الموجزة (37). وبالتالي يفتضح سذاجة التفسير الغربي لمشكلة دارفور وكذا محاولات الجماعات المختلفة التي تريد المتاجرة بقضية دارفسور من اجل كسب الرخيص أو تحقيق أجندة غربية في المنطقة. لأننا كثيراً ما نجد تداخلاً عرقياً وتماذجاً اجتماعياً غريباً بين قبائل دارفور فالمسلاتي يتزوج من الزغاوة والفوراوي يتزوج من الداجو والداجي يتزوج من بني هلبة ... الخ هذه الرواية. وقـــد سبق أن ذكرنا أن قصة النزاع الذي نشب بين الفريقين كان فيه الزعيم موسى هلال قد تربي في بيت زعيم آخر مما يدل على الاحتضان الطبيعى والألفة الإنسسانية التسى تمتعت بها دارفور بكل اثنياتها وعرقياتها.

- السلطان الشهيد علي دينار والاعتداد بالذات:

ولعل أقوى برهان على أن السلطان الشهيد على دينار كان معتداً بذاته مستقلاً ببلاده هو عدم سماحه لأي مسئول مصري أو أوروبي بدخول بلاده طوال فترة حكمه وكذا عدم خروجه البتة لمقابلة أي مسئول من الحكومة المصرية الإنكليزية، لا شك أن

⁽³⁷⁾ يراجع في ذلك كتابنا العلاقات السودانية المكية عبر القرون الذي صدر مؤخراً عن الدار العربية للنشر بالقاهرة 2005م وبجثنا الذى نشرته الندوة العلمية الكبرى لمكة عاصمة الثقافة الاسلامية / سبتمبر 2005م / المحور التاسع.وهو منشور على الانترنت في موقع الندوة المشار اليها.

ذلك يعتبر مظهرا استقلالياً واعتداداً بالذات وإدراكاً لما وقع فيه الزبير ود رحمة من أخطاء حين تم استدراجه من قبل السلطات المصرية وسافر إلى القاهرة بحسن نية سودانية ساذجة وطيبة مبالغ فيها، فتم احتجازه هناك إلى أن قضى نحبه، هذا مما يؤكد على قدرة السلطان الشهيد على دينار على الاعتبار بمفردات التاريخ والتعاطي مع الموروث التاريخي بمسؤولية وذكاء، ووعيه لمرامي الإنجليز في المنطقة، وقدرت على المراوغة والمرونة في التعاطي مع الأضداد دون التفريط في مكتسباته التي حققها بعزم واقتدار عبر نضال وكفاح مرير دام لعشرات السنين.

مما مضى يتضم أن السلطان الشهيد على دينار قد أفلح إلى حد كبير في استعادة السلطنة الدارفورية فأقام نظاما إداريا وحكما شرعيا شبيها بنظام السلطنة في عهد أجداده. وأنشأ نظاماً قضائياً مستقلاً يعتمد الكتاب والسنة باعتبارهما مصدراً للتـشريع الإسلامي. وعين على كل جهة مقدوماً يتولى الإدارة السياسية والاقتصادية والعسكرية. وقسم البلاد إلى حواكير، وأنشأ جيشاً لحماية البيضة في البلاد. وقام بإزاحة كل العقبات التي تعترض هيمنته على البلاد. فقام بطرد القائد المهدوي عربي دفع الله من دارفور (38). واخضع القبائل التي لم تدن له بالسيادة، وفي مجال العلاقات الخارجية كان له نشاط وافر حسبما توفر للكاتب واستطاع جمعه من وثائق ومراسلات. وكان حذراً إلى حد الإفراط في علاقاته مع الحكومة البريطانية المصرية ولم تلن لــه قناة طوال فترة حكمه التي امتدت ما بين 1898-1916م ولقد شكل بادرة أول مقاومة وطنية نظيفة سودانية لم تلطخ يديها بمصافحة الاستعمار الأوروبي الانكليزي أو الارتماء في أحضانه، هذا في وقت لانت فيه إرادة كثير من القيادات السودانية يومئذ وسارت في ركب الوجود البريطاني طوعاً أو كرهاً إلى أن قضى السلطان نحبه في سنة 1916م شهيداً في ميدان الحرب من أجل قضية الإسلام والمسلمين ومن أجل تحرير وطنه من الغزو الأجنبي. فعاش السلطان الشهيد على دينار رحمه الله مــستقلاً ومات مستقلاً، عاش كريماً حراً ومات كريماً حراً ووقف بصلابة منقطعة النظير في وجه الاستعمار الأوروبي بأشكاله المختلفة لذا لا غرابــة أن قــام الانكليــز وأقــلام

⁽³⁸⁾ A.B. Theobald. OP. Cit. PP. 34.

استخباراتهم وأعوانهم ممن رضعوا من أثدائهم من الأكاديميين ومن المغفلين بتـشويه سمعة السلطان الشهيد عن ترصد وعمد، وإخفاء دوره البارز والفاعــل فــي الــبلاد وقيادته المقاومة والحركة الوطنية السودانية الأولى بلا منازع.



ابن السلطان الشهيد على دينار



العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين(1898–1916م)

الفصـل الثانــي

العلاقات الدارفورية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين (1898-1916م)

• المبحث الأول:-

السنوسية وقيادة الحركة الوطنية في دارفور

- تعريف بالسنوسية:

السنوسية تعتبر واحدة من الدعوات السنية والحركات الإصلاحية الفاعلة بايجابية والتي انتظمت العالم الإسلامي في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي واستمر عطاؤها بقدر وافر حتى النصف الثاني من القرن العشرين. وتعود نشأتها إلى المؤسس الأول محمد بن على السنوسي الكبير (1) تلميذ المصلح الكبير أحمد بن إدريس الفاسي دفين صبيا بعسير جنوب المملكة العربية السعودية الحالية، ولقد بزغ فجر هذه الطريقة على سفح جبل أبي قبيس بمكة (1150هـ أو 1152هـ) الموافق (1835م أو 1837م). وذلك بعد وفاة أستاذ الجيل الشيخ أحمد بن إدريس مباشرة وانقسام أتباعه إلى الطريقة الإدريسية ومن نسله الادارسة الموجودين بالموردة في أم درمان وأتباع محمد بن على

⁽¹⁾ هو محمد بن على السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي ينتهي بنسبه إلى إدريس بن عبداته مؤسس دولة الأدارسة في الثلث الأخير من القرن الثاني الهجري ونهاية القرن الثامن الميلادي. وذكر الأمير شكيب أرسلان أنه قد اطلع على تاريخ للعائلة يصل نسبها بعلى ابن أبي طالب. ولقد بزغ فجر المؤسس في بيت علم ودين في بلدة مستغانم بالجزائر في محلة يقال لها الواسطة وذلك في 12 ربيع الأول 1202ه 22 ديسمبر 1785م. وتوفي والده وهو لا يزال في طور الطفولة فتولت عمته التي كانت من كبريات الفصليات العالمات في عصرها يومئذ تربيته ورعايته علميا وتربويا. محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة / مصر / القاهرة / في عصرها يومئذ تربيته ورعايته علمياً وتربوياً. محمد فؤاد شكري: السنوسية لين ردولة / مصر / القاهرة / دار الفكر العربي 1948م ص10 وأنظر أيضا: نقولا زيادة: صفحات مغربية / لبنان / بيروت / ط1 1966م ص792 .

السنوسي الكبير والختمية بالسودان واريتريا حيث أن الذي أنشأها هو محمد عثمان الكبير هو صاحب كتاب تاج التفاسير والجد الأكبر لأولاد السيد على الميرغني الحاليين وأبناء عمومتهم بكسلا هو زميل لمحمد بن على السنوسي الكبير.

وتعتبر منطقة الكفرة بليبيا معبرا هامأ لقوافل شمال أفريقيا وجنوبها ومنطقة دارفور وتشاد على وجه التحديد ونقطة ارتكاز هامة للغادين والرائحين، ولعل ذلك مما زاد من أهميتها التجارية، فقد أنشأ فيها محمد المهدي بن محمد على السنوسى الكبير مؤسس الطريقة السنوسية (ت1902م) مصنعاً للسلاح ومعدات الحرب. وقد يرد سؤال هام لماذا سمى محمد بن على السنوسى ابنه بمحمد المهدي؟ ولماذا لم يستجب ابن السنوسى لنداءات المهدي؟ ولماذا سمى محمد عثمان الكبير نفسه بالختم؟ أن الإجابة بوضوح على هذه الأسئلة تكشف لنا بأن الطرق الصوفية هي التي شحنت الصدور والعقول بدعوى ظهور المنقذ. وكانت كل طريقة من الطرق الصوفية السودانية أو الأفريقية أو الآسيوية تزعم أو تترقب ظهور المهدي من بين أفرادها. وبهذا يمكن تفسير العداء الدفين والمقاومة الشرسة التي قادتها الختمية في وجه الحركة المهدوية بالبلاد طوال فترة هيمنتها في البلاد وحتى خروج قادة الختمية وقدومهم مع الحملة الانكليزية. لقد تمتعت الكفرة بهذا الموقع الجغرافي والاقتصادي الاستراتيجي والتجاري المتفرد بالإضافة إلى ما يحمل إليها من الساحل وما يحمله الزوار من أشياء من شمال وغرب أفريقيا من النيجر والنيل(2). والسنوسية في الأصل هي حركة جهادية بكل ما تحمله الكلمة من معان، ودعوية عملية ذات بعد شعبى أكثر منها حركة صفوية نخبوية كما هو الشأن بالنسبة للحركات السياسية والفكرية ذات التوجه الإسلامي أو العلماني التي ظهرت خلال النصف الأول والثاني من القرن العشرين كحركة الأخوان المسلمين أو حركة حزب البعث أو حركة الشيوعيين أو الحركة الإسلامية الباكستانية. لأن من المعلوم أن الحركات الصفوية النخبوية يصعب أن تحدث انقلابا اجتماعياً وثقافياً ما لم تتنازل عن عروشها العاجية وتختلط بالشعب في أفراحه وأحزانه وتشاركه همومه والآمه، وتعتبر السنوسية من أقوى الحركات التي قامت في القرن

D.S.A Box 301/6 الجريدة العدد 1417 ، 11/11/11 ، 1417 بقلم نجيب ناصر

= الفصل الثاتى - العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين

التاسع عشر على الإطلاق تنظيماً وحركة ونشاطاً وشعبية. إذ قامت فكرتها على أساس روحي عميق ونظري دقيق وعملى متقن وبنت فكرتها على الاعتماد على الذات نظرياً وعملياً وتربوياً وثقافياً وبثت في روع أفرادها روح العمل الجاد والعبادة الخالصة والعلم النافع، عكس الطرق الصوفية التي اختزلت الحياة اختزالاً إلى الانقطاع والأذكار والتمائم والرقى والخلوة واعتزال الحياة والخمول والبطالة والكسل والانزواء عن ضوضاء الحياة وفاعليتها، فهي حركة إيجابية بكل المقاييس تركت بصماتها على كل من اتصل بها من أتباعها أو من غيرهم. وكانت بحق نواة المقاومة للوجود الأجنبي في ليبيا وكل المنطقة العربية فهي إلتي أنجبت مقاومة حركة المجاهد العلم والرقم الصعب في مقاومة الإحتلال الأجنبي عمر المختار بكل زخمها وظلالها وآثارها الايجابية في الساحة العربية والإسلامية. واتصفت الحركة السنوسية عموماً بالاتزان في الطرح والقدرة الفائقة على التأثير في الجماهير. وتميزت في الوقت ذاته بطرح موضوعي أخاذ وهي أول حركة في التاريخ المعاصر والحديث طرحت شعار الاكتفاء الذاتي والاعتماد على الذات بصورة عملية ونجحت في اجتياز التحدي وتحقيق ما رفعته من شعار استقلالي متفرد وتميزت بنظام إداري دقيق وروحي فريد وأخلاقي واع ومنهجي رائع.

ولعل من أكبر نجاحات هذه الدعوة وتلك الحركة أنه قد بلغ عدد أتباع السنوسية في بداية القرن العشرين ما يربو على الخمسة ملايين موزعين على أنحاء العالم. وأصبح لها نظام إداري يتربع على قمته الوكيل ومهمته الوظيفية إطلاع المقدمين على شؤون السياسة العامة للحركة ونشاطاتها المختلفة. وهؤلاء بدورهم كانوا يقومون بتبليغ الأخوان (3). مما يعنى أن الحركة كانت تملك حساً إعلامياً راقياً وتعمل على تمليك المعلومة الصحيحة لكل أفرادها. الأمر الذي يزيد من ثقة الأفراد بقيادتهم وإطلاعهم على أدق التفاصيل وزيادة وعيهم السياسي والدعوي.

⁽³⁾ المصنر السابق

واستطاعت الحركة السنوسية بروحها الكفاحية أن تكسب انتصاراً وبنشرها للعلم تمكنت من استمالة أهالي تلك الصحراء والأقطار المجاورة لها وترقية أدائهم لا سيما وأن الروح البدوية الساذجة بخشونتها وجديتها وتلقائيتها أقرب ما تكون إلى الروح العسكرية بالرغم من ميلها الدائم إلى الانفلات. ولكن مع الإدارة المقتدرة والإرادة القوية يمكن تعديلها وتقويمها حسب ما تقتضي مصلحة الجماعة. وهذا ما نجحت السنوسية فيه. فالفكرة الجادة، والنظرة الواقعية، والطرح المقبول، ومصداقية القيادة، والقدوة الحسنة أكسبها أنصاراً وبعداً جماهيرياً منقطع النظير.

فقد كان لكل زاوية من زوايا السنوسية المنتشرة في أنحاء القطر الليبي والأقطار الأفريقية المجاورة والبعيدة شيخها ومزرعتها يقوم فيها بالعمل التلاميذ وطلبة العلم من أجل تحقيق شعار الاكتفاء الذاتي، وعليها يعتمدون وما زاد من دخل يرسل إلى قائد المسيرة وربان السفينة محمد المهدي (4). فقمن بحركة هذا دورها الطليعي وتلك فكرتها أن تكون لها صلاتها بالقوة المحيطة بها بغية تبشيرها بدعوتها وإحداث مناطق نفوذ لها في مواجهة الحراك الاستعماري المحموم في المنطقة العربية والأفريقية وفي غيبة وعي القيادات التاريخية. فقد حاولت السنوسية ومنذ فترة مبكرة أن تمد ببصرها إلى دار فور باعتبارها مهد سلطنة إسلامية ذات صيت ذائع ومجد مؤثل. وتطورت هذه العلاقة بين السنوسية والسلطان الشهيد علي دينار حتى أصبحت تشكل حلفاً إسلامياً في دار فور وليبيا ليشمل الدولة العثمانية.

⁽⁴⁾ استطلاع مجلة الهلال السابق 301/6 D.S.A Box 301/6 محمد المهدي هو ابن محمد على السنوسي الكبير وهذه التسمية لها دلالة موضوعية في الحركات الصوفية على امتداد العالم الاسلامي. والفكرة نابعة من أن مهدياً خاتما سيظهر وكانت كل طريقة تحسب أن هذا المهدي سيظهر من بين أفرادها فالسمانية كانت تحسب أن المهدي سيظهر منها وكذلك الميرغنية، لان مصطلح الختم يعني بذات القدر خاتم الأولياء وهو المهدي. وفي هذا الجو المشحون بهذه الأفكار الغيبية الممعنة في التشاؤوم والخذلان والتنبؤ بنهاية المطاف ظهر مهدي السودان تحت مظلة وعباءة الطريقة السمانية مستثمرا هذه المزاعم الصوفية لتحقيق أهدافه. ومن هذا الباب كانت معارضة الختمية له وكذا محمد شريف ورفض حفيد السنوسي الاستجابة لدعوته من باب الغيرة والحسد والتنافس على هذه الوظيفة.

-------------- الفصل الثانى - العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين • المبحث الثاني: --

السلطان علي دينار بين المنفذ التجاري والاستقلال وتأصيل عروبة وزنجية وإسلامية دارفور

كان السلطان الشهيد على دينار بعد تربعه على عرش آبائه يتطلع إلى آفاق أرحب تتجاوز حدود بلاده. كما أنه كان حريصاً على الإستقلال التام والانفلات من قبضة الحكم الثنائي البريطاني. لذا كان سعيه حثيثاً لإيجاد منفذ تجاري يجغله في حل من مراقبة الحكم الثنائي البريطاني وتفتيشه لقوافله الغادية والرائحة ويؤمن له إلى حد ما احتياجاته الملحة من الأسلحة التي تمكنه من تقوية موقفه إزاء القوى الاستعمارية المحيطة به، من الشرق (البريطانيون)، ومن الغرب (الفرنسيون).

وتبدو أهمية هذا الأمر إذا علمنا أن دارفور كانت ولا زالت وستظل تعتمد في اقتصادياتها على التجارة الخارجية تصديراً واستيراداً. وهي مسن المناطق الواعدة إقتصادياً في السودان على مر التاريخ لما حباها الله به من موقع جغرافي ممتاز، ومناخ متنوع، وتربة متفردة، وتكوين سكاني متميز وثروات حيوانية وزراعية متنوعة. وأن حاجتها للأسلحة يومئذ كانت ضرورة تقتضيها حماية حدودها والدفاع عن إستقلالها. والاستقلال هدف استراتيجي بالنسبة للسلطان الشهيد على دينار تقتضي حمايته وتامينه والدفاع عنه توفير الأسلحة. وتأمين مصادر آمنة لتوريده وإمداد دارفور يومها باحتياجاتها منه. هذه الأسباب طلت تشكل في مجموعها إحدى دواعي الإقتراب بين الطرفين السنوسي والدارفوري في هذه الفترة الحرجة من تاريخ المنطقة. حيث كانت و لا زالت وستظل تشكل ليبيا ظهيراً هاماً وواقيا لدارفور.

لذا يلاحظ بمجرد تسلم السلطان الشهيد على دينار العرش فكر في الاستفادة من الطريق التجاري الذي يربطه بالشمال مع ليبيا. ومن المعلوم أن العلاقة بين دارفور وليبيا هي علاقة عرقية وثقافية واقتصادية أزلية ضاربة بشعابها في التاريخ فالمساليت هم قد أخذوا اسمهم من موطنهم الأصلى من مسلاتة الليبية. وكذلك المحاميد لهم أبناء

عمومتهم في ليبيا وكذا القرعان، وكانت وستظل العلاقة بين دارفور وليبيا هي علاقة متصلة ومتينة لا يستطيع نظام سياسي أو تجمع جهوي أن يقطعها. فدار فور كانت ولا تزال وستظل بوتقة انصهار عرقى وثقافى ونقطة ارتكاز حلضاري وتواصل اجتماعي خطير. وبالتالي فإن إجراء أي عملية جراحية على المستوى السسياسي فسي دارفور حالياً أو مستقبلاً تحاول إنكار هذا الوجود العربي الذي امتزج بالدم الحامي والزنجى لمئات بل آلاف السنين يكون قد تجاوز السقوف الائتمانية المنطقية والعقلانية والاجتماعية والحضارية. ويظل أي حزب أو جماعة طائفية أو قوى حزبيـة حديثـة اسلامية أو علمانية تطرح طرحاً مغايراً لهذا المفهوم العقلاني والواقعي فانه يظل بوقاً غربياً يعزف عزفاً نشازاً بكل المقاييس وبعيداً كل البعد عن الواقع ودراسة مفردات التاريخ الدارفوري بذكاء ووعي. ويعبر موقفه بهذه الكيفية عن بلادة تاريخيــة وتبلــد حسى في مجال الوعى التاريخي العام. وفي هذه الأثناء زادت شكوك الحكومة الثنائية البريطانية في السودان حول نوعية وطبيعة ومدى العلاقة التي يمكن أن تتـشأ بـين قوتين ذاتي نزعة دينية واستقلالية وطنية وما ينتج عن ذلك من خطر على القوة المصرية الإنجليزية في السودان (5). وذلك لما عرفت به المسنوسية والحركات ذات الاتجاه السياسي الديني من شراسة وفهم ووعي متقدم تجاه القدوى الاستعمارية الاحتلالية الغاشمة. والسنوسية كما ذكرنا هي حركة جهادية كما هي حركة صـوفية تربوية إعدادية ذات توجه سنى. ولقد كان لأحمد بن إدريس الفاسى دفين صبيا بعسير جنوب المملكة العربية السعودية الحالية، دور كبير في غرس هذه المعاني السامية وتلكم القيم الرفيعة في أعماق المؤسس الأول محمد بن على السنوسي الكبير.

وبدأت الحساسية الإنجليزية تتعاظم يوماً بعد يوم تجاه نشوء مثل هذه العلاقات منذ اليوم الأول لحكم السلطان. فقد جاء في أحد تقارير المخابرات ما يدل على وجود علاقة وثيقة بين السنوسية والسلطان. حيث وردت الإشارة إلى أن رئيس فرقة سنوسية استطلاعية قد دخل الفاشر من غير تأكيد (6). مغزى هذه الإشارة أن السلطان قد بدأ

60 ====

⁽⁵⁾ S.I.R. MAY 1900.

^{16,} Ibid.

--------- الفصل الثاتي - العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين

يتطلع إلى ايجاد منفذ خارجي لتجارته. وفي الوقت ذاته كان يهدف إلى بناء علاقة خارجية تكفل إستقلال بلاده. وتبدو عدم صحة ما ورد في مصدر آخر من أن السلطان بدأ علاقاته مع السنوسية سنة 1904م⁽⁷⁾. لما ثبت من أن محمد المهدي السنوسي قد أرسل في أول يناير من عام (1900م) أربعة مبعوثين إلى المسلطان المشهيد علي دينار. وقد استقبلهم هذا السلطان مبدياً مظاهر الود والاحترام إزاءهم وأخفاهم في بيته ولم يرهم أحد⁽⁸⁾.

يشير ذلك التقرير الاستخباراتي البريطاني إلى مدى إدراك السلطان الشهيد على دينار منذ الوهلة الأولى لأبعاد مثل هذه العلاقة ونظرة الحكومة الثنائية البريطانية لها. فلا غرابة أن أحاطها بقدر من السرية حفاظاً لإستمراريتها. ويدل هذا الاتصال المبكر على أن هناك قواسم مشتركة ومنذ اللحظات الأولى لمجيئه إلى سلطنة آبائه. وأنه كان يعمل بحذر شديد وفق إستراتيجية محددة في علاقاته بالحكم الثنائي البريطاني. ولعل ذلك يفسره عدم السماح لنفسه بمقابلة أي مسئول أوربي أو وضع يده في يده أو السماح لأي أوروبي بدخول بلاده لأكثر من سنة عشر سنة وهو موقف يستحق الإشادة ويثير الإعجاب خلال تلك الفترة الحرجة والعصيبة من تاريخ السودان والعالم الإسلامي والأفريقي الحديث والمعاصر.

وقد سعت الحكومة الثنائية البريطانية من جانبها جادة للتأكد من صحة وجود مثل هذه العلاقة ومحاولة سبر أغوارها. فكتب أحد رجالات الاستخبارات البريطانية قائلاً: (إن الأخبار التي أفادتها مصادرنا اتحاد السنوسي وعلى دينار)⁽⁹⁾.

هذه الإشارة وهي مبكرة جداً بكل المقاييس تؤكد على وجود علاقات - بدأت تأخذ مساحة من تفكير الاستخبارات البريطانية وعملها - بين سلطان دارفور والمسنوسية. وحري بالسلطان الشهيد علي دينار بأن لا يجاهر بوجودها لإدراكه بحساسية الحكم الانجليزي المصري تجاه الحركات الدينية ذات التوجه المسياسي والوطني، وحق لانجلترا أن تكون على هذه الدرجة من الإفراط والحساسية والحذر في نظرتها إلى مثل

⁽⁷⁾ A.J. Arkell: The conage of Ali Dinar. S.N.R Avol 23 (1940) Part. 2. p. 157 يونان لبيب رزق، مصدر سبق ذكره، ص 238. (8)

⁽⁹⁾ تقارير المخابرات (S.I.R. 2/16 Appendix (K) July 1900 تقارير المخابرات

هذه العلاقة، لا سيما وقد ذاقت إنجلترا الأمرين خلال الحكم المهدوي فـــى الــسودان و لا يمكن أن تنسى بحال ما لحق بها من هزائم منكرة مرقت سمعتها وهيبتها بالتراب، والغربيون كالثعابين لا ينسون الهزيمة ولا يتخلون عن الثأر لهزيمة لحقت بهم عبر التاريخ مهما طال الزمان لأن وعيهم التاريخي حاضر دوماً ولا يسمحون لكرامتهم أن تهان أو تداس بالأقدام عكس حالنا في العالم الإسلامي والعربي والأفريقي لأننا أمة كتب عليها أن تنسى وأن تلدغ من الجحر الواحد أكثر مــن عــشر مـــرات. وجـــدير ببريطانيا التي وقف قائدها العسكري بعد قرابة الألف سنة على قبر القائد البطل صلاح الدين الأيوبي وقال وهو يخاطب المقبرة: نحن عدنا الآن يا صلاح الدين - إن كان ذلك شأنها حريّ بها أن لا تسمح بتكرار التجربة التي تمثلت في قيام الدولة المهدوية التي هزمن جيوش الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس والتي تسمى نتيجة استغلالها وظلمها للشعوب المقهورة في الأرض ببريطانيا العظمى مع محدودية إمكانياتها الإدارية والمالية. ولعل هذا ما حدا بها إلى متابعة طبيعة هذه العلاقات بحذر دائم. ولدقة الموقف أرسل السلطان الشهيد خطاباً إلى مدير كردفان بغية تحويل الأنظار عن صلاته السرية بالسنوسية ورد فيه: (الشريف محمد السنوسى في هذه الأيام تحرك قيامه من محله الذي كان به وأتى زاحفاً حتى قرب الحدود برجاله وعموم جيشه وتـم وصوله بمحل يدعى النخل القصار على طريق الأربعين. وبالتأمل أنه قاصد الحج لبيت الله الحرام بطريق دنقلا ولم أمكنا تأخيره)(10). هذا أسلوب يدل على حنكة قيادية ومراس سياسي ضعيف قصد منه السلطان التعمية وذر الرماد في عيون الاستخبارات البريطانية.

ولربما كان القصد من هذه الإشارة إلباس علاقته مع السنوسية قدراً من الشرعية ووضع السلطات البريطانية في الصورة. ولعل تحرك السنوسي نحو البيت الحرام هو عين ما أشارت إليه صحيفة البصير المصرية التي تصدر في الإسكندرية في عدد نوفمبر سنة 1900م. مشيرة إلى أن السنوسي قد تحرك نحو دار فور قاصداً الإتحاد مع على دينار ضد الحكومة المصرية الإنجليزية. إن هذه الإشارة مهما كانت سذاجتها

⁽¹⁰⁾ على دينار إلى مدير كردفان في 9 ربيع الاخر سنة 1318هــ يوليو سنة 1900م 1904م 1901م 1001ELL 2/5/14

أو عدم موثوقيتها لها دلالتها الموضوعية لأن إشاعة على هذا المستوى لا يمكن أن تخرج من فراغ. وكما يقال لابد من أن تكون تحت الرماد نار لا سيما في هذه الفترة المبكرة من وجود السلطان بدارفور. وفي ذات الوقت تدل على مدى عمــق العلاقــة الدارفورية السنوسية ومتانتها وجذورها، مما يعنى أن علاقة السلطان بالسنوسية لم تكن وليدة أحداث 1914م فحسب وإنما كانت أبعد من ذلك بكثير. وفي سنة 1903 لم تورد الوثائق أي أخبار عن تطور جديد في العلاقات بين الطرفين واستمراريتها. حيث شغل سنين التاماوي القائد المهدوي المخلص لمهدويته ولمبادئه فيي غيرب دارفور فيي دار تاما جانباً كبيراً من جهد السلطان الشهيد على دينار وكذلك غارات الزغاوة في الشمال ولعل الصورة من خلال هذه القراءة التاريخية لمنطقة دارفور تكشف عن طبيعة ما يجري فيها من أحداث الآن. فالزغاوة هم الزغاوة وأهل دارفور هم أهل دارفور الكل منهم له دعوى تاريخية في المنطقة والكل يأنف من الإذعان لسلطة مركزية يكون على رأسها الطرف الآخر ولعل هذا من زاوية أخرى يقودنا إلى تفسير تاريخي منطقى للتفتت والتجزؤ والتشقق الذي تعانيه حركات دارفور المتعددة وكذلك ما يعرف بالنهب المسلح في دارفور الذي لم يكن في يوم من الأيام مقصوراً على اثنية معينة أو عرقية بعينها أو قبيلة او عشيرة بذاتها حيث نجد أن من يقومون بالنهب المسلح قديماً وحديثاً يمثلون كل ألوان الطيف العرقيي والإثني والقبلي والسياسي والثقافي والجهوي بدارفور دون استثناء أو استنكاف من عرقية او قبيلة بعينها، واستطاع السلطان الشهيد على دينار بعد هزيمتهم أن يفتح الطريق إلى الكفرة. فأصبح يستورد أسلحة حديثة من هناك (11). فالقضية في دارفور كانت و لا تزال وستظل قضية صدام وحرب ثأرية لأتفه الأسباب بعيداً عن الأثنية أو العرقية فهي ذات طبيعة ثقافية وسياسية واجتماعية أكثر منها صدام أعراق. وكانت في الغالب الأعم تحل عن طريق مجالس ومشايخ القبائل بصورة ودية أكثر منها دموية. ولا تزال مشاكل الدم وإزهاق الأرواح تحل عن طريق مجالس الصلح ولا شيء غير ذلك يمكن أن يحلها.

⁽¹¹⁾ المصدر نفسه.

وفي سنة 1906م عادت المصادر البريطانية العميلة للاستخبارات البريطانية لتؤكد بأن السلطان الشهيد على دينار قام بمحاولات جادة لفتح طريق القوافل والتجارة إلى الكفرة عن طريق آبار الويطة. ووفق في ذلك حيث أصبح التجار عن هذا الطريق يحضرون الأسلحة من الشمال ويتاجرون فيها لدى الفاشر وأصبح تجار الأسلحة هؤلاء يقابلون مقابلة حسنة (12) في كل من الفاشر والكفرة وطرابلس. مما لاشك فيه أن العلاقة بين دارفور وليبيا هي علاقة تدعمها عرقيات أصيلة موجودة في كل من البلدين.

كما أن هاتين الإشارتين تكشفان عن الدور المبذول من قبل السلطان ومحاولات الجادة لفتح طريق تجاري. وتلقيان الضوء على الحاجة الملحة لإيجاد منفذ تجاري يجعله يتفادى الرقابة المفروضة عليه من قبل الحكومة الثنائية البريطانية ورقابتها الاستخباراتية وكذلك مماطلتها في إمداده باحتياجاته من الأسلحة. وشكلت الديار السنوسية (ليبيا الحالية) مورداً ومصدراً هاماً وظهيراً أمنياً لا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة لسلطنة دارفور الناشئة في ظل الظروف الدولية الراهنة.

وبدأ السلطان الشهيد على دينار من جانبه يشجع التجار القادمين من طرابلس حيث استضاف في مارس سنة 1906م إثني عشر تاجراً سنوسياً واشترى كل ما لديهم من أسلحة وأعطاهم حوالي أربعة آلاف دينار هدية وتشجيعاً لهم(13). وهذه سياسة اقتصادية واعية تعتمد على تحفيز الاستثمار الأجنبي وتشجيعه بشتى الوسائل.

وقام السنوسي في المقابل بتشجيع التجار السنوسيين للذهاب إلى دار فور وبيع الأسلحة بتلك البلاد (14). وتم إيفاد الشيخ عبد القادر الأزرق من قبل السنوسي بوصيايا وهدايا وأسلحة لبيعها في دار فور (15).

هذه السياسة الدارفورية من قبل السلطان الشهيد على دينار يبدو أنها قد حققت جزءاً من الأهداف الإستراتيجية البعيدة الأمد التي يرمي إليها السلطان، وهي تتمثل في

⁽¹²⁾S.I.R. 140/4 MARCH 1906

⁽¹³⁾S.I.R. 140/4 MARCH 1906 S.N.A INTELL 2/3/12

⁽¹⁴⁾ محمد عابد الشريف السنوسي 13 رمضان سنة 1326هـ

المصدر نفسه.

الفصل الثانى - العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين البحاد منفذ تجاري بديل عن سواكن والبحر الأحمر والسودان الشرقي وإثبات استقلالية بلاده والحصول على مصدر للسلاح يدعم به موقفه ووجوده، ويقوي به ترسانته الحربية تحسباً لأي هجوم أو محاولة عزل له من قبل الحكومة الثنائية البريطانية التي لا يُؤمن لها جانب. ويدل ذلك على وعيه بالمعطيات الراهنة وإدراكه لأبعاد السياسة البريطانية في البلاد.

وأبدى أحمد الشريف السنوسي إهتماماً خاصاً بقوافل دارفور وتلقف أخبارها بشغف زائد وتزويد السلطان بتحركاتها والتسهيلات المقدمة لها (16). مما يدل على متانة العلاقة بين الطرفين منذ فترة مبكرة. ولعل ذلك كله مما يدفع ما تعللت به الإدارة الثنائية البريطانية من مزاعم مفادها أن السلطان لم يلجأ إلى السنوسية والدولة العثمانية إلا يائساً من حلول الحكومة الثنائية البريطانية لمشكلة القبائل والحدود الغربية وحيلولتها دون حصوله على السلاح من قبلها. بيد أن الأمر لهو أبعد من ذلك وأعمى بكثير في تقدير المؤلف من سذاجة هذا التحليل الخطير. وهذه الرؤية الغربية الفطيرة إزاء هذا البطل الوطني الواعي لمرامي السياسة البريطانية في بلاده وفي المنطقة الأفريقية والعربية على العموم فقد كان السلطان الشهيد اكبر قامة منن هذه النظرة الضيقة وهذا التحليل الفج.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن العلاقة الدارفورية السنوسية لم تكن وليدة أحداث الحرب التي أسموها زوراً الحرب العالمية الأولى والتي كانت في حقيقتها حرب أوروبية. فهناك إشارات تؤكد على أن علاقات دارفور مع السنوسية ترجع بجذورها إلى فترة متقدمة جداً من حكم السلطان وقد أثارت مخاوف الحكومة الثنائية البريطانية منذ فترة مبكرة لا سيما استجلابه للسلاح من طرابلس وغيرها (17).

وكان اتجاه السلطان للتسلح تحسباً للمستقبل وتعويضاً عن خيبة الأمل التي أصابته من عدم إمداده بما يحتاجه من سلاح من الحكومة الثنائية البريطانية وموقفها تجاه

⁽¹⁶⁾ أحمد الشريف إلى السلطان في شعبان سنة 1328هـ الموافق 1910/7/15م 1910/7/15 S.N.A. INTELL 2/3/2 مادي الأولى سنة 1329هـ الموافق 1911/34م (17)

ما يدور على حدوده الغربية. وانفتحت بذلك صفحة مشرقة ما بين دارفور والسنوسية فالقوافل بين ليبيا ودارفور ظلت ذاهبة وآيبة. وتجار السلاح السنوسيون طفقوا يفدون على دارفور تترى. وطفق أحمد الشريف السنوسي يلبي طلبات السلطان من الأسلحة دون قيد أو شرط. ولم يقتصر الأمر على أحمد الشريف السنوسي وإنما ظلل إخوانه من أعضاء الأسرة السنوسية يقومون بالدور نفسه تجاه السلطان (18). حيث يبدو أن السنوسية من جانبها بدأت تنظر إلى دارفور باعتبارها عمقاً أمنياً وبعداً استراتيجياً هاماً وأفقاً اقتصادياً هاماً. ولا تزال دارفور بالنسبة للجماهيرية الليبية الحالية تشكل عمقاً أمنياً واستراتيجياً وسوقاً اقتصادية هامة وخطيرة في ذات الوقت ومنطقة تداخل عرقى واثنى.

وفي سنة 1912م توافد التجار السنوسيون تباعاً على دارفور بغية الربح، وطلب أحمد الشريف السنوسي من السلطان مساعدتهم (19) وتسهيل مهامهم. وبذا ظل هذا المنفذ التجاري الشمالي مفتوحاً تغدو القوافل منه وتروح والسلطان يبعث رسله تباعلاً لاستجلاب السلاح تقوية لترسانته الحربية وتمتيناً لموقفه الاقتصادي ويبعث بالهدايا تترى للسنوسي (20).

من جملة ما سبق يتضح أن السلطان الشهيد علي دينار كان حاكماً إسلامياً وطنياً من الدرجة الأولى عكس ما كتب وأشيع عنه بواسطة أقلام الاستخبارات الانكليزية والفرنسية المغرضة التي درجت على قلب الحقائق وتزوير الواقع فقد كان بحق غيوراً على استقلاله ووطنه. ولكي يحافظ على هذه الروح الاستقلالية ولكي يثبت أقدامه فلا بد من أن ينال ثقة جيرانه من القيادات الوطنية ذات النزعة الاستقلالية والتوجه الإسلامي. فاعتراف القوى المحيطة به أمر تقتضيه الظروف. وخشيت الحكومة الثنائية البريطانية من تطور العلاقات التجارية بين الطرفين والتي أصبحت تـشكل تحالفاً

⁽¹⁸⁾ السنوسي بتاريخ 27 محرم سنة 1328هـ الموافق 1911/12/18 محرم سنة 1328هـ الموافق 5.N.A. INTELL 2/3/12

⁽¹⁹⁾ السنوسي إلى على دينار بتاريخ 30 نو الحجة 1330هـ المُوافق 11/11/1912م.

S.N.A. INTELL 2/3/12.

⁽²⁰⁾ على دينار إلى ابن إدريس السنوسي في سنة 1333هـ الموافق 1915 م S.N.A.INTELL على دينار إلى ابن إدريس

سياسياً وعسكرياً قبيل نشوب الحرب التي تسمى بالعالمية فعملت على مراقبة طريق دريب الأربعين وعرقلت القوافل التجارية فيه (21)، وذلك أثناء المقاومة الدارفورية للحكم الأجنبي في البلاد، ومما لا شك فيه لو أن ألمانيا وتركيا أوليا هذا الحلف الدارفوري السنوسي عناية خاصة وتحركتا بوعى وإيجابية أثناء اندلاع الحرب الأوربية الأولسي لآتى ذلك ثماره اليانعة ولأفسد خطط الحلفاء في المنطقة، ولكن بالنسبة لألمانيا يبدو أنها قد أصيبت بخيبة في القيادات العربية حتى عادت تشكك في ولاء أي قيادة عربية على أي مستوى وفي أي بلد عربي. ذلك لأن بعض الزعامات العربية التسى كانست تطفو على السطح يومئذ وعدت الألمان بإشعال نار الحرب ضد انجلترا في كل بقعــة من بقاع الرقعة العربية. ولكن سرعان ما اكتشفت الاستخبارات الألمانية أن هذه القيادات العربية كانت تميل كفتها مع من يدفع أكثر بما في ذلك شريف مكة (22). وعلى ضوء هذه المعلومات يمكن أن يفسر تقاعس المانيا تجاه كل من السسنوسية والشهيد السلطان على دينار، كما أفقد هذه المقاومة القدرة على الصمود ولو تمكنت ألمانيا أن تخرج من مربع الشك المشار إليه وقامت بعملية فرز موضوعي وقراءة دقيقة وأعانت السلطان الشهيد على دينار والسنوسية بجزء مقدر من الإمكانات لأجل استعمار المنطقة لسنوات عدداً. وهذه ملاحظات وهنات في التاريخ يلحظها الدارس المتأمل ولكن لغفلة القيادات الوطنية يومئذ عنها كانت سبباً في كوارث تاريخية وقادت إلى هزائم محققة كان يمكن تفاديها لو أحسن القائمون على الأمر التعاطي مع مفردات الواقع بإيجابية وبفاعلية لازمة. وهي مشكلة وارفة لازمة من لنوازم ومنشاكل عالمنا العربي والإسلامي والأفريقي الذي لا يستفيد من عبر الماضي واستثمار الـــذاكرة التاريخيـــة ومفرداتها ومعطياتها في صناعة الحاضر واستشراق المستقبل.

⁽²¹⁾ الحكام العام إلى الفيلد مارشال في 1916/5/31م D.S.A. Box 128

⁽²²⁾ وجيه عبد الصادق: ورقة عن الوثائق الألمانية - مؤتمر العرب والتحديات الخارجية عبر العصور/مصر/ القاهرة/جامعة القاهرة/كلية الاداب-قسم التاريخ 17-2007/4/18م.

• المحث الثالث:

النزعة التبشيرية والإحيائية للحركة الوطنية الليبية السنوسية

سبقت الإشارة إلى أن الحركة السنوسية كانت تمثل حركة بعث واعد ووعي إسلامي حديث متقدم في طرحه وعرضه ورؤيته فكانت حركة تهدف إلى السنتناف الحياة الإسلامية على غرار حياة الرعيل الأول فكراً ورؤية وتطبيقاً ونظراً. وفي المقام الثاني فهي حركة تبشيرية بغيتها إيصال مفاهيمها الإصلاحية إلى الجمهور المسلم دون التقيد بالحدود الإقليمية أو المحلية أو الدولية أولاً وتبليغ دعوة الإسلام إلى غير المسلمين ثانياً فهذان العاملان بدورهما أضحيا يشكلان دافعاً آخر للتقارب بين دارفور والحركة السنوسية (23).

وحيث أن دارفور تعتبر إقليماً مجاوراً لليبيا وقوافلها توصل ما انقطع فلا غرابة أن حاولت السنوسية خلق قاعدة لها في هذه الديار (24) التي يمكن أن تشكل بعداً أمنياً وظهيراً إستراتيجياً لا يمكن الاستغناء عنه.

فما أن أفل نجم المهدية التي لم تلق تأييداً ومساندة منذ البدايــة مــن الــسنوسية للاعتبارات المتقدمة حتى أقدمت السنوسية على استطلاع الأحوال في دارفور لدراسة إمكانية ملء الفراغ الذي أوجده زوال الدولة المهدوية وسلطتها السياسية والدينية والقيام بالتبشير باعتبارها بديلا لها فيما يبدو (25). وحاول احمد الشريف السنوسي بناء زاوية له في كل من مليط وجبل مرة. إلا أن السلطان الشهيد على دينار تماطل في السماح له ببناء هذه الزاوية ولعله كان يتخوف من أن تملأ السنوسية فراغ المهدية مما يـشكل عليه خطراً جديداً. وبالتالي يمكن أن تهدد نفوذه وإرثه الحضاري في دارفور. وأبــدى احمد الشريف السنوسي عدم ارتياحه من ذلك (26) الموقف السالب إزاء اندفاعــه نحــو دارفور. هذه المحاولة تعكس الروح التبشيرية الواضحة لدى السنوسية وفي الوقت ذاته دارفور.

⁽²³⁾ أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب

S.I.R. (70) 11TH MAY TO 3TH JUNE 1900 تقارير المخابرات (24)

S.I.R. 10^{TH} ADR TO 9^{TH} MAY 1900 (25)

S.I.R. 42/4 1^{SH} TO 31ST MARCH 1902 تقارير المخابرات (26)

————— الفصل الثاني – العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين

ترينا مدى الأناة والحذر اللذين كان يتمتع بهما السلطان الشهيد على دينار تجاه تعامله مع القوى المحيطة به لا سيما وهو في بداية المشوار مما يعني أنه كان حذراً إزاء أي نفوذ خارجي أياً كان مصدره ودوافعه يمكن أن يشكل خطراً على وجوده في دارفور تحت أي مسمى من المسميات أو في أي ظرف من الظروف.

ولم يكن هذا التماطل المقصود من قبل السلطان الشهيد على دينار ناجماً عن روح عدائية للسنوسية بالذات بل فيما يبدو كان اتجاهاً سياسياً بحتاً أملتــه الظــروف الآنية القصد منه تحويل أنظار الحكم الثنائي البريطاني عنه. حيث أشار إلى ذلك العميل الشيخ صابر جبريل أحد رجالات المخابرات الثنائية البريطانية بقوله: كان على دينار يتظاهر بعدائه للسنوسية ولكن في الواقع كانت صلته الروحية بالسنوسية قويـة إلى حد كبير. والدليل على ذلك وصول أثنين من مندوبي السنوسي احتفل بهما السلطان الشهيد على دينار وفي الحفل نسى نفسه فسأل أحدهما بقوله كيف حال سيدنا. وما أن تتبه إلى وجود مبعوث الحكومة الثنائية البريطانية حتى التفت نحوه إن كان لاحظ ذلك أم لا(27). إذا كان لهذا التباطؤ ما يبرره إذ أحاطت الحكومة الثنائية البريطانية السلطان بعدد من الجواسيس بغية الحصول على تفاصيل حول ما يدور بين احمد الشريف السنوسي ودارفور ونقل أخبار دارفور طازجة إلى قلم الاستخبارات البريطاني في الخرطوم. وفي السودان ينبغي أن نقرر بأن تعبير سيدنا هو تعبير شائع لدى أهل السودان ولعل مرده إلى عمق الوجدان الروحي والإرث الصوفي لدى أهـــل السودان عموماً. وقد لا تكون لسه دلالة موضوعية أو علمية من حيث تبعية السلطان الشهيد على دينار للشيخ محمد المهدي أو حمد الشريف السنوسى. فأي شيخ في السودان يقال له سيدنا، وفي أدب الخطاب السوداني، يعنى المصطلح أن المقصود به هو شيخ عالم أو شيخ طريقة.

بيد أن صاحب الدعوة السنوسية الشيخ محمد المهدي السنوسي كان في عجل من أمره حيث بعث بخطاب عاجل آخر إلى السلطان يطلب فيه منه إيضاح عدم الرد على

S.I.R. 80/5 9TH feb to 8TH march 1902

⁽²⁷⁾ تقارير المخابرات

خطابه السابق والذي طلب فيه من السلطان الشهيد على دينار قبول طريقته واستقباله له حين قدومه قاصداً الحج (28). هذا في الوقت الذي لم يكن فيه السلطان الشهيد علي دينار يملك الإمكانات الغذائية والأمنية التي يمكنه توفيرها لقوة يفوق عددها على العشرين ألفاً من الأفراد. لذا قام بقفل طريق الأربعين وطريق دنقلا (29). خوفاً من حدوث انفجار سكانى في بلاده. وخليق بالسلطان وأي قيادة سياسية واعية تتعاطى مع الواقع بايجابية وتعتبر بمفردات التاريخ الحديث والمعاصر وتمتلك ذاكرة تاريخية قادرة على الاستدعاء المناسب في الوقت المناسب أن تتخوف ولما ترتكز أقدامه أو أقدامها بعد من قدوم قوة هائلة منظمة ومتسلحة بعقيدة راسخة وقيادة واعية ذات نظرة استراتيجية بعيدة المدى كهذه. وتحت الإلحاح أجاب السلطان بأنه يؤيد السسنوسي في توجهاته ودعوته. أما عن تهيئة مكان لـــه أثناء عبوره اقترح عليه جبل مـــرة مكانــــاً لإقامته (30). من خلال هذه الإشارة نلاحظ أن السلطان الشهيد على دينار لم يوافق وحتى هذه اللحظة على الطلب ورغم الإلحاح الشديد من قبل السنوسي لإقامة زاوية له في دارفور. إلا أنه أبدى أعذاراً لطيفة لا تخرج عن حد اللياقة والدبلوماسية الحصيفة ولم يحاول في رده أن يخسر الكفة السنوسية تماماً. ولكنه في الوقت ذاته كان حذراً من الأمر الذي قد يهدد وجوده وكيانه المستقل. ولعل تأنى السلطان ناتج من جانب آخر من معرفته التامة بما تعنيه الزاوية السنوسية التي كانت تعنى وحدة إدارية وخلية تنظيمية وسياسية وعسكرية واقتصادية وبعثة دينية ووحدة إعلامية مقتدرة. ولئلا ينقطع حبل الوصل بين الطرفين بعث السلطان بهداياه إلى السنوسى بغية تطييب خاطره. وتنذكر بعض التقارير الاستخباراتية الانكليزية أن السلطان شرع في بناء زاوية للسنوسى في جبل مرة (31). أن اختيار جبل مرة كمقر للزاوية السنوسية تدل على بعد نظر المسلطان لأن من المعروف أن جبل مرة ظهير امنى لدارفور ويقع بعيداً عن العاصمة وبعيداً عن رقابة الحكومة البريطانية ووصول جواسيسها إليه.

S.I.R. 80/5 Appendix (A) 9TH Feb. to 31TH march 1901 تقارير المخابرات (28)

⁽²⁹⁾ المصدر نفسه، وهو ما ذكره الطاهر الحاج عربي بعد رجوعه في مارس سنة 1901م 5.I.R. 80/5

⁽³⁰⁾ المصدر نفسه.

⁽³¹⁾ المصدر السابق

وجاءت إشارة أخرى تفيد: (ولد السنوسي البوسطة سارية فيما بينهم مع السلطان علي دينار قريباً أرسل مخاصيص من طرفه إلى السلطان علي دينار ولغاية الآن رسله موجودين بالفاشر حقيقة حالهم لم تكن معلومة. ومنذ شهرين حضر من الفاشر عثمان محمد الدنقلاوي المشهور بكسار الشنيب المتوطن أم درمان أخبر أنه بوجوده هناك حضرت بوسطة من ولد السنوسي للسلطان صحبت مخصوص بأمره ببناية زاوية ... إن هذا الخبر سمعه قمر الدين البرناوي المقرب للسلطان) (32). هذه الإشارات الواردة في تقارير المخابرات تدل على أن الحكومة الثنائية البريطانية كانت ترقب عن كثب كل ما يدور بين السلطان الشهيد على دينار ومحمد المهدي السنوسي بحذر بالغ وبدقة متناهية. كما أنها تلقي الضوء على وجود عملاء وطنيين باعوا دينهم ووطنهم لقاء دريهمات معدودات للأجنبي وهم سودانيون دماً ولحماً ووطناً كما هو الشأن الآن فهذه نماذج بشرية غربية وان اختلفت لوناً ومكاناً وزماناً وتقافة ولغة وحضارة فهي نماذج وضيعة همها ذاتها ولا شيء غير ذاتها في مقدورها بيع ضمائرها وأوطانها وأقوامها وأديانها وأخلاقها في سبيل تحقيق مصلحة آنية عاجلة وكسب رخيص. لأنه مهما كانت المبررات أو المسوغات فإن التخابر مع الأجنبي وبيع معلومات له أباً كانت درجتها المبررات أو المسوغات فإن التخابر مع الأجنبي وبيع معلومات له أباً كانت درجتها تتدر في خانة الخيانة العظمي.

وهذا الخطاب المتقدم يفيد حسن العلاقة بين الطرفين وحمل في ذيله اهتمام محمد المهدي السنوسي بقضية نشر طريقته وتأسيس خلية لها في دارفور وبناء مركز يكون قاعدة انطلاق لها. وخلال ذلك تواترت التقارير الثنائية البريطانية التي تصف هذا الاتجاه وموقف السلطان بقولها: (أما السلطان فقد كان مصمماً على إتباع السنوسي وكان يرى في ذلك إنقاذه والمحافظة على إستقلاله ببلاده وعقيدته قوية في ود السنوسي الذي إنتهز تلك الفرصة فأرسل إليه علماً عليه اسمه والراتب وأرسل له خادمة. واقترح على السلطان إقامة زاوية ومكان للسنوسية في جبل مرة تحسباً للمستقبل إذا هوجمت الفاشر)(33) إذا يبدو أن اختيار جبل مرة كان باقتراح من القيادة

⁽³²⁾ باش معاون مديرية كردفان إلى المفتش العام في سنة 1901م S.N.A. Intel 2/5/2

ب المخابرات، خطاب إلى شيخ جمعة بتاريخ 1901/7/2م الموافق 15 ربيع الأول 1319هــ (33) S.I.R. 58/5.

السنوسية ذات التحليل الموضوعي والنظرة الإستراتيجية تحسبا لما يحمله الغيب من مخاطر واحتمالات غير متوقعة ومفاجآت مباغتة. ويلاحظ المؤلف، أن السسلطان لسو تمتع بنظرة إستراتيجية إقليمية منذ البداية وتجاوز النظرة الضيقة التسى هسى ضسربة لازب لكثير من السياسيين السودانيين في التاريخ الحديث والمعاصر، فأقام عددا من الزوايا للسنوسية في المنطقة منذ البداية لأكسب الوجود السنوسي أرضية صلبة في دارفور كان في مقدورها أن تسانده في لحظات الشدة في تثبيت أقدامه ضد الوجود الاستعماري الانكليزي في الشرق والفرنسي في الغرب بالبلاد لاسيما حين إعلان الحرب الأوربية الأولى. بالرغم مما في هذا الإجراء من المخاطرة حيث لا يستبعد المرء إمكانية وجود مطامع للسنوسية في بلاده يمكن أن تؤثر على موقعة وموقفه من جانب آخر ففي نظري أن هذه التقريرات قد لا تبعد كثيراً عن الحقيقة من حيث اعتماده على قوة ذات جانب. أما من حيث قوة عقيدته في السنوسية يبدو أن السلطان السشهيد على دينار لم يكن اهتمامه بالطريقة عالياً بقدر اهتمامه بفتح الطريق التجاري واستيراد السلاح من ليبيا والتعاطف مع قوة سياسية دعوية وطنية ذات توجه إسلامي. إلا أنه كان يريد أن يتعامل معها معاملة الند للند لا التابع للمتبوع. ولعل هذا الرأي يفسره تباطؤه وترويه بل تردده في إقامة زاوية للسنوسية بالعجلة التي أرادها (ود السنوسي). ويلقى الضوء على هذا الرأي أنه كان يبحث عن قوة ذات جانب. لذا لا غرابة أن قام بطرد السنوسيين من بلاده بمجرد موت محمد المهدي السنوسي الشخصية القيادية ذات الجانب (34) المهاب في المنطقة. وقد يتساءل المرء كيف يمكن أن يحدث ذلك التناقض في المواقف والإجراءات بالرغم من ما مسر عرضه مسن تعاطف وتعاون وتواصل بين الطرفين ؟.

يبدو أن لهذا الطرد مبرراته الموضوعية، فلربما كان ذلك لتخوفه مسن انتسشار السنوسية الذي بلغ شأواً بعيد في عهد محمد المهدي السنوسي حتى بلغت حدود دارفور. ولا شك أن قوة ديناميكية كهذه لابد من أن يحسب لها السلطان الشهيد على دينار حسابها معيداً النظر في علاقاته معها خوفاً من احتوائها له. والسلطان السهيد

⁽³⁴⁾ تقارير المخابرات، 1903 S.I.R. 140/25-27 1st to 31st 1903

-------------- الفصل الثاتى - العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين

على دينار عرف بتدينه ووطنيته وبحساسيته المفرطة منذ اللحظات الأولى لتوليه السلطة ضد أي تدخل خارجي ذي نفوذ قوي أياً كانت دوافعه ومراميه حرصاً على استقلالية بلاده التي كلفت أهل دارفور أرواحاً وجهاداً طويلاً (35). ولعل هذا العيب الذي تمثل في حذره الشديد وتخوفه من الغريب من زاوية أخرى حرمه من إمكانات السنوسية وقدراتها وخبراتها الجهادية والتنظيمية الفائقة. ولعل الشخصية الدارفورية عموما كانت ومازالت هي شخصية مترددة وذات شكوك فيمن حولها وهي ذات السجية التي حاولت جهات أجنبية ومحلية في الوقت السراهن اسستثمارها وتوظيفها لتحقيق أجندتها الخفية من أجل معارضة النظام القائم وإضعاف إمكاناته وقدراته. حيث نلاحظ أن الأحزاب الشمالية حاولت أن تستغل هذه الصفة لصالح أجندتها حين تكون في المعارضة. علماً بأن هذه الأحزاب الكبيرة في السودان هي التي أهملت دارفور وتتميتها وترقية إنسانها حين كانت في سدة الحكم وهي التي دعمت الشرذمة الجهوية في دارفور ومزقت وحدتها وكيانها الاجتماعي. ومن زاوية أخرى يمكن القول لربما مرد هذا القدر من الحذر في التعامل مع الآخرين ناتج من طبيعة الحياة القبلية المتمردة على السلطة المركزية أو لربما يعود الأمر إلى طبيعـة الحيـاة الرعويـة والجبليـة والأرضية الثقافية والتكوين العشائري والوظيفي في بعض المناطق وأقدار التكوين الفسيفسائي للمجتمع الدارفوري. وهي قضية موضع نظر في تحليل ما يدور في ي دارفور الآن من مشاكل بين أهل دارفور وجيرانهم في السودان وبين أهــل دارفــور أنفسهم داخل محيط دارفور نفسها وهي مسألة جديرة بالبحث والتناول الموضوعي.

ويدرك المرء أبعاد خطورة هذه القضية إذا علمنا أن عددية زوايا السنوسية قد بلغت يومئذ ثمانية وخمسين زاوية خلال فترة وجيزة من السماح للسنوسيين بممارسة نشاطهم الدعوي والتبشيري. وبلغ من نفوذها أن بعض شيوخها أصبحوا سلاطين (36). لذا يبدو أن السلطان الشهيد على دينار كان محقاً في تخوفه من قوة محاربة شرسة تتسلح بعقيدة، وتتمتع بقيادة لا ترضى بغيرها بديلاً وتملك مقدرة فائقة على الإقناع

⁽³⁵⁾ D.S.A. Box 114/12: Military notes on western Egypt. Op. cit. pp. 16-12 D.S.A. Box 301/6 مجلة الهلال، مصدر سبق نكره. (36)

والاستقطاب الجماهيري الواسع لا سيما وأن التجربة المهدوية لا تـزال ماثلـة أمـام عينيه. ولئلا يخسر الجانب السنوسي تماماً نهج دبلوماسية مقتـضاها غمـر شيوخ الطريقة من أولاد السنوسي الكبير بليبيا بهدايا. فمن ذلك على سبيل المثال لا الحـصر إرساله مبلغ مائة ريال مجيدي وهدايا تتكون من سمسم وعسل إلى محمد عابد الشريف السنوسي (37) بغية التأثير على أصحاب القرار في المركز. وهو أسلوب قام بإتباعه مع زعامات الحكم الثتائي البريطاني لاحقاً ولـه مردوده الإيجابي السريع. وقـد اتبعتـه الحكومة البريطانية مع الزعماء والقيادات التاريخية والروحية وسلكته حكومة الإنقاذ مع كثير من الزعامات الطائفية والقبلية والحزبية فتمكنت من كسر شوكتها وقصقصة أجنحتها وتدجينها هذا بالإضافة إلى النفعيين الذين اعتادوا السير في ركاب كل نـاعق مادام قادراً على الدفع أكثر. وهي من باب إرضاع الطرف الآخـر وإعطائـه مـصة أو مصتان من ثدي السلطة بغية اسكاته ونيل عطفه على النظام القائم أو كـف شـره عنها ولو إلى حين. ومن المشاهد أن كل من أمسك بثدي السلطة يصعب فطامه، بل أن عنها ولو إلى حين. ومن المشاهد أن كل من أمسك بثدي السلطة يصعب فطامه، بل أن

• المبحث الرابع:-

الأطماع الدعوية السنوسية في ودَّاي (تشاد الحالية)وحاجتها إليِّي ملجأ

كان الطرفان الدارفورى والسنوسي مدركان لأبعد التحركات الاستعمارية الاحتلالية في المنطقة. ولا يخفى أن ورود إشارة مبكرة في تقارير المخابرات البريطانية التي توحي بالاتحاد بين الطرفين فهي ذات دلالة ومغزى سياسي ومؤشر إلى ما يدور على المسرح الإقليمي والمحلى وتتلقفه المخابرات الثنائية البريطانية (38). ولذا يمكن القول بأنه قد بدأ التقارب بين الطرفين منذ الوهلة الأولى حيث أوفد محمد المهدي السنوسي أربعة مبعوثين أخفاهم السلطان في بيته ولم يرهم أحد (39). وذلك

محمد عابد الشريف إلى السلطان على دينار في 23 رمضان سنة 1326هــ الموافق 1908/9/19م $^{(37)}$ S.N.A INTELL 2/3/12

S.I.R 22/16 Appendix (k) July 1900 تقارير المخابرات (38

³⁵⁾ يونان لبيب رزق، ص 238- 239

الفصل الثاني - العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين

نتيجة لما يراود الحكومة الثنائية البريطانية من حذر تجاه قيام مثل هذه العلاقات بين قوتين وطنيتين ذاتي نزعة دينية واتجاه استقلالي (40). الأمر الذي قد ينذر بتكرار تجربة الحركة المهدوية بثوب جديد. وفي ذات الوقت فان هذا الإخفاء يدل على أن السلطان الشهيد على دينار كان يتمتع بحس أمنى عال وبرؤية إستراتيجية واضحة المعالم، ويتعاطى مع واقع محلي وإقليمي يدرك مداخله ومخارجه بوضوح وجلاء.

وفي بداية سنة 1901 بدأ التعاطف الدارفورى السنوي يتخذ بعداً آخر حيث بعث السلطان الشهيد على دينار خطاباً إلى محمد المهدي السنوسي يطلب فيه منه القدوم إلى دارفور بيد أن الأخير لم يلب الطلب (41). ولعل هذا السلوك الحذر يؤكد على أن كلا الرجلين كان يتصرف بحذر إزاء الآخر بالرغم من شعور هما بضرورة التعاون فيما بينهما في مواجهة الهجمة الاستعمارية السشرسة. وفي ديسمبر سنة 1901م ورد السلطان خطاب آخر من محمد السنوسي المهدي يطلب منه فيه إذا ما واجه ضغطاً من الحكومة أن يتعاونا ويتحدا (42). الأمر الذي يوحي ببروز اتجاه استراتيجي ويمكن القول لو قدر لهذا التوجه أن يكتمل لأحدث قراءة سياسية جديدة وتعاط متقدم ويمكن القول لو قدر لهذا التوجه أن يكتمل لأحدث قراءة سياسية جديدة وتعاط متقدم للأحداث في المنطقة دون شك. ويوحي ذلك بأن الصورة قد بدأت تأخذ منحى جديد وتتجه نحو أفق واسع من التعاون والتناصر ضد الوجود الأجنبي في المنطقة سواء في المنطقة سواء في

وبذا يمكن القول بأن العلاقات الدارفورية السنوسية قد اتخذت بعداً سياسياً واتجهت نحو تقارب وشيك يمكن أن يؤول إلى حلف خوفاً من الأطماع الاستعمارية الغربية في المنطقة. هذا بالرغم من محدودية إمكانية كل من القوتين الدارفورية والسنوسية في مواجهة الآلة الغربية الحربية وإستراتيجيتها من حيث العدد والإمكانات والقدرات والخبرات العسكرية والاستخبارية.

⁽⁴⁰⁾ المرجع نفسه

⁽⁴¹⁾ المصدر السابق.

S.I.R. 79/10 Appendix (A) 9th Feb. to 31st March 1902 (42)

وتشير إحدى الوثائق إلى أن السلطان الشهيد علي دينار كان حرياصا على الاتصال على الدوام بالقوى المحيطة به في محاولة لإيجاد ركن شديد يمكن الركون إليه (43). هذا في الوقت الذي كانت فيه فرنسا وبلجيكا وغيرهما من القوى الأوربية الأخرى تدخل في منافسة قوية مع بريطانيا حول أرض النيل (44). وأوشك السلطان نتيجة خوفه من الأطماع الثنائية البريطانية في بلاده أن يطلب الحماية الفرنسية. ولكن بعد استشارة استقر رأيه على طلبها من السنوسي وجاءه الرد بالموافقة على حمايت. إلا أن محمد المهدي السنوسي في المقابل طلب منه إقامة زاوية له في جبل مرة. وتوالت الهدايا بين الطرفين خلال هذه الفترة. حيث أرسل السنوسي مع رسله هدايا إلى السلطان وخطاباً احتوى ثناء عاطراً عليه وقريء خطاب محمد المهدي السنوسي في المسجد وقام السلطان في المقابل بإرسال أحد رجالاته ويدعى أبو النور محملاً إياه المسجد وقام السلطان في المقابل بإرسال أحد رجالاته ويدعى أبو النور محملاً إياه السلطان الشهيد على دينار فيما يتصل بعلاقته بالقوى المحيطة. ويمكن القول أن بروز السلطان التكتيكي كان مبكراً جداً مقارناً بفترة حكمه التي امتدت سبعة عشر عاماً هذا الاتجاء التكتيكي كان مبكراً جداً مقارناً بفترة حكمه التي امتدت سبعة عشر عاماً

ومن جانب آخر يبدو أن الأطماع الأوروبية والتكالب الاستعماري الغربي هو الذي حدا بالسلطان الشهيد على دينار إلى البحث عن حماية. وبذا يمكن القول أن التقارب بين الطرفين أمر اقتضته ظروف المنطقة السياسية والتعاطي مع سا بفاعلية وايجابية. وقد صادف تخوف السلطان من الحكم الثنائي البريطاني ضغطاً فرنسيا عاليا على السنوسية في ودًاى وعلى دارفور من الناحية الغربية. الأمر الذي اقتضى انتقال محمد المهدي السنوسي من الجغبوب بليبيا إلى جيرو بالقرب من عاصمة وداي. ونشبت بينه وبين الفرنسيين حروب ضاربة نتيجة لحضور جماعة من أو لاد سايمان من كانم وطلبهم إقامة زاوية سنوسية هناك وابتعاث من يعلمهم العلم. فبعث معهم

S. I. R. 80/8 9th to 31st March 1901 تقارير المخابرات (43) (44) G. N. Sanderson: England, Europe and Upper Nile first ED. London 1960 P.145 (45) S. I. R. 8/8 9th to 31st March 1901 po. cit

------ الفصل الثاني - العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين

محمد المهدي السنوسي أحمد البراني أحد رجالاته وأتباعه. إلا أن ذلك العمل لم ينل رضا بعض أهل كانم من المواطنين عملاء الفرنسيين فأوشوا إلى الفرنسيين بوشاية فحواها أن محمد المهدي السنوسى أرسل جماعة أقاموا زاوية بها سلاح وعتاد. فدارت بين الفريقين نتيجة تلك المعلومات المغرضة معركة حامية الوطيس أعد لها الفرنسيون حملة صغيرة انتصر عليها السنوسيون نصراً باهراً مما يوحى بأن الحركة السنوسية كانت حركة إقليمية ومحلية مؤهلة عسكرياً وتنظيمياً لمقاومة الوجود الأجنبي في شتى صوره. وعاود الفرنسيون الكرة مع زيادة عددهم إلى ألفين وخمسمائة رجل حيث هزم في هذه المعركة السنوسيون (46). الأمر الذي يؤكد من الوجهة التاريخية والقراءة القائمة على الربط أن الرجل الأبيض والأوروبي والغربى عموماً لا يستسلم بالسهولة ولا يرضى بالهزيمة بل لا يترك الأخذ بثأره وإن مضت قرون على ذلك. وأن روحه السبعية الثأرية أكثر بروزاً من رصيفه الشرقى على وجه العموم الأمر الذي يؤكد على أصالة الإرث الحضاري والإنساني لدى إنسان الشرق من الناحية التربوية والأخلاقية. وفي ذات الوقت فان السلوك العربي قديماً وحديثاً يؤكد على بدائيته وإن تدثر بدئار الحضارة والمدنية التى لا تعدو عن كونها أصباغاً وقشوراً سرعان ما تــسقط وتبــرز حقيقته في محك التجربة ولعل ما يحدث الآن في أفغانستان والعراق والمواقف الدولية الغربية خير شاهد على ما نقول. إذ كل يوم تتبدى لنا عدم مصداقية الإنسان الغربي في طرحه وفي مزاعمه وفي سلوكه وتعامله مع الآخر.

وشعر السلطان الشهيد على دينار بدقة الموقف وتعاطف مع الموقف السنوسي في المنطقة حيث بعث بوفد رسمي إلى الكفرة مكوناً من عشرين شخصاً، بغية توسيط محمد السنوسي في إنهاء الحرب الدائرة بين ودّاي ودارفور. وكان السنوسي يهدف من سعيه في هذا الجانب إلى توحيد جهود السلطانين المسلمين الوداوي والدارفوري ضد المسيحيين الإنجليز والفرنسيين (47). لقد عجلت الأطماع الاستعمارية في المنطقة بتعاطف وتكاتف القوى الوطنية الإسلامية في البلدين. وتجاوزت بها حدود الإقليمية

⁽⁴⁶⁾ استطلاع مجلة الهلال، مصدر سبق ذكره D.S.A Box 301/6. op. cit

الضيقة والمحافظة على الكرسي إلى المحافظة على بيضة الإسلام والدفاع عن حماه، فورود كلمة مسيحيين في التقرير الماضي ذات دلالة سياسية ومغزى موضوعي من هذه الناحية. ولم يقف الأمر عند حد الكلمة بل تعدى ذلك إلى الفعل الايجابي حيث يقول الشريف أحمد السنوسي في خطاب إلى السلطان: (والله إننا في غاية الفرح بكم لأنه للآن ليس هناك محل يعتمد في نصرة الإسلام غير محلكم ... إن شاء الله لم نزل ساعون في الذي ينوبكم من الجبخانة ولو كان مائة ألف)(48). هذا الخطاب يؤكد على بروز حلف إستراتيجي وتوافق ظاهر بين الطرفين على المناصرة والمؤازرة وإن لم يتخذ ذلك شكل الأحلاف الحديثة القائمة على المعاهدات والمحاضر والوثائق والجلسات المشتركة بين الطرفين. وذلك لصعوبة الاتصال واستحالة الانتقال. ولكنه يكشف في الوقت ذاته عن متانة وجذور هذه العلاقة القائمة على العقيدة وحق الجوار وهي مسن أمتن الوشائج التي عرفها الإنسان عبر التاريخ.

لا شك أن هذا الجانب من العلاقات السنوسية والدارفورية يعتبر مشرقاً ومضيئاً. وهو بلا ريب يخرج بالعلاقات بين الطرفين من الآفاق الإقليمية الضيقة القائمة على المصلحة الذاتية إلى آفاق الضحوة الإسلامية في وجه التحدي والطغيان الاستعماري الغربي للأمة الإسلامية. ويمكن من ناحية أخرى اعتباره معلماً هاماً في التاريخ الإسلامي الحديث. كما أن كلمات أحمد الشريف بحرارتها وقسمها تعتبر قلادة ووساما يتوشح به السلطان الشهيد على دينار لنفي ما حاولت المخابرات الثنائية البريطانية البريطانية السنقلاله غيوراً على وطنه، وأصبح قوة ذات وزن ويسشكل كيانا ستقلاله غيوراً على دينه، غيوراً على وطنه، وأصبح قوة ذات وزن ويسشكل كيانا يتهدد الأطماع الاستعمارية الغربية في المنطقة. ويعتبسر رائداً مسن رواد الحركة السودانية الوطنية الحرة المستقلة وقائداً بلا منازع لأول مقاومة وطنية في السودان. والقدومي فان التساريخ خيسر شاهد على وطنيته وقدرته على الصمود والقسومي فان التساريخ خيسر شاهد على وطنيته وقدرته على السصمود

⁽⁴⁸⁾ أحمد الشريف إلى السلطان في 1911/2/13م الموافق 15 ربيع الأول سنة 1329هـ. S. N. A. Intel 2/3/12،

الفصل الثانى - العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين في وجه الاستعمار بكل أشكاله وألوانه وهو أجدر من غيره بأن يتقلد وسام الشرف في هذا الجانب.

وكانت فرنسا من جانب آخر مدركة لدوره الطليعي القيادي المؤثر والفاعل في المنطقة لذا قامت باقتطاع أجزاء من سلطنته مما دعاه إلى التفكير الجاد في بناء ترسانته والاستعداد لأية مواجهة متوقعة بينه وبينها (49). بذا يبدو أن العداء الفرنسي لكل من السنوسية وسلطنة دارفور قد أسرع الخطى بوحدة الفريقين وتماسكهما.

وكانت الحركة السنوسية من جانب آخر بحاجة إلى ملجاً حصين لا سيما بعد أن اشتدت الوطأة الفرنسية عليها في ودًاي (تشاد الحالية). ففتح السلطان بلاده أمام اللاجئين السنوسيين بدون شروط وقدم لهم ضمانات كافية وأماناً مطلقاً. ودخلوا الفاشر بقيادتهم وأسلحتهم ولكن بعد وصولهم اشترط عليهم السلطان الشهيد على دينار تسليم أسلحتهم مع ضمان الإقامة الجيدة لهم (50).

لا ينكر المرء ما لهذا الشرط من الوجاهة والموضوعية والمنطق. إذ لا يخفى أن وجود أي قوة مسلحة مهما كانت مبرراتها أو كما تسمى الآن بالمليشيات المسلحة داخل بلاده تحت قيادة مستقلة أمر يهدد الأمن العام، ويشكل خطورة على البيئة السياسية في البلاد. وهو ما لا يسمح به أي نظام ينشد الأمن والاستقرار. فهو ابتداء لم يأنف من إيوائهم ولم يرفض دخولهم بلاده. ولعل تصرفه هو عين العقل. ويستطيع المرء إدراك سلامة موقفه وتصرفه مما تعانيه الخرطوم الآن التي سمحت بوجود جماعات مسلحة سواء فيما سبق في عهد الحزبية الثانية أو الثالثة، أو بعد اتفاق الإنقاذ مع بعض المجموعات الجنوبية والدارفورية ولعل حوادث الكلاكلات والاثنين وسوبا والموردة والقسم الأوسط بأم درمان والمهندسين أخيراً وحادثة مقتل الشهيد الصحفي محمد طه محمد أحمد وغيرها ما لا يعد ولا يحصى كلها تقع تحت طائلة هذه المحاذير التي اقتضت من السلطان الشهيد على دينار اتخاذ مثل هذه الإجراءات الحازمة. ولعل أسوأ

S. I. R. 205/5 August 1911

⁽⁴⁹⁾ تقارير المخابرات، ربيع الثاني 1329هـ ما 1311 S. I. R. 200/6 March

نتائج السماح بوجود مليشيات مسلحة في العاصمة المثلثة في ظل الإنقاذ ما يحدث الآن في منطقة الكلاكلة وفي مناطق متعددة من العاصمة حيث توجد جماعات مسلحة تهدد الأمن والاستقرار مما يتطلب استعدادا أمنياً على درجة عالية من القوات النظامية. وما حدث يوم الاثنين المشئوم في عدة مدن من عواصم السودان حيث انفرط عقد الأمسن الاجتماعي وفشلت الحكومة من السيطرة عليها بكل أجهزتها وإمكاناتها. وما حدث في الأوسط بأم درمان وما حدث أخيراً بمنطقة المهندسين يقتضي اتخاذ قرار حاسم بشأن الوجود المسلح، لأن الأمن الاجتماعي هو مسوولية سيادية لا تقبل التجزئة ولا يجوز لسلطة سياسية ذات خطر وشأن وتحرم نفسها أن تفرط ولو في شعرة منها وأن أي دولة تفرط في هذا الجانب تحت أي ظرف من الظروف أو مسمى من وأن أي دولة تفرط في هذا الجانب تحت أي ظرف من الظروف أو مسمى من حين سمح في عاصمته عمان بوجود فلسطيني مسلح كاد أن يعصف بالملك حسين المسطأ من الأمر. وقد لعب يومها الرئيس الأسبق جعفر نميري دور ود البلد في هذه الأحداث وخاطر بنفسه من أجل استقرار ذلك البلد الشقيق وإحداث الألفة بين الطرفين.

وفي هذه الأثناء دخلت السنوسية في ليبيا في حروب ضارية مع الإيطاليين واستبسلت قياداتها في هذا الجانب، فلم يقف السلطان الشهيد على دينار مكتوف الأيدي إزاء هذا النضال الشريف والكفاح الوطني المنقطع النظير في الته اريخ الحديث والمعاصر، فهو إن لم يشارك برجالاته وسلاحه فقد شارك بماله. ويشر إلى هذه الحقيقة أحمد الشريف السنوسي بقوله: (فالله يديم بقائكم ويمحق أعداءكم ويمحق بسيوفكم رقاب الطائفة الكافرة الخاسرة الماكرة فان الكفر قد عم وطم ولم يكن اليوم ملك على وجه الأرض غيركم. فقد أعزيتم الدين وقهرتم الملحدين)(15). هذه العبارات بوضوحها وجلائها تؤكد على دور السلطان الشهيد الطليعي في المنطقة.

^{(&}lt;sup>(51)</sup> أحمد الشريف إلى السلطان في 1911/12/16م الموافق 25 محرم 1330هــ المسلطان في 13/11/16م الموافق

وقد وردت تلك العبارات بعد أن شكره على ما أرسله إليه من مبلغ لدعم المجاهدين وزوده بأخبار الجبهة السنوسية الإيطالية وأعلمه باستيلاء الإيطاليين على المهاجر البحرية حيث يدل ذلك على الاهتمام بالسلطان وأصالة دوره الأخوي في دعم المعركة. وأهمية إطلاعه على مجريات الأحداث يوحي بأن هناك اتفاقاً سرياً معقوداً بين الطرفين، وأن عداوتهما المقيتة والمحضة للقوى الاستعمارية الأوروبية قد قاربت بين وجهات نظريهما ضد الوجود الأوربي في المنطقة. وهذه الشهادة تـشكل قـلادة في صدر وجبين السلطان الشهيد على دينار في مواجهة كل الاتهامات والمحاولات المتكررة لتشويه سمعته وتاريخه من قبل مؤرخين غربيين أو محليين ماجورين أو مخلين.

وبذا فقد تجاوزت بالسلطان همته حدود بلاده. وارتقت به غيرته على الإسلام عن المحلية والذاتية والإقليمية الضيقة إلى أفق أرحب. وقد أبدى السلطان الشهيد على دينار تجاوباً مع المقاومة الإسلامية أينما وحيثما وجدت أو كانت، حتى استحق هذه السشهادة من قائد حركة عرفت بجهادها وإخلاصها ووطنيتها الفذة، ودورها النضالي المشهود له في التاريخ الحديث والمعاصر لا على مستوى ليبيا وإنما على مستوى القارة الأفريقية والمنطقة العربية قاطبة.

من خلال الحيثيات المتقدمة يتضح لنا أن العلاقة الدارفورية السنوسية لـم تكـن وليدة أحداث الحرب التي أسموها زوراً وبهتاناً العالمية الأولى شأن تسمية الحرب التي شُنت ظلماً وجوراً وافتراء على كل من أفغانستان والعراق في نهايات القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين حيث البهوها ثوب الدولية والدولية منها براء. وتؤكـد الإشارات السابقة على أن الرابطة الدارفورية السنوسية لـم تكـن دوافعها عرقيـة أو إقليمية بقدر ما كانت تجسد صحوة إسلامية ويقظة وطنية وقوميـة فـي المنطقـة. وفهما واقعياً متقدماً وقراءة جادة لمجريات الأحداث. هذا ما تقوله الوثائق السابقة وهي أقوى برهان تاريخي، ولعل ما مضى يدفع عن السلطان الشهيد على دينار كل ما تـم تقينه لطلاب المدارس من معلومات مغلوطة عن هذا السلطان البطل القومي والوطني وقائد المقاومة الوطنية الأولى في البلاد بلا منازع وبلا جدال.

ومن ناحية أخرى فقد كانت الحركة السنوسية في القرن التاسع عــشر المــيلادي والنصف الأول من القرن العشرين تمثل الفكر الإسلامي الأرحب والرؤية الإســلامية الجادة. أما السلطان الشهيد علي دينار فهو حاكم إسلامي ووطني غيور على إســلامه واستقلاله وشعبه وجد في السنوسية سنداً لذلك الاستقلال وغيرة على الإســلام. فكــان من الطبيعي إن كانت تلك أوصاف ومعطيات الحركة الــسنوسية أن تحــاول توحيــد القوى الإسلامية في المنطقة. وان تبارك جهود السلطان الشهيد على دينار الرامية إلى فتح باب الحوار مع سلطان وداي المخلوع محمد صــالح دود مـرة واسـتقدامه لــه للفاشر (52).

وبذا تجاوز السلطان الشهيد علي دينار الخصومات والاعتبارات الشخصية إلى الأفق الأرحب ونسي عداوته السابقة مع سلطان ودًاي في سبيل تحقيق مصلحة إسلامية راجحة ألا وهي مقاومة الهجمة الاستعمارية الشرسة على ديار الإسلام. وهذا في حد ذاته يعتبر معلماً بارزاً في تاريخه وله أكثر من دلالة ومغزى. ويمكن القول أن التقارب بين الطرفين قد اتخذ أبعاداً هامة في تاريخ المنطقة العربية والأفريقية من حيث المقاومة والوطنية والنزعة الإسلامية ذات التوجه الصادق. وعلى كل فإن هذا التوجه المتقدم من المنظور السياسي هو ما تحتاجه زعامات وقيادات وطوائف وعشائر دارفور الآن أكثر من أي وقت مضى، بمعنى آخر أن ما تفتقده قيادات دارفور الآن أكثر من أي وقت مضى، بمعنى آخر أن ما تفتقده قيادات دارفور الآن المصلحة الأفق وتجاوز الخلافات السطحية والشوفونية الفردية إلى مرتبة تقديم والحكمة ووضع مصلحة الوطن فوق المصالح الشخصية وتحقيق المآرب الآنية والحكمة ووضع مصلحة الوطن فوق المصالح الشخصية وتحقيق المآرب الآنية المدى. لأنه من المعلوم أن أي تدخل أجنبي مهما كانت مبرراته أو مسوغاته الموضوعية لابد له من ثمن وأن ثمنه غال. قد يكون هذا الثمن إنسان وثروة وأخالاق الموضوعية لابد له من ثمن وأن ثمنه غال. قد يكون هذا الثمن إنسان وثروة وأخالت بمثابة الموضوعية لابد له من ثمن وأن ثمنه غال. قد يكون هذا الثمن إنسان وثروة وأخالاق وقيم دارفور، هذا على أقل تقدير، مما يعني بعثرة إرث عقود من الزمان كانت بمثابة

82 ====

S. N. A. Intell 2/3/12 محمد عابد الشريف إلى السلطان على دينار في سنة 1911م [1916 | S. N. A. Intell 2/3/12

------ الفصل الثاتى - العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين

تاج من جوهر يرصع جبين إنسان دارفور ويميزه عن غيره من سكان السودان الآخرين. كتبها الأوائل بدمائهم الطاهرة تضحية واستبسالاً من اجل أن يبقى السودان كل السودان وأهله كل أهله كرماء لا يستغلون ولا يستغلون تظلهم رايات الكرامة والحرية والعزة بالماضي والعزم على بناء الحاضر على ذات القيم التي ورثوها من الأسلاف خلقاً وسلوكاً ومبادئ.

• المبحث الخامس:-

دخول تركيا في الحرب الأوروبية الأولى وحمية الشهيد الإسلامية

إن دخول تركيا الحرب - أي السلطنة العثمانية التي كانت تمثل المظلة الإسلامية لكل العالم الإسلامي اختلف الناس أو اتفقوا حول ذلك - مما شجع الخديوي والسنوسي والسلطان الشهيد على دينار لتوثيق علاقاتهم، لعل هذه مقولة يتبين صدقها من خلال ما سيأتي. وبداية لا بد من عرض لمحة سريعة ومسح موجز لما سبق. وإذ لا يخفي على ذي عقل أن تزويد السلطان الدارفوري المتواصل من قبل السنوسية بالسلاح واطلاعه على ما يدور في الجبهة الإيطالية السنوسية بانتظام يعتبر دلالة سياسية عميقة قي مجال العلاقات بين الطرفين. كما أن الدعم المادي والمعنوي الذي قدمه السلطان الشهيد على دينار للجبهة السنوسية يدل على أن هناك اتفاقاً غير مكتوب بين الطرفين لمواجهة القوى الاستعمارية في المنطقة. ويشير في ذات الوقت إلى وجود تنسيق غير -معلن بين الطرفين غايته طرد المستعمر المحتل وزعزعة وجوده في المنطقة بغيض النظر عن جنسيته، فالاستعمار الأوروبي الغاصب هو استعمار في نظر الرجلين سواء أكان إنجليزياً أو إيطالياً أو فرنسياً فالكل يشكل عملة واحدة، فالدين والوطنية والأخلاق والقيم والرجولة تقتضى محاربته بكل الوسائل. لأن الاحتلال بكل أصنافه وألوانه هـو وجه لعملة واحدة. وذلك يعنى أن السلطان الشهيد على دينار كان متقدماً فـــى وعيـــه السياسي وتعاطيه مع الواقع تقدماً يفوق سقوف معظم القادة السياسيين الحاليين على مستوى دارفور أو السوذان عموماً أو على مستوى العالم الأفريقي والعربي والإسلامي. ذلك لأن الارتماء في أحضان أمريكا أو انجلتـرا أو فرنـسا أو ألمانيـا

والتهافت على إرضائها والتسابق إلى مرضاتها الذي نلحظه في كثير من الأقطار الإسلامية والعربية والأفريقية ومن مواقف كثير من القيادات على مستوى السودان أو دول الجوار يصب في خانة العمالة والخيانة الوطنية العظمى وان كان مغلفاً بعدة أطروحات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب. والتعامل والتعاطي مع أجندة الأجنبي بسلبية أو بتفاعل زائد كله يصب في خانة الخيانة العظمى. لأن الاستعمار هو الاستعمار وأجندته هي ذاتها على الدوام ثابتة وهي أطماع واستغلال وإضلال وعلى مر التاريخ قد تتنوع اطروحاته وقد يضع على وجهه بعض الاصباغ والكريمات تحت دعاوى باطلة ومظاهر خادعة والتي قد ينخدع بها المغفلون ويستجيب لها العملاء الخونة بوعي وإدراك، لأنهم قد باعوا ضمائرهم وقد خلعوا جلودهم من أجل كسب

وقام السلطان الشهيد على دينار في ذلك الوقت بدوره المنوط به من إرهاب لأعداء الله من ناحيته حيث قام بحملة إعلامية هائلة لإيهام الحكومة الثنائية البريطانية بأنه قد وصلته أسلحة هائلة من السنوسية. وأن عدد جنوده قد بلغ التسعة عشر ألفأ. ووصلت يده إلى تغيير بعض الرسائل التي كانت تبعث ضده إلى قلم المخابرات الثنائية البريطانية وكان هذا من بأب الحرب المعنوية (53). مما يدل على وعيه لما يدور حوله وما يحاك ضده.

وفي بداية سنة 1915م أشاد السلطان الشهيد على دينار بجهاد الـسنوسية ضـد أعداء الدين، ودعا الله لهم بالنصر في المسجد الجامع، ودعم المقاومة السنوسية بـأن أرسل لهم ثلاثين جملاً هدية مساعدة منه في الجهاد ضد أعداء الإسلام وأردبين قمحاً. وأرسل أشياء أخرى لبيعها وشراء أسلحة بثمنها (54) من ليبيا، ونلاحظ أن الـسلطان وفقاً لإرثه الحضاري كانت يده دائماً هي العليا ولم تسمح لـه نفسه أبداً أن تكون يده هي السفلى الآخذة فكان عزيز النفس أبياً كريماً شجاعاً.

S. N. A. ENTILL 7/4/10 18TH FEB. 1915 تقارير المخابرات (53)

^{(&}lt;sup>54)</sup> السلطان إلى ادريس بن السنوسي في 1915م الموافق 1333هـ 1333 S. N. A. Intel 2/3/12

----- الفصل الثاتى - العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين

هذه الإشارة التي أوردناها لها جذورها وارتباطاتها الإسلامية الواضحة من خلال ورود عبارات أعداء الدين، وأعداء الإسلام ... الخ. كما أن استمرارية الهدايا وهي تشكل دعما مادياً دون انتظار المقابل يدل على مدى بعد نظر السلطان. أما محاولت الدعوبة لتقوية ترسانته فهو أمر يقتضيه وعيه السياسي لدوره المنوط به في المنطقة. ولعل هذا ينفي الزعم الثنائي البريطاني الذي دبجته أقلام المخابرات ضده وضد كل وطني غيور لم تلن له قناة قديماً وحديثاً عبر عنه الحاكم العام بقوله: (لقد اتجهت أنظار الأتراك والجرمان نحو السنوسية. ولقد تهيأ المجال لوجود عدد من الأتراك كأخ أنفر باشا وغيره من الأشخاص ذوي النفوس الشريرة بجانب السنوسي. وحاولوا إقناعه بصورة مباشرة أو غير مباشرة لإثارة القبائل الموجودة في مصر والقبائل المعادية في دارفور ووداي. ومن هنا بدأت العلاقات بين دارفور والسنوسية. وأصبح السنوسي يأخذ الأموال التركية بهذه الصورة التي هي أفضل من أن يرمي بنفسه كلية في أخضان الأتراك) (٢٥٥).

احتوى الخطاب السابق على جملة تتاقضات وتجاهل تام لأساسيات موضوعية ومنطقية وحقائق تاريخية من باب تجبير الحقائق وتزوير الوقائع ولي عنق الحقيقة من أجل الوصول إلى نتائج تشبع غرور الاحتلال والقائمين على أمره وتقنع الإغبياء وتبرر عمالة العملاء وخبث الخبثاء من أبناء البلد. إن هذه التناقضات تتبدد أمام الحقائق التالية: – أولها: أن القيادة السنوسية هي قيادة قومية وطنية إسلامية ذات نزعة استقلالية. ثاتيها: أن سلطان دارفور حاكم إسلامي قومي ووطني من الطراز الأول غيور على استقلاله ودينه. ثالثها: أن هناك جامعاً مشتركاً بين كل من تركيا (السلطنة العثمانية) والسنوسية ودارفور ألا وهو الدفاع عن الأرض والعرض ومقدرات الأمة الإسلامية والعربية والأفريقية والذود عن الحياض الإسلامية. رابعها: وصف من يدافع عن وطنه وأمته بالشر أمر يقتضي الوقوف طويلاً. حيث نلاحظ أن ذات العبارات تتكرر الآن من قبل الاحتلال الأمريكي سواء في أفغانيستان أو العراق أو إيران

^{(&}lt;sup>55)</sup> الحاكم العام باركويت اللي الكولونيل فيتز جيرالد في 28 يوليو سنة 1915م 1915م D. S. A. Box 131/5

أو كوريا الشمالية أو الصومال أو السودان دون خجل أو حياء. ويتجاهل الحاكم العام في الوقت ذاته أن وجوده هو في المنطقة واحتلاله واغتصابه لأرض السودان وعـــدة مواقع في أفريقيا وآسيا هو الشر عينه ولكن كما يقال الذي يرقص لا يغطى ذقنه وكما جاء في المثل المصري (اللي اختشوا ماتوا). خامسها: أنه قد كنب والكنب عند الأوروبيين والفرنسيين مباح ما دام يخدم أغراضهم ويحقق مصلحة لهم. كما حدث من قبل وزير خارجية أمريكا (كولن باول) أمام مجلس الأمن بشأن أسلحة الدمار الـشامل في العراق وقد شهد هو على نفسه بالكذب فيما بعد وشهد العالم كله على كذبه وكذب أمريكا وخداعها للمجتمع الدولى فيما قادته من مبررات إعلان الحرب على كل من العراق وأفغانستان. ومن خلال الوثائق والحقائق التاريخية السابقة نقول أن الحاكم العام قد كنب حين أشار إلى أن التقارب السنوسى الدارفوري كان نتيجة لأحداث الحرب الأوروبية الأولى وهذا ينافى ما ثبت آنفاً من أن العلاقة الدارفورية السسنوسية ترجع بدايتها إلى أوائل أيام حكم السلطان الشهيد على دينار أي ما قبل الحرب باكثر من عشر سنوات من الزمان. وكانت الحكومة الثنائية البريطانية مدركة لأبعاد هذه العلاقة منذ بداياتها الأولى وقد ورد ذلك في تقاريرها. إلا أنها كانت عاجزة عن اتخاذ موقف حاسم تجاه دارفور يومئذ لظروفها وخوفها من الحيلولة دون حدوث السلام والاستقرار في المنطقة. سادسها: أن السنوسي قد جنى من وقوفه مع تركيا (السلطنة العثمانيـة) أموالاً فهذا زعم باطل فيه قدر من التجنى على حركة وطنية ودينية نزيهــة عرفـت بنظامها الدقيق والتزام أي عضو من أعضائها باقتطاع جزء من دخله لدعم الحركة سنوياً. وهي أول تجربة تحررية بمعنى الكلمة في أفريقيا، حيث طرحت شعار الاكتفاء الذاتي بأن نأكل مما نزرع ونلبس مما نصنع. فالزاوية السنوسية هي خلية حياتية كاملة تربوية واقتصادية واجتماعية وروحية وعسكرية، يجد الإنسان فيها الأنسس الروحسى والغذاء الفكري والسعى الاقتصادي والتعليم المهنى. وقد بلغ عدد أعضائها الملايسين لموضوعية فكرها وبساطة طرحها. سابعها: تجاهل هذا الخطاب وحدة الأهداف بين الطرفين الدارفوري والسنوسي، ولم يشر إلى أن التوسع الاستعماري الاحتلالي في

------ الفصل الثاتي - العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين

المنطقة هو الذي دفع بالحركتين إلى التكاتف والتعاون والتظاهر من اجل تحجيم المد الأوروبي التتصيري الغادر في المنطقة العربية والاسلامية والأفريقية. أما أن ظروف الحرب الأوربية الأولى فقد دفعت بتركيا لتشجيع القوى الإسلامية الوطنية للوقوف أمام الحلفاء وبالتالي عجلت بالمواجهة بينها وبين الوجود الأوروبي الآشم، وربما كان استيلاء الحكم الثنائي البريطاني الغادر على دارفور المي في المقام الأول إلى جانب الأطماع الفرنسية. ثامنها: أن سلطنة دارفور هي في المقام الأول سلطنة إسلامية عريقة وهي من (ممالك الثغور) التي حافظت على الإرث الثقافي والحضاري للأمة المسلمة حين فقدت كياناتها في الأندلس، أي في تخوم العالم الإسلامي. فأهلها تبعاً لذلك الوجود الحدودي متشبعون بروح الجهاد والغزو لذا لا غرابة أن استجابوا لباعث الجهاد ونداءاته بتلك الصورة وبتلك السرعة. ولا يخفى أن دارفور كانت ولا تزال وستظل هي مهد خلاوى القرآن وشيوخه ومنها إنداحت سلطنة تعتبر من أعظم السلطنات الإسلامية في المنطقة العربية والإسلامية والتي أورفت بظلالها فعمت معظم أنحاء السودان وامتد عطاؤها حتى طال السلطنة العثمانية والخديوية والمصرية والحرمين لبضع مئات من السنين دون من أو أذى في وقت ضن فيه المصرية والحرمين ابضع مئات من السنين دون من أو أذى في وقت ضن فيه

وفي خطوة مفاجئة وغير متوقعة في أغسطس سنة 1915م وصل أحمد الشريف السنوسي منطقة جبل الميدوب على مشارف دارفور. ووصل دارفور قيس كريم مبعوثاً من السنوسي وجرت مفاوضات على مستوى عال بين الطرفين تم بموجبها الاتفاق على تزويد السلطان الشهيد على دينار باحتياجاته من السلاح والذخيرة (66). ووصلت خلال هذه الفترة العلاقات السنوسية الدارفورية حد التحالف وتبادل المصالح. ونتيجة لموقف الحكومة الإنجليزية تجاه السنوسية في الحدود الغربية فإن العلاقات السنوسية الدارفورية ازدادت قوة وتماسكا (57).

(56) S. I. R. 253/4 august 1915

^{(&}lt;sup>57)</sup> من كلابتون إلى الحاكم العام في 1915/12/24م D. S. A. Box 131/6 TELEGRAM

ودرج أحمد الشريف السنوسى على تزويد السلطان أولاً باؤل بأخبار الجبهة السنوسية والجبهة الألمانية التركية. حيث نقل إليه صورة حية عن المعركة الدائرة بين إيطاليا والسنوسية على البر الليبي وبين إيطاليا وألمانيا وتركيا على البحر. وأخبره بأن المعركة ستتحول إلى غرب مصر ومحاصرة طرابلس (58).

ولقد لعب شيوخ السنوسية الموجودين في الفاشر دوراً بارزاً في تحسين العلاقات بين ليبيا ودارفور وديمومتها والمحافظة عليها. فكانوا من وقت لأخسر يسزودون السنوسي بأخبار السلطان على دينار واتجاهاته الايجابية تجاه السنوسية. مما كان لــه أثر طيب في نفس السنوسي واتجاهه القوى نحو السلطان (59).

وبنهاية سنة 1915م صدر بيان من الخلافة العثمانية داعياً كل المسلمين إلى الجهاد ضد أعداء المسلمين من بريطانيين وألمان وفرنسيين وايطاليين. ووصلت نسسخ من هذا البيان إلى السودان يدعو المسلمين بالسودان إلى الخروج على الجيش البريطاني. وأصدر السلطان الشهيد على دينار بدوره استجابة لهذا النداء بيانات مماثلة تندد بالحكم الثنائي البريطاني وتدعو للخروج عليه (60). وبذا أعلن السلطان الشهيد على دينار صراحة خروجه وانفكاكه بل محاددته للحكم الثنائي البريطاني. وبدأ في استشارة الأعيان من ذوى الأثر الروحي في البلاد – وفي عقر دار الحكومة الثنائية البريطانية – ينقل إليهم أخبار المعارك. فذكر للشيخ يوسف الهندى (*) أن السلطان محمد رشاد وأو لاد السنوسي قد قتلوا عددا كبيرا من الأعداء. وأنهم قد أرسلوا تحت إشراف قيس كريم و آخرين ألفين وأربعمائة بندقية وأربعمائة صندوق ذخيرة.

خطاب من محمد عابد الشريف إلى السلطان في 1915/11/5م

S.N.A. Intel 2/3/ D.S.A.BOX.131/6 من كلايتون بالقاهرة إلى الحاكم العام في 1915/12/25م

⁽⁶⁰⁾ تقرير عن أحوال الجيش الثنائي من الحاكم العام إلى وزير الحربية البريطانية في 1916/8/6م

D.S.A.BOX. 130/1 (*) هو والد المرحومين الشريف حسين يوسف الهندي وزين العابدين الهندي الأمين العام للحزب الوطنى الاتحادي الديمقراطي وكان أحد الثلاثة الذين يدور حولهم رحى الأثر الروحي والاجتماعي والتقافي في السودان وكان أحد الزعماء الثلاثة الذين هادنوا الاحتلال البريطاني وذهبوا بعد نهاية الحرب الأوروبية الأولى 1918م إلى بريطانيا لتهنئتها بفوزها في الحرب وهزيمتها لتركيا وحلفائها!!!. بالإضافة إلى جد الزعيم اسماعيلُ الأزهري الذي كان ضمن أعضاء الوفد وقد كان برفقتهم الشاب إسماعيل الأزهري الزعيم إسماعيلُ الأزهري فيما بعد باعتباره مترجما وكان عمره يومذاك ثمانية عشر عاما. ويوسف الهندي قد وفد جده وهو شريف من مكة إلى السودان. والهندي نسبة إلى مرضعته الهندية وقد وفد في عهد الدولة السنارية. وكوّن أحفاده طريقة تعرف بالطريقة الهندية . ومكان إقامتهم ببري الشريف شرق معرض الخرطوم الدولي الآن.

مما لاشك فيه أن هذه الاستجابة السريعة لنداء الخلافة ترقى بالقيادة الدارفورية الى مستوى القيادات الإسلامية المخلصة الواعية والقارئة قراءة صحيحة لمفردات التاريخ ومعطيات الواقع في التاريخ الحديث والمعاصر تلك القيادات الوطنية والتاريخية التي لم تلوث تاريخها أو ماضيها بالارتماء في أحضان القوى الاستعمارية الغربية أو تنسى عقيدتها وانتماءها مقابل البقاء في كرسيها، كما فعلت كثير من الزعامات والقيادات المحلية والإقليمية الحديثة والمعاصرة التي ارتمت في أحضان الاستعمار الأوربي والأمريكي الحديث والمعاصر دون قيد أو شروط وكما تفعل الآن كثير من القيادات والزعامات على مستوى دارفور أو السودان أو العالم العربي والإسلامي، دون وعي ودون اعتبار بمفردات التاريخ الحديث والمعاصر ودون استحياء أو خجل.

ولم ينته دور السلطان علي دينار عند حد التأبيد وإنما تعدى ذلك إلى المسساركة الفعلية بأن أعلن عداءه الكامل للحكم الإنكليزي حقيقة المصري اسماً. وتجاوز بنظرته وبتخطيطه وبتعاونه حدود بلاده لإحداث ثورة شعبية بغيتها النهوض بالأمة المسلمة عموماً والسودانية على وجه الخصوص في محاولة جادة لتقويض أركان النظام الاستعماري الاستغلالي البريطاني القائم في السودان عموماً.

وفي سبيل تحقيق هذا المخطط ولإحداث ثورة وطنية في طول السودان وعرضه قام بالاتصال بالأعيان الذين كانوا يشكلون مفاتيح الاستعمار ومداخله إلى السعب السوداني فكان اتصاله بالشيخ يوسف الهندي من هذا القبيل. ويدل ذلك على وعيه وإدراكه لأبعاد القضية وعدالتها. فقام بتبنيها وطرحها وإعادة عرضها على القيادات السياسية الوطنية في البلاد.

هذا الموقف البطولي يلقي الضوء على تعاطفه وتبنيه لقضية كان في قرارة نفسه مقتنع بأنها قضية المسلمين وكل المسلمين، لذا حاول استقطاب القيادات ذات الوزن والثقل الديني والقبلي والثقافي بغية إثارتها ضد الوجود البريطاني في البلاد وشل حركة الحكومة الثنائية البريطانية حتى لا تتحرك تجاهه أو تجاه حلفائه في البشمال.

وفي سبيل تحقيق «هذا الهدف النبيل اتبع أسلوب الإغراء والتشجيع مع هذه القيادات ناقلاً إليها أخبار المعارك والأسلحة التي وصلته. وفي الوقت ذاته كان يهدف من ذلك الإعلام إلى إرهاب الحكم الثنائي البريطاني. لأن هذه القيادات أن لم تستجب له وفضلت الركون إلى الوجود البريطاني فإنها حتماً ستنقل ذلك إلى استخبارات الحكم البريطاني بالبلاد وهذا ما حدث فعلاً حيث أن بعض هذه القيادات من أمثال على الميرغني حسب ما ورد في الوثائق ومن خلال الخطابات المتبادلة بينه وبين السلطان الشهيد على دينار كان يقوم بدور التخذيل والتثبيط والتخويف للسلطان المشهيد على دينار من قوة بريطانيا وحلفائها الباطشة لإثنائه عن موقفه الموطني البطولي كما ورد من خلال الوثائق التي وردت في ثنايا هذا الكتاب.

ولعل عبارته التالية تلقي الضوء على جانب هام من مواقفه حيث يقسول: (ولقسد أخذتنا العزة الإسلامية والحمية الإيمانية وعزمنا أن نقوم بحول الله وقوته وقدرته فسي نصرة دين الله لجهاد أعداء الدين الكفرة معاندي الشريعة المحمدية الموجودين حولنسا هنا في السودان وقريباً إن شاء الله تعالى نخرج هجرة للجهاد في سبيل الله وسيبلغ مسامعكم ما يصير منا لأعداء الله)(61).

إذاً القضية كانت في مخاية الوضوح والجلاء كانت في نظر السلطان الشهيد على دينار فهي قضية إسلام ووطن ووجود وأمة وأن مقاومته هي مقاومة ذات طبيعة إسلامية وطنية فالدافع لها هو قول الله تعالى: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) (62). إذ لا ينبغي لمسلم أن يرضى بالذل والهوان في بلده أو أخذ الدنية في دينه وعرضه.

من خلال ما مضى يتضح للمطلع على وثائق هذه الفترة وحقائقها المرة أن السلطان الشهيد على دينار قد اشتعلت في نفسه روح إسلامية ووطنية وقومية بغيتها تمكين دين الله في الأرض وجهاداً لأعدائه وتطهيراً للبلاد من دنس الاحتلال الأوروبي الغادر بكل أشكاله وألوانه. فلم تعد القضية عنده قضية إقليمية أو سلمة شخصية

⁽⁶¹⁾ خطاب من على دينار إلى أحمد الشريف السنوسي بتاريخ 26 يناير 1916م الموافق 23 ربيع الأول سنة S. N. A. Intel 2/3/12 منافق 31 ربيع الأول سنة الموافق 31 ربيع الأول الموافق 31 ربيع 31 ربيع

⁽⁶²⁾ سورة المنافقون – الآية (8)

أو البقاء في كرسي الحكم ولو أراد ذلك انتحقق له ما أراد شريطة أن يمسح على أحذية الاحتلال ويتعاون معه ولكن كبرياءه وشموخه أبى له ذلك الخزي والعار. فكان هدف أسمى وقضيته هي قضية الإسلام والمسلمين أجمعين. وبذا أردف قائلاً وموضحاً ما آل إليه الحال في السودان الشرقي من موالاة لأعداء الله فذكر أن أهل شرق السودان اتبعوا النصارى الإنجليز في شرق السودان: (والأعيان على منهم صاروا يخاطبونا ويرغبوا منا أن نتبع النصارى قصدهم يضلونا). فالحمية الإسلامية لدى السلطان قد تجاوزت حدود السلامة الشخصية لإقليمي دارفور وليبيا وتجاوزت كل نلك إلى الخوف على بيضة الإسلام من التبشير التتصيري المسيحي. مما يشكل بعداً آخر لصحوة إسلامية كان السلطان الشهيد على دينار أحد أركانها ولمقاومة وطنية أصيلة أضحى السلطان أحد أعمدتها بلا منازع في تلك الفترة الحرجة من تاريخ أصيلة أضحى السلطان الديث والمعاصر. وتدلنا إشارته السابقة على أنه كان فتيلة قابلة للاشتعال فك دخول السلطنة العثمانية رمز الخلافة الإسلامية الحرب صمام أمانها.

ولقد شكلت السنوسية وسطاً نشطاً لربطه بالسلطنة العثمانية حيث كانت معظم خطاباته إلى تركيا يتم إرسالها عبر ليبيا مما يدل على الثقة المتوفرة بين الطرفين.

وتوالت تأكيداته في خطاب (63) بعث به إلى أحمد الشريف بقوله: (بأنه عما قريب سيعلن الحرب و الجهاد ضد أعداء الله من الإنجليز الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) وأكد بان كثيراً من أهل السودان الغربي قد اعتنقوا المسيحية. وأن الحكومة الثنائية البريطانية أقنعت كثيراً من مشايخ الطرق والوجهاء بالكتابة إليه بغية استقطابه إلى الصف المسيحي في حربه ضد المسلمين. ولعله بذلك يشير إلى محاولات السيد على المير غنى بإيعاز من الاستخبارات البريطانية والحاكم العام البريطاني لإقناعه

^(*) ويعني بهم شيوخ الطرق وزعماء السياسة والدين في تلك الفترة وعلى رأسهم على الميرغني وعبد الرحمن المهدي والشيخ يوسف الهندي- الذين أثروا السلامة الشخصية على المواجهة المسلحة أو المنظمة التي قد تقضي على نفوذهم وتجريدهم من مكانتهم ونفوذهم لدى السلطات البريطانية بالبلاد حيث درجوا على تخذيل السلطان على دينار ومحاولة اثنائه عن المضي في طريق الجهاد والمقاومة المسلحة للوجود الاجنبي في السودان كما قدمنا أنفا.

⁽⁶³⁾ خطاب من على دينار إلى أحمد الشريف السنوسي بتاريخ 28 يناير 1916م الموافق 23 ربيع الأول سنة S. N. A. Intel 129/7

بالعدول عن موقفه والانحياز لصالح الحكومة الإنجليزية والفرنسية في حربهما ضد السلطنة العثمانية وألمانيا. ولكن يبدو أن السلطان الشهيد على دينار كان أكثر وعياً وإدراكاً لألاعيب السلطات للبريطانية. وقد حزم أمره وعقد عزمه على قيادة المقاومة الوطنية السودانية والإسلامية إلى آخر رمق من حياته، وفضل موت العز على حياة الذل والهوان.

هذه الإشارة تكشف عن الدوافع الكامنة لحركة السلطان الشهيد على دينار وقيامه ضد الحكم الثنائي البريطاني في البلاد. بل تنفي عنه بقوة كل ما ألحقته به أقلم الاستخبارات وما حاولت به تشویه تاریخه شأن رصفائه فی التاریخ الحدیث والمعاصر ممن وقفوا ضد أطماع القوى الاستعمارية الأوروبية والأمريكية في المنطقة الإسلامية والعربية والأفريقية وهم كثر والحمد لله في مقابل غثاء سيل العملاء والخبثاء المذين باعوا الوطن والشعوب للغرب بشقيه الأوروبي والأمريكي لقاء دريهمات معدودات والبقاء في كرسي الحكم. فالسلطان الشهيد على دينار في المقام الأول هو حاكم مسلم، جعل العقيدة إحدى همومه بل همه الأول حيث أنكر موالاة أعداء الله استجابة للنداء السماوي الصريح الواضح الجلى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم)(64) وركن إلى الصف المسلم وحركته بقوة واخلاص وتفان منقطع النظير ضد الحركة التبشيرية - المسيحية في البلاد وأغاظه استمالة أعداء الله لزعماء المسلمين من أمثال على الميرغني وعبد السرحمن المهدي والشيخ يوسف الهندي ووجهائهم حتى صاروا أولياء ومناصرين للكفدرة من الإنجليز. وأصبحوا لا يهتمون بأمر الإسلام ولا الحركة التنصيرية في البلاد. وشعر بأن موقفه أصبح في خطر، وان بلاده وشعبه مهددان بالزحف المسيحي التتــصيري. فكان لا بد لــه من الانحياز إلى الصف المسلم والركن الشديد. وإن أدى ذلك بعرشــه وبروحه وبحكم بلاده. فموت العز أكرم من حياة الذل والاستعباد والعمالة الرخيــصة والخيانة الوطنية.

92 ====

^{(&}lt;sup>64)</sup> سورة المائدة – الآية 51.

ونتيجة للخطاب الماضي ذكره قامت الحركة السنوسية الفتية الواعدة بتزويد السلطان بكميات من الأسلحة. ووافق ذلك الإجراء تتفيذ جزء من مشروع عام كان مقتضاه إحداث توافق بين المقاومة السودانية الدارفورية للحكم الأجنبي في البلاد والحركة السنوسية، وفي محاولة لإضعاف الحكم الانجليزي في كل من مصر والسودان وإزاحته عن المسرح السياسي. حيث أن وجود مقاومة في جنوب الوادي لها أثرها الفاعل في إنجاح الخطة العثمانية الألمانية السنوسية القاضية بإنهاء النفوذ الإنجليزي على مصر (65) وهذا أمر لا ينكر دوره ولا يمكن التغافل عنه من قبل الحلفاء. وهو من زاوية أخرى دور خطير وذو وزن كبير عجزت عن القيام به كل القيادات الوطنية الموجودة بالبلاد يومئذ، كما عجزت عن القيام به كثير من الزعامات الإقليمية على مستوى العالم العربي والأفريقي والإسلامي، فكانت الأقدار أن أثبتت لهذا السلطان الشهيد تسطير هذه الصفحات المشرفات في تاريخ السودان الحديث والمعاصر بمداد من ذهب.

ولم يأل السلطان الشهيد جهداً في أداء ذلك الدور المنوط به في هذا الحلف حيث قام بإثارة روح المقاومة. وخاطب الأعيان في عقر دار الحكومة الثنائية البريطانية مهيباً بهم للنهوض والثورة ومعلناً إياهم الحرب ضد الحكم الثنائي البريطاني بسالبلاد. وناقلاً لهم أخبار الجبهة الإسلامية على ذلك يثير فيهم حمية وطنية ونخوة إسلامية (66). بيد أنهم كانوا أحياء أمواتاً عاجزون عن القيام بأي دور ولو أضعف الإيمان، محافظة على حياتهم ومواقعهم المتقدمة في الحكم الثنائي البريطاني. حيث أن المقاومة المسلحة ورفض سلطان الأجنبي على الأوطان والانحياز إلى جانب الحق هو قدر إلهي عظيم. ومن يندب إليه لا بد أن يكون عظيماً، فليس كل من مشى على رجلين مهيناً للقيام بهذا الدور الوطني البطولي الذي يقتضي التضحية بكل شيء ولو بالنفس، وقليل ما هم الذين يوجد لديهم الاستعداد للتضحية بأنفسهم.وهو ذات الموقف الآن ضد النفوذ الاستعماري الاستغلالي والذي تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في العالم الإسلامي

D. S. A. Box 131/8 Sanusas Affairs استجواب جعفر باشا (65)

⁽⁶⁶⁾ من الحكام العام إلى قائد القيادة بالنهود في 1916/4/6م العام إلى قائد القيادة بالنهود في 1916/4/6م

بأجنحته القارية المختلفة. فقليل ما هم أولئك الزعماء والمفكرون وذوو الأقلام الحرة النين يستطيعون أن يقولوا (لا) بملء أفواههم في وجه المشروع الأمريكي البريطاني الألماني الفرنسي الغادر، وكثير ما هم أولئك الذين يلهثون وراء مسح حذاء أمريكا وقيادتها وحلفائها من أجل البقاء على كرسي الحكم مقابل دريهمات معدودات أو لذة فانية، أو الحصول على اللجوء السياسي في واحد من هذه الأقطار بغية إحراز سلامة النفس وتحقيق قدر من العمالة المبطنة أو المستترة تحت أي مسمى من المسميات التي تعتبر عملة رائجة هذه الأيام تستتر وراءها خيبة وفشل هذه القيادات الرخيصة الثمن الخفيفة الوزن المنحطة الشأن في أن تصارع وتكافح وتناضل داخل حدود أقطارها بشرف وعزة حتى تكسب أرضية وسط شعوبها وتهد عروش الجبابرة وحصونهم من الداخل عن طريق طرح موضوعي وواقعي ومنطقي تجذب به جماهير الشعب المكلوم والمجروح في كبريائه بتسلط فئة لا تخشى فيه إلا ولا ذمة. لذا نتيجة ضعفها وخورها ودورانها حول ذاتها تفكر في أقصر الطرق إلى الكسب الرخيص وهو العمالة والخيانة المستترة.



طبيعة التحالف الدارفوري السنوسي

الفصــل الثـالث

طبيعة التصالف الدارفوري السنوسي

غني عن القول بأن الحركة السنوسية قد تجاوزت بنظرتها الموضوعية وبخططها القومية والوطنية والدينية الإستراتيجية وبأهدافها التعبوية الدعوية ذات البعد التبشيري حدود ليبيا. وتطلعت إلى العالم الإسلامي بمعناه الواسع وبحدوده المساسعة المترامية الأطراف وبشعوبه المتعددة الأعراف المتنوعة الثقافات والحضارات. حيث اضطلعت بدور المبشر الأول وبدون منازع للإسلام في أفريقيا خلل القرن التاسع عشر الميلادي. وشكلت الدعوة إلى الإسلام وتمكينه إحدى همومها. وأعدت نفسها من أول يوم إعداداً يؤهلها للقيام بعبء الدعوة والجهاد في سبيل الله كما تقدم، وقد كانت بحق مؤهلة فكراً وروحاً وتنظيماً وإعداداً وتوجها استراتيجياً لهذا الدور الخطير في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الأمة المسلمة والعربية والأفريقية، وتحملت مسؤوليتها التاريخية وفق إمكاناتها وقدراتها بكفاءة ومروءة. ومما لاشك فيه لو تمكنت هذه الحركة الفتية الصاعدة من السير وفق أهداف المؤسس الأول بنظره الثاقب، وبتخطيطه الدوية المستقبلية، لما حاقت بها هزيمة ولما لائت لها قناة.

وكما رأينا فقد اعتمدت السنوسية على مواردها الذاتية حتى لا تقع في أحسضان أي قوى أجنبية وكان هذا هو عين الحق والصواب. إذ أن الاعتماد على المساعدات الخارجية والمعونات الأجنبية كانت ولا تزال سبباً في فقدان عدد من الدول لاستقلالها ومسخ شخصيتها وعمالة قياداتها وخيانة أبنائها. وأن أي أمة ذات شأن وخطر ودور فاعل في التاريخ الحديث والمعاصر لا يمكن أن تفلح وتحقق ذاتيتها واستقلالها الحقيقي إلا بالاعتماد على نفسها وقدرات أفرادها وهذا يقتضي وعياً وصبراً من الأمة،

فقليل من الشعوب هي التي تمكنت من تجاوز ذلك المنعرج الخطير في تاريخها مثل اليابان وألمانيا بعد انتهاء الحرب الأوروبية الأولى أو الثانية والتي تم تكبيل كل منها بالديون والوجود العسكري الأجنبي في أراضيها وهي ذات الأقدار التي حاقت بكل من أفغانستان والعراق الآن في نهايات القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين. فهلا استطاعت هاتان الأمتان تجاوز هذه الأزمة كرصيفاتها اليابان وألمانيا؟. وكانت الحركة السنوسية تقوم باستمرار بمحاولة تأهيل أعضائها والرفع من كفاءتهم وهذا ما درجت عليه على الدوام من الناحية العملية بإنشائها لزواياها الكثيرة. وجعل هذه الزوايا خلايا تعليمية وفق منهجية موضوعية، وتتظيمية تغرس في نفوس أفرادها حب النظام والالتزام به، وزراعية تدرب أفرادها على الاعتماد على اللذات في توفير القوت، وعسكرية اذ درجت على تدريب أعضائها على استخدام أحدث ما وصلها من أسلحة وعلى فنون الحرب المختلفة، وبعثات تبشيرية في أرجاء شمال ووسط أفريقيا وسجلت أسمها بل حفرته على صخرة التاريخ الحديث والمعاصر بمداد من دماء الشهداء وإخلاص القادة وقامت بدور طليعي متقدم فهمأ وتنظيرا وتنزيلا على الواقع في محاربة الاستعمار الغربي بشتى مسمياته وبمختلف جنسياته الأوروبية متسلحة بعقيدتها، باحثة عن حقيقة ذاتها. وبهذا ضربت أنموذجاً رائعاً في التضحية والاستبسال والاستقلال والتفاني في خدمة الأهداف والقيم الروحية السامية في التاريخ الحديث والمعاصر، ونجحت في تثبيت معان جديدة في أوساط المجتمعات الإسلامية والعربيـة والأفريقية، وقد جاءت في ذات الوقت بطرح متقدم، يتمثل في التحرر السياسي والاقتصادي والاجتماعي والروحي حقيقة لا دعوى وطرح موضوعي لا شعارات فارغة، وقد مكنت لمبدأ الاعتماد على الذات ورفض الاستعانة بالأجنبي فعلاً لا شعاراً أجوف كما فعلت كثير من الحركات المعاصرة سواء أكانت علمانية أو دينية على المستوى العربي أو الأفريقي أو الآسيوي دون استثناء. وفي حقيقة أمرها فهي حركــة ودعوة عملية حتى النخاع. هذا بالرغم من أن السنوسية كانت فكرة تحررية إسلمية ابتداء وانتهاء إلا أن الأحفاد قد نكصوا تحت وطأة الاستعمار الإيطالي فيما بعد. واستجابوا لضغوط أمريكا الوريث الجديد للدولة المنهزمة في الحرب الأوروبية الثانية والتي احتلت مواقع بريطانيا التي تراجعت أسهمها وأضحت تابعة بعد أن كانت متبوعة وأضحى أحفاد السنوسي شأن كثير من الأسر السودانية الكبيرة التي قاوم أسلفها الاستعمار فوقعوا هم نتيجة غفلة أو عمالة أو انحراف في أحضان المشروع الأمريكي أو البريطاني فيما بعد، وأصبحوا أدوات فاعلة في تتفيذ أهدافه وتحقيق رغباته طوعاً أو كرهاً.

وكان السلطان الشهيد على دينار من ناحية أخرى سليل سلاطين سلطنة إسلمية ذات تاريخ عريق في المنطقة، وكان لها دور بارز في نشر الإسلام في هذه البلاد. ولعب سلاطينها فيما مضى دوراً بارزاً في تمكين الإسلام ونشر العلم والمعرفة في هذه الأقاليم السودانية.

ولم تكن عودة السلطان على دينار إلى عرش آبائه سوى إحياء لسلسلة أمجاد انفرط عقدها بسقوطها على يد الزبير ود رحمة سنة 1874م بإيعاز من الإدارة المصرية.

وقد تجسدت فيه روح الحاكم المسلم الغيور على وطنه ودينه لذا تطلع من أول يوم إلى الحركة السنوسية التي تمثل الفكر الأرحب والسرؤى الإسلمية الواسعة والاستقلال الحقيقي. وكان من الطبيعي لقوتين وطنيتين متسلحتين بالعقيدة ذاتي نزعة استقلالية أن يتحدان في كراهيتهما للتغلغل الأوروبي الاستعماري الاستغلالي في المنطقة، وأن يعتمدان على مواردهما الذاتية، لا سيما وأن الأقدار جعلتهما يقفان بين فكي منافسة غربية احتلالية مستعرة تتداخل مصالحها، فكان لا بد لهما من الالتقات والالتفاف إلى بعضهما الآخر. ولعل روح الوحدة الإسلامية وطي الخلافات وتجاوز الخصومات والشعور بالواجب في هذا الوقت الحرج من تاريخ السودان الحديث والمعاصر وتاريخ الأمة المسلمة بشقيها الأفريقي والآسيوي هو الذي حدا بالسلطان الشهيد على دينار لأن يرسل وفداً مكوناً من عشرين شخصاً بغية توسيط السنوسي في الحرب الدائرة بين دارفور ووداي في ذلك الوقت. ووافق ذلك الموقف الدارفوري الخرب الدائرة بين دارفور ووداي في ذلك الوقت. ووافق ذلك الموقف الدارفوري الخرباء أسنوسياً يرمي إلى توحيد السلطانين ضد المسيحيين الإنجليز والفرنسيين (1).

S. I. R. 164/11. Feb. 1908. Safar 1326 H نقارير المخابرات (1)

مما تقدم يتضح أن الحركة السنوسية كانت ترى أن هذه العلاقــة الثنائيــة بــين الطرفين إذا ما قدر لها الاستمرار يمكن أن تشكل بعداً إسلامياً ذا أهمية بالغة وذا خطر عظيم في هذا الجزء من العالم الإسلامي والعربي والأفريقي. ويمكن أن تلعب هذه العلاقة دوراً ملحوظاً في محاربة القوى الاستعمارية في المنطقة. لذا لا غرابة أن سعى الزعيم السنوسى أحمد الشريف سعياً حثيثاً الإحداث وحدة أو تعاون وحلف بين كل من سلطان وداي وسلطان دارفور لما في وحدتهما من إضعاف للقوى الاستعمارية المتمثلة في الوجود الاستعماري الفرنسي في تشاد والوجود البريطاني في دارفور في المنطقة (2). وكان سلطان دار فور يمثل قوة ذات وزن في المنطقة ولسه ثقل لا يجهل دوره في كفة موازين القوى الفاعلة في المنطقة. وبحكم ظروف المنطقة ووعورتها وبعدها عن متناول اليد الاستعمارية الأوروبية بسهولة، حيث أصبح سلطان دارفور رقماً هاماً على المستوى الإقليمي و المحلى يعول عليه في نصرة الإسلام. ويسشير أحمد الشريف السنوسي إلى هذا الجانب بقوله: (والله إننا في غاية الفرح بأنه للآن ليس هناك محل يعتمد عليه في نصرة الإسلام غير محلكم ... حتى كانت ذواتنا ترقص طربا من صنيعكم الجميل ... إن شاء الله لم نزل ساعون في الذي ينوبكم من الجبخانة ولو كان مائة ألف)(3). هذه الإشادة ذات مدلول موضوعي وواقعي هام يدفع عن السلطان الشهيد على دينار كل الأساطير والاتهامات الباطلة التي تم إلىصاقها به بواسطة أقلام المخابرات الأوروبية والأقلام المأجورة المحلية من الساسة أو الأكاديميين ربائب الاستعمار ممن تخرجوا من مؤسساته أو نالوا شهادات من بلاده. ولا يخفى أن معظم الذين كتبوا في فترة الاستعمار وتخرجوا من مدارسه لـم يكونـوا أحرارا فيما يكتبون مهما كانت درجاتهم العلمية وأقدار شهاداتهم لاعتبارين أولهما: أن الاستعمار ما كان يسمح لجرئ يقلل من شأن الاستعمار ويمجد النضال والمناضلين أن يكتب إلا إذا رضوا عنه وبالكيفية التي يريدون. ثانيهما: كانت هناك علاقة وثيقة بين

الموافق 15 ربيع الأول سنة 1329هـ. $^{(2)}$ أحمد الشريف إلى السلطان على دينار، $^{(2)}$ 19111/2/13 الموافق 15 ربيع الأول سنة 1329هـ. S. N. A. Intell 2/3/12 .

^{3. 14.} A. Intell 273/12 . (3) أحمد الشريف إلى السلطان على دينار 1911/2/13م 15 ربيع الأول سنة 1329هــ. S. N. A. INTELL 2/3/12 .

العملية الأكاديمية والاستخباراتية والإدارية البريطانية في السودان من حيث وضع المناهج وتعيين الأكاديميين الأجانب الذين يدرسون في هذه المؤسسات والذين كان من مهامهم الأساسية إعداد كوادر موالية لهم بالدرجة الأولى.

لا يخفى على ذي بصيرة أن هذا الجانب من العلاقات الدارفورية السنوسية مشرق ومضيء في ذات الوقت إذ يخرج بالعلاقات بين الطرفين من الآفاق السضيقة القائمة على المصلحة الذاتية إلى آفاق المصلحة العامة والصحوة الإسلامية الفتية في وجه التحدي الاستعماري الأوروبي للأمة الإسلامية. وبنك يمكن اعتباره بكل المقاييس معلماً هاماً في التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر عموماً والسودان على وجه الخصوص.

ففي الوقت الذي أحاطت فيه الأطماع الاستعمارية الأوروبية بالمنطقة إحاطة السوار بالمعصم من كل جانب تكاتفت القوتان الدارفورية والسنوسية من أجل تقويض وإجهاض المصالح والمشاريع الاستعمارية في المنطقة العربية والإسلامية والإفريقية. وعمل السلطان الشهيد على خلق علاقات ودية في بداية عهده مع القوة الوطنية النزيهة في المنطقة التي حملت السلاح متزودة بعقينتها وتراثها دفاعاً عن الأمة الإسلامية وأوطانها. وقد دعا ذلك الموقف المشرف من قبل السلطان الشهيد على دينار إلى تتاء الزعيم السنوسي أحمد الشريف على بطولة السلطان على دينار ونصاعة تاريخه وشجاعته وقوة عقينته. وتطورت هذه العلاقات بين كل من دارفور وليبيا السنوسية حتى أصبحت حلفاً يقتضي وقوف كل من الطرفين بجانب الآخر في المحن والسشدائد. وكان هذا الحلف بواعثه دينية بالدرجة الأولى ووطنياً بالدرجة الثانية وقومياً بالدرجة الإسلامية والحمية الإيمانية وعزمنا أن نقوم بحول الله وقوته وقدرته في نصرة ديسن الإسلامية والحمية الإيمانية وعزمنا أن نقوم بحول الله وقوته وقدرته في نصرة ديسن السودان وقريباً إن شاء الله تعالى نخرج هجرة للجهاد وسيبلغ مسامعكم ما يصير منا السودان وقريباً إن شاء الله تعالى نخرج هجرة للجهاد وسيبلغ مسامعكم ما يصير منا

101 .

⁽⁴⁾ على دينار إلى يوسف النهدي في 26 يناير سنة 1916م ربيع الأول سنة 1334هـ.. S. N. A. INTELL 2/3/12

ومن خلال هذه العبارات الواضحات يلاحظ المرء أن السلطان الشهيد على دينار لم يقدم على الدخول في هذه المعركة ضد الحكم الثنائي البريطاني خوفاً على عرشه أو كرسي أبائه وإن كان ذلك احتمال وارد من وجهة تحقيق البحث وفحــص القــضية بمجهر المنهج العلمى المحايد إلا أن ذلك النظر لا يسقط بحال وجود الدافع والباعث الديني القوي الذي عبرت عنه كلماته آنفة الذكر استجابة لقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة)(⁵⁾. وهذه الحيثية تفيدها إشارته بمقاتلة الذين يلونه. ولقد استفزه التحرك التبشيري التتصيري الغربى وتغلغل النفوذ المسيحي الغربي في البلاد والذي كان يشكل رأس حربة في دعم التغلغل الاستعماري الاستغلالي في المنطقة الأفريقية والآسيوية على حد سواء. وحزَّ في نفسه موالاة المسلمين لأعداء الله فعبر عن هذه الكارثة بقوله: (والأعيان منهم صاروا يخاطبونا ويرغبوا منا أن نتبع النصماري قصدهم يضلونا)⁽⁶⁾ أشار إلى ذلك بعد تأكيداته بأن كثيراً من أهل السودان الشرقى قد اعتنقوا المسيحية. ولعل كلام الـسلطان الـشهيد يكتـسب مصداقيته من الواقع السوداني العام. فما أن جاء الاستعمار بوجهه الكالح (1989م) حتى ترك الجنوب السوداني مرتعاً خصباً للجمعيات التبشيرية فهى التي أضحت تقرر أمره في مجال التوجيه والتعليم وكانت الطامة الكبرى أن صحب تلك السياسة فرض قانون المناطق المقفولة منذ سنة 1922م ومروراً بسنة 1936م ومن الغرائب أن الذي فرض هذا القانون هو السكرتير الإداري (هارولد ماكمايكل) الإداري والأ. اديمي في ذات الوقت مؤلف كتاب (العرب في السودان) من جزئين. وله مساهمات في مجلة السودان في مدونات (Sudan Notes And Records) وانحسس المد القبطسي والإسلامي نتيجة سياسة بريطانية وكنسية بروتستانتية مرسومة ذات بعد استراتيجي بعيد المدى قطف الاستعمار الغربى ثمارها الآن بعد تسعة عقود غايتها تمزيق أوصال السودان وخلق فجوة مفتعلة بين الشمال والجنوب عن طريق بذر عدم الثقة بين الطرفين.

ن⁽³⁾ سوة التوبة، الآية 123.

سنة 1339م الموافق 23 ربيع الأول سنة 1339م الموافق 23 ربيع الأول سنة 1339هـ على دينار إلى أحمد الشريف السنوسي بتاريخ 19 يناير سنة 1916م الموافق 23 ربيع الأول سنة 1339هـ S. N. A.; INTELL 2/3/12 .

وفي خطاب آخر (7) أشار السلطان الشهيد إلى سياسة الحكومة الثنائية البريطانية الني أقنعت كثيراً من مشايخ الطرق والوجهاء من أمثال على الميرغني وعبد الرحمن المهدي ويوسف الهندي وكتابتهم إليه بإتباع المسيحية لعله: (يعنه مطالبتهم له بالخضوع لأحكام النظام القائم) في حربها ضد المسلمين. وفي الوقت ذاته يعلن وقوفه التام بجانب السنوسية في حربها ضد المسيحيين أعداء الله من الإنجليز والفرنسيين والايطاليين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم. ويتفاعل بأنه سيلحق بهم الهزيمة إن شاء الله.

هذا التوجه الإسلامي القاصد وهذا الوعى السياسي المتقدم بادراك ما تدبره الحكومة الثنائية البريطانية ضد الإسلام وإبعاد الكنيسة القبطية عمداً - تلك الكنيسة التي عايشت الإسلام وأهله مدة ألف عام دون حساسيات ودون تفرقـــة دينيـــة – مــن المسرح حيث حاول الاستعمار عن قصد تحجيم دورها العام سواء في الغرب أو الجنوب إذ لا شك أن ذلك أمر كان يتوجب مقاومته والوقوف ضده بشراسة من قبل الجميع مسلمين وأقباط على حد سواء ولعل هذا التخطيط الغربي الماكر تجسد فسي قصر التعليم والتبشير والتعميد المسيحي في الجنوب وجبال النوبة على الكنائس الغربية الانجليكانية دون الكنيسة القبطية لأنها تستخدم اللغة الغربية لغة خطاب وتعمل على نشر الثقافة العربية واللغة العربية. والإشارة السابقة إلى أن الحرب بين الإسلام والمسيحية كل ذلك يعطى دلالة على أن هناك صحوة إسلامية وان السسلطان السشهيد على دينار كان جزءاً لا يتجزأ من هذه الصحوة إذ أصبح الأمر في نظره لا يقتصر على السلامة الشخصية والمنية لإقليمي ليبيا ودارفور. بيد انه قد تجاوزه إلى الخوف على بيضة الإسلام من التبشير الغربي الانجليكاني ذو الأهداف الاستغلالية وهو خوف له مبرراته ومسوغاته الموضوعية والواقعية، لذا لا غرابة أن انحاز إلى صف الــذود عن حمى الإسلام وحياضه والدفاع عن حقوق الشعوب المسلمة في وجه التحدي الاستعماري الإحتلالي، الذي تبدى لذوي البصائر من بين الركام المتعفن الذي مثلته

⁽⁷⁾ على دينار إلى أحمد الشرف السنوسي في 28 يناير 1916م ربيع الأول سنة 1334هـ. D. S. A. Box 129/7.

قيادات عربية وإسلامية وسياسية وعسكرية وروحية ووطنية انخدعت بأطروحات الغرب وبرامجه الإصلاحية في المنطقة يومئذ وحسبت هذه القيادات أنها قد وجدت شيئاً ثميناً فإذا بها تلهث وراء سراب أعقبته حقبة استعمارية استغلالية للسودان تعتبر من أسوأ الأيام في التاريخ البشري عموماً إذلالاً وإهانة واستغلالاً وسرقة لقدرات الأمة المادية والمعنوية وتخريب للشخصية ومكوناتها ومسخ هوية الأمة بفرض نظم ومناهج، وتعتبر هذه الفترة من أرداً فترات التاريخ في تاريخ هذه الشعوب المسلمة على وجه الخصوص، التي انخدعت قياداتها متبلدة الحس، فاقدة الوعي، بأطروحات وأكاذيب المحتلين الأوروبيين فقادت شعوبها وأممها بأظلافها إلى الإذلال والإهانة والخنوع والرزوح تحت نير الاستعمار الاستغللي الأوروبي البشع لعشرات السنين.

وبالرغم من عدم إيماننا بمصداقية عبارة التاريخ يعيد نفسه التي يكررها النساس دون وعي نقول أن التاريخ لا يعيد نفسه لأن المسرح غير المسرح والممتلون غير أولئك الممتلين ولكن توجد أوجه شبه وعليه فإن من لا يقرأ مفردات التاريخ الماضي وعبره وصعوده وهبوطه ويدرك تحليلاته واستنتاجاته يقع في أخطاء أفدح مما مضى وهذا مما يحدث الآن على صعيد دارفور والعالم الإسلامي والعربي وعلى محيط السودان شماله وجنوبه وشرقه وغربه، فالحزبية البغيضة العبوراء ذات الشخصية الممسوخة هي التي تقود البلاد ودارفور إلى الهاوية والى الوقوع في قبضة الاستعمار الإحتلالي للمرة الثانية من جديد استعمار سيكون أسوأ من سابقه لما يملكه من تقنيات وإمكانات وقوة هائلة مدمرة، وفجور مبالغ فيه في الخصومة، وروح انتقامية سبعية أكثر منها إنسانية ،شاهدها العالم فما مارسه الغرب في سجون غوانتانامو وفي سبون أكثر منها إنسانية ،شاهدها العالم فما مارسه الغرب في سجون عوانتانامو وفي سبون عريب وما أحدثه من دمار في كل من أفغانستان والعراق. وتجري الآن محاولات مدروسة وذات أبعاد إستراتيجية حتمية النتائج إلى إحداث فتنة عرقية ودينية في السودان عموماً ودارفور على وجه الخصوص وتقسيمه حسب المسشروع الأمريكي الجديد لتقسيم الشرق الأوسط الذي على ضوئه يقسم السودان إلى خمسة أقطار شرق وغرب وشمال وجنوب ووسط وفق خطة محددة وإستراتيجية مدروسة، وأدوات هذه

الخطة والإستراتيجية هم من أبناء جلانتا ويتكلمون بألسنتنا، يدعون حماية حقوق المساكين وحب الوطن تقية والحقوق المدنية، والديمقر اطيه، والحريه، والمساكين والوطن منهم براء. فهم إما مغفلون نافعون أو مأجورون عالمون أو عملاء خونة. وقد بدأت البوادر الآن في إفساد ما ابرم من اتفاقات بين الشرق و الغرب والجنوب والشمال عام 2002م الأمر الذي يقتضى تضافراً متكاتفاً من قبل المكلفين العقلاء من أبناء هذا البلد من مسيحيين أقباط وهم شريحة مستهدفة من قبل الغرب لعروبتها بذات القدر الذي تستهدف به الشرائح المسلمة العربية من أبناء دارفور والسودان الـشمالي والشرقى مما يحتم اليوم قبل الغد أن تتضافر الجهود لإحداث تيار معاكس جارف لهذه المخططات التي ترمي إلى جعل دارفور رواندا وبورندي أخرى في أفريقيا. ذلك لأن الغرب لا يستطيع أن يصطاد إلا في الماء العكر والسودان الذي يشكل تــوراً ضـــخماً ومشروعاً حضارياً متفرداً ومشروع دولة كبرى تحمل كل مقومات الدولة الكيرى من حيث البنى التحتية اللازمة للنهضة إذ به تؤخذ ثروة حيوانية وزراعية ومعدنية ومائية وبترولية وعنصر بشري ايجابي وفاعل قادر على العطاء والبذل والإبداع إذا وجد قيادة رشيدة وبرامج وخططأ واستراتيجيات واضحة المعالم وقدوة قيادية صالحة تمتاز بطهارة اليد واللسان .ولما كان السودان يتمتع بهذه الإمكانات والقدرات فلابد أن ينهش من أكثر من موضع حتى يتم القضاء على وحدته وشل حركته الحصارية وبنائسه الاجتماعي ودوره الريادي في أفريقيا والعالم العربي. وما أن يتحرك خطوة نحو الأمام حتى يتم دفعه إلى الوراء عشر خطوات بقصد وتخطيط مسسبق عن طريق أدوات محلية ترفع رايات ظاهرها الرحمة والإشفاق وباطنها العذاب والشقاء وألهلاك والدمار لأبناء السودان.



الحسلف السنوسي العثـماني الدارفــوري الألــاني

الفصل الرابع

الحلف السنوسي العثماني الدارفوري الألماني

• المبحث الأول:-

الضعف المادي للطرفين وفشل تركيا وألمانيا في الدعم

كما مر فإن التقارب بين الطرفين السنوسي والدارفوري قد أتخذ شكل حلف عسكري واقتصادي اقتضى ضرورة دفاع كل طرف عن مصالح الأخر. وقد تطور الأمر بعد دخول الدولة العثمانية الحرب ضد الحلفاء مما قوى قوة الآصرة. وقام كل طرف بما هو منوط به في سبيل مقاتلة النين يلونه. وهي نظرية قرآنية تتجاوب والتخطيط العسكري السليم وتتناغم وأحدث النظريات العسكرية في عالم اليوم.

وكانت دارفور في مواردها الاقتصادية تعتمد على التجارة الخارجية. حيث لا يوجد لديها ميناء أو منفذ بحري، وإنما كان اعتمادها بالدرجة الأولى في تجارتها الخارجية على طرقها البرية. وقد وجدت عوائق حالت دون الاستفادة من كل طرقها البرية فعلى سبيل التفصيل فان الطرق المعنية كانت تشمل ما يلى:-

أولاً: طريق ودَاى الذي لم يكن مأموناً كما أنه لم يؤد دوره في تغنية البلاد بما تحتاجه وتتشيط الحركة الاقتصادية نسبة لوجود القوات الفرنسية واحتلالها لوداى مما أحدث نوعاً من الحصار الاقتصادي على دارفور من ناحية الغرب وأوقع السلطان على دينار بين فكى كماشة الانجليز من الشرق والفرنسيون من الغرب.

ثانياً: طريق الأربعين الذي يربط دارفور بمصر وليبيا وشمال أفريقيا عموماً وكان يمثل شريان الحياة الاقتصادية في البلاد وكذا العسكرية حيث كانت ترد عن طريقه تجارة الشمال وتغدو تجارة الجنوب متجهة صوب مصر وترد البلاد أسلحة طرابلس وغيرها عن طريقه بيد أن مروره عبر مصر ظل يحول دون الاستفادة منه كثيراً خلال تلك الفترة. ذلك لأن الحكم الثنائي البريطاني في السودان الشرقي ظل يحول دون التعاون مع مصر لأن لمصر وجود رسمي اسمي في نظام حكم الاحتلال. ومصر نفسها كانت مغلوبة على أمرها وواقعة تحت مطارق القناصل الأوربيين وسطوة وهيمنة المندوب السامي البريطاني في القاهرة بمعنى آخر كانت مصر نفسها محتلة.

ثالثاً: الطريق الشرقي وهو الذي يمر بأراضي الحكومة الثنائية البريطانية. ويعبر البحر الأحمر إلى أراضي الحجاز وعن طريقه كان يفد المحمل الدارفوري إلى الأراضي المقدسة. فوجود الحكم الثنائي البريطاني شكل عقبة للاستفادة من هذا الطريق بالصورة المثلى.

وبالتالي فقد اعتمدت دارفور في كثير من الأحيان على مواردها الذاتية. وبالرغم من ذلك الحصار قامت دارفور وشعبها وقيادتها بالمشاركات الكثيرة التي سبقت الإشارة إليها في دعم حركة المقاومة الوطنية في ليبيا. وفي الوقت ذاته كان يتوجب على دارفور أن تسلح نفسها لمواجهة الأحداث وتحسباً للمستقبل الأمر الذي شكل عبئا ثقيلاً على اقتصاد البلاد. ولم يكن التسلح يومئذ أمراً سهلاً مع محدودية الإمكانات ومحدودية الموارد ومصادر الأسلحة. فقد قامت الحكومة الثنائية البريطانية بإجراءات متشددة في تزويد السلطان بما يحتاجه من سلاح، لذا فكر جاداً في فتح المنافذ السنوسية ومع تجدد ظروف الحرب الأوربية الأولى وخوض السنوسية حرباً ضروساً ضد ولمع تجدد ظروف الحرب الأوربية الأولى وخوض السنوسية حرباً ضروساً ضد في الوقت الذي أعلن فيه السلطان الشهيد حربه ضد الحكم الثنائي البريطاني في البلاد

⁽¹⁾ محمد عابد الشريف إلى السلطان في 1915/11/5م

= الفصل الرابع - الحلف السنوسى العثماتي الدارفوري الألماتي

مع ضعف إمكانات الأخير وقدراته إلا أنه كان موقناً بأن المدد سيصله من الشمال. وتستطيع أن تجزم بأنه قد بالغ في بعض الأحيان في وصف ما وصله من أسلحة وذخيرة (2). ولعل ذلك كان من باب رفع روح أتباعه المعنوية وهو غاية مـــا تـــصبو إليه نفسه ومن باب إرهاب العدو وإضعاف روحه المعنوية وقد أيقن في الوقت ذاتـــه بأن السنوسيين والأتراك سيمدونه حقاً لتعزيز موقفه. أو لربما كان ذلك من باب الحرب النفسية.

• المبحث الثاني:-

هل استخدم السلطان السحر لبلوغ غايته ؟!!!

وما أن عجزت الحركة السنوسية لانتشغالها بنفسها فيي التشمال والجنوب (الايطالبين والفرنسيين) ولمحدودية إمكاناتها بإمداده بما يحتاجه من سلاح ونتيجة لشعور القوتين بضعف آلتهما وفشل الدولة العثمانية وألمانيا بإمدادهما له بما يحتاجانه من سلاح وخبرات لمواجهة عدة وعتاد الغزاة لجأ إلى السحر والأوهام (3). وهذا شان سوداني قديم حديث معاصر حتى أن بعض المسئولين والنفعيين إلى يومنا هذا يعتقدون بوجود قوى غيبية يمثلها الجن والشياطين يمكن أن تحدث انقلاباً في موازين القوى المادية وبعضهم يدثر ذلك المفهوم بإمكانية ملكية الخدام من السفلي أو العلوي وكلها أوهام وأساطير لا أساس لها من الحقيقة الموضوعية. ولكن خالطت بعسض المفهم الصوفية التي زاوجت بين ما هو وارد مما هو وافد وخلقت منهمـــا مزيجـــأ غريبـــأ واستغلها بعض ذوي النفوس المريضة لبلوغ أغراضهم الدنيئة، لا يخفى على ذي بصيرة أن الشيطان مخلوق من طبيعة غير طبيعة الإنسان ولا تكون هناك صلة بين الجن والإنس إلا بتنازل من الإنس لصالح الجن، أما عن ملكية الإنس للجن فهذا هراء لا أساس له من دين أو موروث نبوي إلا ما وهبه الله لسليمان على أن لا يكون لأحـــد بعده ذلك التسخير على ذلك القدر المذكور في كل من سورة (الأنبياء) وسورة (ص)

⁽²⁾ السلطان إلى يوسف الهندي بتاريخ 1916/1/12 (3) مساعد قيادة المخابرات إلى الحاكم العام

S.N.A Intell 2/4/10 D.S.A Box 128/3 24th

كما هو معلوم لكل ذي بصيرة. هذا التقرير الذي أوردته المخابرات البريطانية قد يشكك المرء في مصداقيته وإن كان من جانب آخر قد لا يستبعد لأن التصوف في غرب السودان بمعناه العام قد ارتبط في بعض مظاهره وممارسته بطقوس سحرية. وفي التاريخ الإسلامي العريض نجد إرثا معتبراً في هذا الجانب لأن الإسلام حركة سلمية في تعاملها وتعاطيها مع الثقافات والتقاليد المحلية والوافدة. إذ ليس من شيمة الإسلام الاستئصال لما هو قائم من غير منطق يسلم به أهل العقل السليم. لذا لا غرابة أن اختلط السحر الوافد من الهند ومن أفريقيا ومن النصرانية والوافدة إلى يومنا هذا المظاهر العلاجية والوصفات الطبية والرقية الشرعية المحلية والوافدة إلى يومنا هذا في كثير من بقاع السودان وأفريقيا على وجه العموم وكذا العالم العربي والآسيوي.

• المبحث الثالث:-

السنوسية تلجاً إلى الغيبيات في مساندة السلطان بدلاً عن الإمداد المادي

إن الإنسان مهما أوتي من قوة أو علم أو معرفة أو قدر اجتماعي أو سيأسي أو اقتصادي أو صحة فإنه في لحظات الضعف يتمسك ولو بخيط العنكبوت وهذا ما يتبدى لنا أكثر وضوحاً في موقف السنوسية وقيادتها ذات التوجه السني المعتدل حيث نلحظ في مقابل عدم وصول الخبرات الفنية والعسكرية من قبل الدولة العثمانية والألمان إلى ليبيا ومن ثم إلى دارفور وعجز السنوسي تماماً عن ذلك فقد بعث إلى السلطان الشهيد على دينار برجلين يحملان حجراً ورسالة خطية. ويحملان خبراً مفاده أن علامة انتصار السلطان الشهيد على دينار أن يلقي بالحجر في قلة مليئة بالمباء فيطفح الحجر وإن لا فإن ذلك فيعتبر بما لا يدع مجالاً للشك علامة هزيمته وقد حدث العكس. لذا تأثر السلطان بهذا الحدث (4). ولكن إذا أمعنا النظر واستخدمنا العقل وموازينه ومعاييره المنطقية نلاحظ أن هذه مسألة فيزيائية تتم وفق أوزان وكثافات فما

⁽⁴⁾ المصدر السابق April . 1916

الفصل الرابع - الحلف السنوسي العثماتي الدارفوري الألماتي

دامت كثافة الحجر أكبر من كثافة الماء من الحتمي أن لا يطفح الحجر إلا إذا تدخلت عوامل قوة خفية. أو زادت كثافة الماء بدرجة تكون أكبر من الكثافة النوعية للحجر الصلب، ولعل ذلك الخبر يصب في مصلحة التقرير السابق من أن الرجلين في لحظات الضعف المادي وتقطع الأسباب بدءا يلجآن إلى السحر بدلاً من اتخاذ احتياطات القوة المادية المكافئة لقوة الغزاة من الإيطاليين والإنجليز والفرنسيين.

هذا الخبر على بساطته فيه دلالة واضحة على عجز القوتين وضعفهما المادي. وقصور آلتهما الحربية تجاه وعتاد القوى الاستعمارية الإحتلالية في المنطقة والتي دخلت الحرب بخبراتها وقدراتها الفنية والعسكرية العالية. فحدا بهما ذلك للجوء إلى تلك الأوهام والأساطير والخرافات ولعل مرد ذلك وقبوله يرجع إلى أن الأول صوفي حتى النخاع، والصوفية في تاريخها الطويل في أفريقيا خلطت السحر والأوهام بالأوفاق والأرقام والأوراد والأسماء الهندية وكذا شأنها في المشرق العربي والإسلامي وفي المغرب الإسلامي وكذا في أفريقيا المسلمة، والثاني نشأ وتربى وترعرع في دارفور المليئة بمثل هذه الاعتقادات لقربها من غرب أفريقيا وتسكن بها عناصر وعرقيات وافدة من نيجيريا وغرب أفريقيا عموماً دخلت في النسيج السكاني عموماً، وهي مناطق ملأى بهذه الاعتقادات الباطلة واستخدام السحر فيها شائع كشيوع وهي مناطق ملأى بهذه الاعتقادات الباطلة واستخدام السحر فيها شائع كشيوع خصائصها التي تتفوق بها على غيرها من إعداد وأوراد وكسب وتسخير للخدام كما يزعمون.

وفي هذا الأثناء أزداد إلحاح السلطان الشهيد على دينار على السنوسي بغية تزويده بما يحتاجه من سلاح نتيجة شدة الضغط عليه من قبل الحكومة الثنائية البريطانية التي دخلت الحرب بعدة وعتاد وتقنية متقدمة وخبرة عالية. بيد أن السيخ السنوسي في هذه المرة اعتذر له عن إمكانية إمداده بما يحتاجه (5). مما يقرر ما سبقت الإشارة إليه من ضعف القوتين المادي وعدم مقدرة كل من السلطنة العثمانية وألمانيا

^{(&}lt;sup>5)</sup> يونان لبيب رزق، مرجع سبق نكره ص388-389.

بإمدادهما بما يحتاجانه من سلاح حتى يقوما بدورهما المنوط بهما في المنطقة لظروف خاصة بكل منهما على حدة .

• المبحث الرابع:-

السلطان الشهيد علي دينار والجبهة الوطنية المحلية

حاول السلطان الشهيد على دينار أن يقوم بدور ايجابي بارز بعد إصداره بيانات مؤيدة للسلطنة العثمانية رمز الخلافة والسلطة الإسلامية في الآساتية معلناً موقفاً واضحاً دون مواربة أو خجل أو استحياء ومستجيباً بذلك للنداء العثماني وكانت بياناته الصادرة في هذا الموضوع تؤيد دعوة المسلمين إلى الخروج على الجيش النتائي البريطاني على مستوى السودان والعالم الإسلامي وضرورة الانحياز إلى جانب السلطنة العثمانية التي تمثل رمزاً إسلامياً. فاتصل ابتداء بالقيادات الوطنية في البلاد. حيث أرسل خطاباً إلى يوسف الهندي وهو يمثل إحدى القيادات الروحية في البلاد محاولاً استثارته ضد الحكم الثنائي البريطاني في السودان. ونقل إليه تفاصيل أخبار المعركة بين السلطنة العثمانية والحركة السنوسية من جانب والأعداء من الإنكليز وحلفائهم من جانب آخر. فأشار في خطابه إلى أن السلطان محمد رشاد وأولاد السنوسي قد قتلوا عدداً كبيراً من الأعداء وأنهم قد أرسلوا تحت إشراف قسيس كريم وآخرين ألفين وأربعمائة صندوق ذخيرة (6).

وهذا الخطاب وسواه من الخطابات الأخرى تشكل حملة إعلامية ناء بحملها السلطان بغية خلق طابور خامس داخل أراضي الحكومة الثنائية البريطانية باعتباره القائد الأوحد دون منازع يومها للمقاومة الوطنية بالبلاد. واتبع أسلوب الإغسراء والتشجيع، بنقل أخبار المعارك والانتصارات التي حققها الأتراك.

أما الإشارة التي فحواها أنه قد وصلته كميات كبيرة كان القصد منها إلقاء الرعب في قلوب أعدائه وإغراء هؤلاء الأعيان بالثورة وإعلان العصيان والتمرد على الحكم

⁽⁶⁾ على دينار إلى يوسف الهندي بتاريخ 1916/1/12

الثنائي البريطاني المباشر، ولكن للأسف نلاحظ أن هذه القيادات الوطنية التي حاول السلطان الشهيد على دينار استتهاضها لم تحرك ساكناً ولم تستجب لدعوته لمحدودية سقفها النضالي ولضبابية فكرها الاختزالي الهروبي وموقفها الخائر إزاء الوجود الأجنبي بالبلاد وشعورها بمدى خطورته. لذا لم تفلح مساعي السلطان لديها لوقوعها تحت التأثير الثنائي البريطاني ورضائها بالأمر الواقع. ولكن من الغريب حقاً والملفت للنظر أنها لم تكتف بالوقوف في الحياد بل كانوا إيجابيين لصالح الأعداء. وقد أغاظ السلطان أن هذه القيادات وشيوخ الطرق الموجودة بالبلاد يومئذ كانت على هذا المستوى المتدني من المسؤولية التاريخية والتنصل من المسؤولية الوطنية والقومية وقد عبر عن ذلك الأمر بعبارات تقطر أماً وأسى بقوله: - ((والأعيان منهم صاروا يخاطبونا ويرغبوا منا أن نتبع النصاري قصدهم يضلونا). (7)

في هذا الخطاب يشير السلطان الشهيد على دينار إلى مدى خيبة الأمل والإحباط الذي أصابه من جراء عناد هذه القيادات المتمثلة في على الميرغني و يوسف الهندي وعبد الرحمن المهدي وإسماعيل الأزهري الجد وعدم استجابتها لنداء الوطن والدين والمروءة. وليتها وقفت عند هذا الحد بل تجاوزت ذلك بالكتابة إليه بغية إقناعه بالتتازل عن موقفه. والانحياز لصالح المشروع الغربي الإحتلالي الاستعماري الكبير في السودان والعالم الإسلامي والعربي، ومن هنا تبدو خطورتهم وتفوح رائحة عمالتهم باعتبارهم أدوات وأبواق استعمارية أوروبية أكثر منهم قيادات وطنية يرجي منها أن تقود مقاومة، أو أن تحدث تغييراً اجتماعياً وسياسياً في البلاد، وهي ذات عملة المجموعات التي تسير الآن بدون خجل أو استحياء في ركاب أطروحات الغرب من أمريكان وبريطانيين وغيرهم دون وعيى، وتسرد مقولات كالببغاوات دون فهم أو رشد. وفي كل عصر ومصر يأتي الأجنبي بأطروحات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب. فلئن اتخذ المحتل في القرن التاسع عشر وبدايات القرن الحادي والعسشرين أسلوب الترغيب والترهيب، فانه في نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الحدي والعسشرين

115

 $^{^{(7)}}$ خطاب من على دينار إلى احمد الشريف السنوسي بتاريخ $^{(7)}$ 1916/1/26 من على دينار إلى احمد الشريف السنوسي بتاريخ S.N.A Intell 2/3/12.

مع ازدياد الوعي وارتفاع ترمومتر الروح الوطنية والدينية اتخنت منهجاً آخر يتمثل في تسويق أطروحات جديدة من أمثال حقوق الإنسان ومنظمات المجتمع المدني والحريات السياسية العامة، وألتحرير الاقتصادي والديمقراطية وحقوق الأقليات، وتقرير المصير، وكلها مداخل استعمارية خبيثة وحديثة غايتها تحقيق أهداف ومصالح أجنبية في البلاد التي ينوي المحتل التدخل فيها ويبلغ غايته في هذا الأمر عن طريق استخدام أدوات محلية من مثقفين وأنصاف مثقفين وأكاديميين وأسصاف أكاديميين وسياسيين وأشباه سياسيين والكل يجمعهم قاسم مشترك واحد ألا وهو قابلية العمالة والخيانة المركوزة في طينة طبعهم، وأجهزة إعلام وأقلام مأجورة ومثقفين مغفلين.

من خلال ما تقدم نلاحظ أن حملته الإعلامية تجاه هذه القيادات لم تؤد دورها ولم تفلح في دعوتهم للخروج على الحكم الثنائي البريطاني في البلاد. ولم تحقق نتائجها المرجوة بخلق طابور خامس يشل حركة الحكومة الثنائية البريطانية. هذا بالرغم من قناعته بعدالة القضية. وظل باستمرار ومن غير كلل أو ملل ينكر عليهم موالاة هؤلاء للنصارى وهم يرون التبشير 'في البلاد والنفوذ المسيحي في ازدياد. فقصيته كانست قضية شعب ودين ووطن وأمة، وكانت الغيرة لديه مزدوجة. بيد أن المساعى التسى بذلها فشلت في تحقيق نتائجها لاعتبارات عديدة منها محدودية نشاطه في هذه الأوساط وبعده عن مركز السلطة الثنائية البريطانية أولاً: ثانياً: بعد هذه القيادات عن المسسرح ووقوعها تحت تأثير الإعلام الثنائي البريطاني وآلت، الحربية المرعبة. فنداءات السلطان الشهيد بالنسبة لها كانت لا تعدو في نظرها عن كونها صوتاً نشازاً. ولربما حسبته نوعاً من التهور غير المحمود ولربما حاولت أن تجد لنفسها مرتكزاً دينياً تدعم به موقفها. ثالثًا: لربما يعود الأمر إلى شعورها بضعف دول الوسط وخوفها علنى مواقعها إن انتصرت انجلترا وحلفاؤها على دول الوسط لاسيما وقد رأت بأم عينيها ما حاق بعائلة المهدي من تفتيت وتشريد والخليفة عبد الله التعايشي. الأمر الذي يجعلها تتردد كثيراً في الإقدام والجرأة على مثل هذه الخطوة غير المضمونة حتى لا يحيق بها ما حاق بمن سلف ذكر هم. ----- الفصل الرابع - الحلف السنوسي العثماني الدارفوري الألماني

• المبحث الخامس:-

إجراءات الحكومة الثنائية البريطانية ضد السلطان الشهيد على دينار

وفي سبين إحباط محاولات السلطان الشهيد ومحاصرته بدأت الحكومة الثنائية البريطانية ترقب بجدية تامة علاقات السلطان الشهيد على دينار بالسنوسية. وعلاقة القوة السنوسية بدارفور، ومدى أثر ذلك على الحكم الثنائي البريطاني أثناء سير المعارك. وكان طريق الأربعين يشكل الشريان لهذه العلاقات الفوراوية السنوسية، فلذا لا غرابة أن قامت الحكومة الثنائية البريطانية باتخاذ الإجراءات الكفيلة بإغلاق هذا الطريق أو تشديد الرقابة عليه. وتهديد أمن القوافل الذاهبة والآيبة فيه. وفي هذا الطريق أو تشديد الرقابة عليه. وتهديد أمن القوافل الذاهبة والآيبة فيه. وفي الحدود الواقعة بين دارفور والكفرة مثل الكبابيش لحماية ورقابة نقاط الاتصال بين دارفور والسنوسية (8). وبذا تم زرع الصعوبات والألغام البشرية أمام الاتصالات الدارفورية السنوسية. ويجد المرء حينئذ المبرر والعذر لاعتذار السنوسية وعدم إمكانيتها لإمداده بما يحتاجه من سلاح في وقت الشدة، فقد شكلت الإجراءات الثنائية والتدابير الإنكليزية عقبة كئوداً في سبيل ضعف الحلف القائم بين السنوسية ودارفور بقطع خطوط الإمداد.

ولعل ما تقدم من إجراء بريطاني يفسر اعتذار السنوسي السابق وعدم إمكانيته لحماية قوافل دارفور وإمداده بما يحتاجه من سلاح هذا بالإضافة إلى الضعف المادي لكل من القوتين على حدة أو مجتمعتين في مواجهة القوي الأوربية ذات العدة والعتاد.

= 117

⁽⁸⁾ نائب منير المخابرات إلى حاكم مروي في 1916/4/22م D.S.A BOX 131/8

• المبحث السادس:-

تضعضع موقف إلسنوسية أمام الهجمات الفرنسية الإيطالية

سبق وأن أشرنا إلى أن السنوسية كانت تمثل حركة جهادية قامت بدور فاعل في مقاومة التدخل الأجنبي في شمال وغرب وأواسط أفريقيا وناعت بعبء التصدي والصدام مع القوى الأجنبية الأوروبية الغازية. وسبقت الإشارة إلى أنها كانت حركة تبشيرية ذات نشاط تبشيري واسع. وقد دخلت مع فرنسا في حروب في عدة مناطق من غرب أفريقيا ضحت فيها السنوسية بكرائم قياداتها وخبراتها وإمكاناتها. وبذل رجالاتها نفوسهم رخيصة من أجل المبادئ والعقيدة التي آمنوا بها. هذا بالرغم من اعتمادها على قدراتها الذاتية وتفوق فرنسا عدداً وعدة عليها. واحتدم الصدام بين الطرفين في وداي (9) (تشاد الحالية). وفقدت السنوسية عدداً وعدة وفقدت كثيراً من مواقع أقدامها الإستراتيجية فهاجر عدد كبير من رجالاتها فراراً بجلدهم إلى دارفور (10). مما يعني أن

ولم يقتصر بلاء السنوسية وجهادها على حدود وداي وحدها وإنما خاضت معارك ضارية في شمال أفريقيا ضد الاستعمار الإيطالي وأصبحت السنوسية رمزاً للتصدية والتصدي تقاتل في أكثر من جبهة معتمدة على قدراتها الذاتية، وإمكاناتها المحدودة. ولم تقف قوة على وجه الأرض مع هذه المقاومة الإسلامية السشرسة ذات النزعة الوطنية الصادقة سوى سلطان دارفور الذي أمدها بما قدر عليه، وشاركها بجزء من إمكاناته المحدودة أداء لحق الأخوة في الدين، وقياماً بواجب النصرة في سبيل الحق وإقامة شرعة الله في الأرض. وتطهير ديار المسلمين من دنس الاستعمار الأوروبي الغادر بشتى مدارسه واتجاهاته وجنسياته. ويؤكد هذا القول ما أشار إليه أحمد الشريف السنوسي مخاطباً السلطان الشهيد على دينار بقوله (الله يديم بقاءكم ويقهر أعداءكم ويمحق بسيفكم رقاب الطايفة الكافرة الخاسرة الماكرة. فإن الكفر قد عم وطم ولم يكن

^{(&}lt;sup>9)</sup> استطلاع مجلة الهلال مصدر سبق ذكره

⁽¹⁰⁾ المخابر ات

----- الفصل الرابع - الحلف السنوسي العثماتي الدارفوري الألماتي

اليوم ملك على وجه الأرض غيركم فقد أعزيتم الدين وقهرتم الملحدين (11)، هذا ما ورد في سياق شكره له على دعم الجبهة السنوسية مادياً. ونقل له في هذا الخطاب صورة حية عما يدور من معارك.

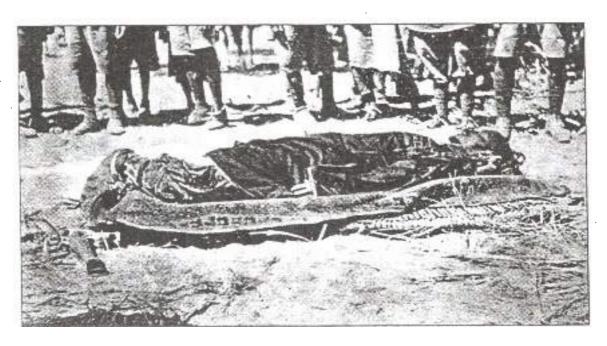
يبدو أن السنوسية قد بلغت حداً من الضعف وهي ذات العددية الملتزمة والعضوية المتزايدة مما جعلها تتنظر مساعدات السلطان المحدودة الذي يعتبر بكل المقاييس أقل منها تنظيماً وإعداداً وإمكانات وقوة ودربة وخبرة. وبالرغم من ذلك فإن ما مضى سرده يقرر أن السلطان الشهيد على دينار كان يمثل قوة إسلامية صاعدة في المنطقة تجسد فيها بعد النظر وتجاوز حدود الإقليمية الضيقة والخوف على العرش، إلى أفساق الأخوة الإسلامية الأرحب. ومناصرة دعوة الحق بغض النظر عن جنسيتها أو مسقط رأسها ولعل هذا سا ميزه عن المهدية ذات النظرة الشمولية الاحتوائيـــة وهـــى نظــرة قاصرة لأنها ترى الأشياء في حدود الأسود والأبيض ولا تضع اعتباراً أو وزناً لألوان الطيف الأخرى. ولذا فان أي سياسة أو نظرية سياسية تقوم على هذا الكيف تفشل في بلوغ مراميها، فحين قامت الثورة البلشفية في روسيا، ووصل الشيوعيون إلى الـسلطة في أكتوبر سنة 1917م وقامت دولتهم على أساس هذا التصنيف الأحادي النظرة، ظلوا يتعاملون مع العالم بهذه النظرة الأيدلوجية الضيقة، فخسروا في ميادين كثيرة إلى أن جاء الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي ورئيس الوزراء السوفيتي كوسيجين إلى السلطة في أوائل الستينيات من القرن العشرين فتبنى السوفيت نظرية الصداقة التي لم تكن بالضرورة تعنى الالتزام التام بالمبادئ الماركسية أو تعنى التبعية المطلقة. وكذا نلاحظ أن كثير من الأنظمة الشمولية بمختلف مسمياتها لم تسنجح إلا بعد أن قامست ببعض التنازلات عن أطروحاتها الابتدائية المتشددة ونظرت إلى الواقع من خلال ألوان الطيف السياسي والفكري والاجتماعي مجتمعة. ولذا لا غرابة إن فشلت الثورة المهدية في استقطاب رابح الزبير أو محمد المهدي السنوسي أو ملك الحبيشة إلى جانبها أو الوقوف في صفها. أما نجاح السلطان الشهيد على دينار فيما فشل فيه الآخرون

⁽۱۱) أحمد الشريف إلى على دينار 1911/12/16 (25محرم سنة 1330هــ) S.N.A Intell 2/3/12

لربما يعود إلى الإرث الحضاري الذي ورثه السلطان الشهيد على دينار عن أجداده. ولأن المهدية في ابتدائها وانتهائها فكرة منبتة الأصل لم تعتمد على بيوت ذات ارث سياسي أو أفراد من سلالة ملوك أو سلاطين ذوي قدر وتاريخ في السسودان. وانما قامت على أكتاف قيادات مثلت مدارس مختلفة وعلى قيادة لم تكن تتمرس على الحكم والتعاطي مع سياسة الرعية. بناء على موروث وتقاليد مرعية.

وتحت مطارق الهجمات الفرنسية والإيطالية على السنوسية ضعف موقفها فلم تعد قادرة على إمداد السلطان الشهيد على دينار بما يحتاجه من سلاح وخبرة. لا سيما حينما بدأ موقفه يتخذ أبعاداً خطرة تجاه الحكم الثنائي البريطاني في البلاد، ففي هذا الوقت بالذات كانت السنوسية على الطرف الآخر قد وقعت بصورة مباشرة تحت وطأة الهجوم الفرنسي الإيطالي ووصلت مستوى من العجز جعلها غير قادرة على إدخال خيط في سم خياط ناهيك عن إمداده باحتياجاته وتزويده بالخبرات الفنية والعسكرية التي يرمي الحصول عليها منها. ولعل اعتذار السنوسي للسلطان عن إمداده بما يحتاجه يلقي الضوء على صدق المقولة السابقة (12). ويقرر أن القوتين قد وقعتا بين فكي كماشة عدو لا يرحم، هذا في الوقت الذي لم تتمكن فيه كل من ألمانيا والسلطنة العثمانية من أهمية ثغريهما.

⁽¹²⁾ يونان لبيب رزق مرجع سبق ذكره ص388-389.



صورة جثمان السلطان الشهيد على دينار بعد استشهاده في نوفمبر 1916م هو حوله جنود انجليز في كالمي



علاقات السلطان الشهيد علي دينار بوداي (تشاد الصالية)

الفصل الخامس

علاقات السلطان الشهيد على دينار بوداًى (تشاد الحالية)

• المبحث الأول:-

(تشاد) تحت السلطنة الإسلامية والاحتلال الفرنسي:

وداي تعني اسم رجل في لغة الوطنيين وهي إحدى الممالك الإسلامية التي برزت إلى الوجود سنة 1640م. والقطر التـشادي وداي سـابقاً كـان يعـرف أول الأمـر بـ (دار مابا) وأخيراً أصبح يعرف بـ (دار برقو⁽¹⁾) والصلة بين الـسودان عموماً ودارفور على وجه الخصوص وتشاد تعتبر علاقة أزلية ذات بعد عرقي مكين وثقافي وحضاري إذ تشترك بين السودان على وجه العموم ودارفور على وجه الخـصوص وتشاد حالياً أكثر من إثني عشر عرقية تشكل رباطاً وثيقاً لا تتفـصم عـراه. ولعـل الوجود البرقاوي الآن بالسودان خير شاهد على جذور وأبعاد هذه العلاقـة. فمعظـم العاملين بالبقالات وأصحابها والمالكين لها هم من البرقو، وهم أصلاً تشاديون استقروا وتزاوجوا وانصهروا واندمجوا في النسيج السوداني، وإن ظل البعض مـنهم محتفظـاً ببعض السمات المميزة. ويعتبر البرقو أو الصليحاب نسبة لدار صلح وهو أحد أسـماء منطقة تشاد الحالية، من أنجح العناصر في إدارة واستمرارية هذا النوع من التجـارة. وقد نجح قطاع كبير من بني صليح (البرقو) في مسائل المقاو لات والمنشآت واسـتقر وقد نجح قطاع كبير من بني صليح (البرقو) في مسائل المقاو لات والمنشآت واسـتقر جزء من هذا الفرع الأخير في مناطق الشايقية وتبنوا ثقافتهم وأصبحوا جزءاً من ذلك

⁽¹⁾ سلاطين تقرير سنة 1910 S.N.A.Intell 1/1/1

النسيج كالحواجمير (آل حاج نور في منطقة نوري) وبعض آخر استقر بكردفان ودارفور ومن هؤلاء آل السنوسي الشيخ ابراهيم محمد السنوسي أحد زعماء حزب المؤتمر حزب المؤتمر الشعبي جناح الترابي حيث جاء والده محمد السنوسي وهو صغير من هذه المنطقة (تشاد الحالية) ودرس على أحد شيوخ بني صويلح الشيخ العلامة بدر الدين خضر الذي يعتبر جداً لشيخ ميرغني على لأمه والذي يسكن بأمبدة الحارة الثامنة بأم درمان. وهذا الشيخ مدفون بشركيلة من مناطق أم روابة. والبعض الآخر من هذا الفرع موزع على أجزاء كبيرة من السودان شرقاً وغرباً ولم يتداخل كثيراً مع الأجناس السودانية إلا في حدود ضيقة. هذا بالإضافة إلى الزغاوة والمساليت والطنجور والداجو والقرعان والفور والفلاتة والمحاميد .. الخ. كلها عرقيات وأنتيات مشتركة بين السودان وتشاد ودارفور وليبيا على وجه الخصوص ويؤثر هذا الاشتراك على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية والأخلاقية

ويفصل بين وداي وحدود السودان الغربية (دارفور) وادي سونقا⁽²⁾. ووداي صلتها بالشرق قوية لاسيما دارفور منذ نشأتها⁽³⁾، وحتى اليوم وهذه واحدة من مشاكل دارفور الحالية التي تهدد أمنها ومجتمعها واقتصادها وستظل كذلك ما لم يحدث تكامل وتعاون أمني واقتصادي من كل من السودان وجمهورية تسشاد الحالية بعيداً عن الأطماع الغربية في المنطقة.

بعد استسلام سليمان الزبير ود رحمة للايطالي جسي في 1879م بتوجيه من والده وبايعاز من السلطات المصرية انفصل عنه أحد القادة - اللذي أدرك ملدى الخبلث والمؤامرة الأوربية - ويدعى هذا القائد الفذ رابح الزبير (وليست له صلة قرابة بالزبير باشا سوى أنه أحد قادته). واسمه الحقيقي هو رابح فضل الله وهو جنوبي قح من بحر الغزال الشتراه الزبير ود رحمه إنقاذاً لحياته لأنه حسب عادات القبائل الوثنية الجنوبية

S.N.A.Intell. 1/1/1

⁽²⁾ Gostav nachtigal: Sahara and Sudan trans. by allan. humphry fisher 4 vol. London 1971 vol 4 p. 239.

⁽³⁾ سلاطين ت**ت**رير سبتمبر سنة 1910

كان يفترض أن يقدم رابح فدية حسب العادات والتقاليد المحلية الموروثة وان يتم نبحه على مسمع ومرأى من الجميع ويلحظ من العجيب الذي ينفي عن الزبير ود رحمة الجميعابي التهم التي ألصقت به وتلقفها الأحفاد عن الأجداد دون وعي انه لم يشتره الزبير ليستعبده ولكنه أعتقه وولاه قيادة عسكرية في قواته لما ظهر منه من قوة شكيمة وقدرة على التنظيم والإدارة والجدية والمثابرة وأضحى واحداً من المقربين منه. وقد رفض رابح الاستسلام ومعه قوة من رجال الزبير. ولعله بهذا التصرف أثبت جدارة قيادية وذكاء ووعياً فائقاً. فأسس في البداية سلطنة في جنوب غرب بحر الغزال. ومن هناك غزا دار كوتي – كتي واتسعت عملياته حتى دار دنجا. والاثنتان لوداي (4). وتمكن من إقامة إمبر اطورية شاسعة غرب تشاد.

وبنهاية سنة 1890م اتجهت قواته ناحية الشمال الغربي، وترك على المواقع التي استولى عليها أحد أتباعه ويدعى محمد السنوسي - لا صلة له بعائلة السنوسي. بيد أن أباه كان من أعضاء الطريقة السنوسية. ويقال أن محمد السنوسي قد جاء من باقيرمي - حيث حكم محمد السنوسي هذا الجزء الغربي من وداي باسم رابح فصل الله بعد استيلائه عليها. وفي سنة 1893م وصل رابح إلى باقيرمي وطرد سلطانها. وفي السنوات التالية غزا رابح فضل الله بورنيو حيث هزم سلطانها وحكم هذه المناطق لمدة سبع سنوات (5) وكون إمبراطورية عظيمة الشأن.

لقد لعب رابح الزبير دوراً كبيراً في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في هذه المنطقة على وجه العموم. ولازال أهالي تلك المناطق يدركون أثره ودوره المتقدم في الحفاظ على استقلالية المنطقة ويحتفظون له بالنكري الطيبة. بيد أن التكالب الاستعماري الاستغلالي المبطن بالحقد الصليبي هو الذي دفع الدول الغربية ذات الثقل السياسي أن تتغلغل في هذه المناطق وتقضى على أية قوة صاعدة يشم منها رائحة الإسلام.

⁽⁴⁾ A.B.Theobold. Ali Dinar the last Saltan of Dar fur first. Ed western printing service Bristol (1965). P.59-61.

⁽⁵⁾ المرجع السابق.

وكان يحكم في الجزء الشرقي والأوسط من وداي في هذه الفترة السلطان محمــد يوسف والذي تعاطف بفاعلية مع ثورة دارفور ضد الحركة المهدوية. وتدخل لأكثر من مرة للإصلاح بين السلطان أبكر إسماعيل سلطان المساليت وأبي الخيرات قائد المقاومة الدارفورية وابن عم السلطان الشهيد على دينار، وسليل العائلة الدارفورية المالكة. لربما الذي قاده إلى اتخاذ هذا الموقف هو خوفه من امتداد نفوذ الثورة المهدية إلى دياره. واذا ما نجح في مسعاه من أجل توحيد جهود المقاومتين السوادنيتين سيشكل استراتيجي هام. حيث نلاحظ أن مشكلة دارفور وتشاد الحاليتين تكمن في هذا التداخل العرقي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي وعدم وجود حزام أمنى يحول دون حدوث اضطرابات وانفلات أمنى على حدود كلا الدولتين بما يقود في كثير من الأحيان إلى المواجهات العسكرية أو اللسانية أو اختراق حدودي. ولعل هذا الموقف التشادي يؤكد على تدخل السلطات التشادية في الشؤون السودانية وكذا العكس. وهذا أمر تستدعيه التداخلات العرقية المتشابكة. وهو يشكل جنوراً لما يدور الآن من مشاكل حدودية بين البلدين الأمر الذي استغلته المعارضة من البلدين. وقامت باستثماره لصالح أجندتها. ومما يؤكد على تدخل السلطان الوداوي في الشؤون السودانية الدارفورية يومئذ ودعمه للمعارضة الدارفورية ضد النفوذ المهدوي ما عثر عليه القائد المهدوي عثمان آدم (عثمان جانو) حيث عثر على أكثر من سبعين رسالة من البرقاوي (السلطان محمد يوسف) إلى أبكر إسماعيل حرضه فيها على القتال ضد الدولة المهدية ومناه في بعض منها بالتأبيد والمؤازرة (6). هذه الإشارات تؤكد على التداخل العرقى والسسياسي بسين هذه المناطق، كما تلقى الضوء على الأحداث الجارية الآن في دارفور وأهمية دور تشاد حكومة وشعباً فيما يدور في الساحة الدارفورية. إذ لا ينبغي أن تعزل تشاد عنن موائد المفاوضات الدائرة الآن أو في المستقبل إذ تملك تشاد بصورة أو أخرى بعض مفاتيح اللعبة في هذه المنطقة بعيداً عن المؤثرات الغربية ذات الأجندة الخفية.كما أن السودان ينبغي أن يكون حاضراً ومؤثراً وشريكاً في كل ما يمكن أن يقود إلى

⁽⁶⁾ موسى المبارك مرجع سبق ذكره ص173-177.

الاستقرار والأمن في تشاد لأن بين البلدين قاسم مــشترك أمنــي وعرقــي وثقـافي واجتماعي واقتصادي وسياسي يشكل نظرة تكاملية ويقتضي تعاوناً مشتركاً في كافــة القضايا الحيوية التي تهم البلدين.

يلاحظ بعد وفاة السلطان محمد يوسف سادت ودَاى انقسامات أسرية على العرش اتفق خلالها رجالات البلاط على اختيار ابنه الأصغر إبراهيم ليكون سلطانا وهو ابن مملوكة. وبعد فترة شعر إبراهيم بأنه قد وقع تحت قبضة رجالات البلاط الوداوي، فأراد التخلص منهم إلا أنه خسر الجولة وظهر أمامه ثلاثة متنافسين هم أحمد الغزالي، وعسيل حفيد السلطان محمد الشريف، ومحمد صالح (دود مرة أي أسد مرة) ومرة هي قرية تقع على الطريق بين أبشى والفاشر (7). وله صلة قرابة بالسلطان الشهيد على دينار.

هنا يبدأ دور السلطان الشهيد علي دينار إذ تدخل لاختيار أحمد الغزالي ومناصرته على منافسه سنة 1902م وأرسل خطاباً إلى الحاكم العام بهذا الصدد يعتذر فيه عن تأخير مكاتباته له بسبب انشغاله بأحداث وداي والنزاع الدائر بين أفراد الأسرة الحاكمة هناك. وكأنه أراد بذلك أن يوحي إليه بأنه قد أصبح رقماً له دور إقليمي في حسم النزاعات المحلية وفي الدول المجاورة. وأشار إلى أنه قد وجة أمره مع رسل وداي لتنصيب محمد الغزالي ويأمل تسوية الأمور بعد وصول رسله إلى وداي (8).

من خلال هذا السرد يتضح أن وداي كانت تشكل إحدى اهتمامات السلطان الشهيد علي دينار. وكانت حدود سلطنة دارفور الغربية تشكل صداعاً دائماً للسلطان علي دينار كما هو الحال الآن وغداً وبعد غد. حيث كان السلطان الشهيد يرى أن بعض المناطق المتنازع عليها تقع ضمن حدود دارفور القديمة. وبالفعل نجح في إخضاع سلطنة المساليت التي اتخنت شكلاً ووضعاً مستقلاً خاصاً من حيث الإدارة خلال فترة الحكم المصري وأيام المهدية (9). وإن كانت في الأصل هي جزء من موروث سلطنة

⁽⁷⁾ A.B.Theobald. .Ali Dinar .the last Saltan of Darfur .1st ed.pp60-61.

⁽⁸⁾ على دينار إلى الحاكم العام في 6/1/6/16م 1901/6/16 S.N.A INTELL 7/3/11

⁽⁹⁾ يونان لبيب رزق مصدر سبق نكره: ص248.

دارفور الإسلامية وتابعة لها تبعية إدارية منذ قيام السلطنة الدارفورية الإسلامية سنة 1450م، بيد أنها في لحظات الضعف وسقوط السلطنة على يد الزبير باشا ود رحمة في أكتوبر سنة 1875م أخذت هذه السلطنة الصغيرة وضعاً مستقلاً. وهو أمر طبيعي من الوجهة السياسية البحتة إذ نلاحظ أن ضعف المركز دوماً يقود إلى انفلات عقد الأطراف.

وفي أقصى الغرب نجح الفرنسيون في القضاء على رابح الزبير(10) (أي رابـــح فضل الله). ووفقاً للمتغيرات السياسية الدولية والتطلعات الاستعمارية الاوروبية في المنطقة إضافة إلى الخلافات الأسرية داخل وداي دفعت بالقوى الاستعمارية الأوروبية الغازية لا سيما فرنسا إلى أن تطمع في الاستيلاء على وداي. فبعد اغتيال إبراهيم محمد يوسف سنة 1900م أعلن احمد الغزالي نفسه سلطاناً على المنطقة. ولكنسه نوفس من قبل كل من عسيل ومحمد صالح (دود مرة) الذي تـم قتلـه. ونـسبة لأن أم محمد صالح (دود مرة) من غير الأسرة الحاكمة. فقد نافسه على السلطة عسيل الذي احتمى بالفرنسيين طالباً حمايتهم (11). هذه الإشارة تؤكد دوماً على حقيقة تاريخية في أفريقيا أو العالم الإسلامي أو العربي،وهي أن الأجنبي لا يأتي إلى منطقة ما إلا إذا وجد تشجيعاً ومساعدة من المواطنين وهذا ما حدث في تشاد في بداية القرن العشرين وفى السودان وفى مصر وفى العراق وفى دارفور وفى أفغانستان سواء فسي نهايسة القرن التاسع عشر الميلادي أو بداية القرن العشرين أو في نهاية أو في بدايـة الدرن الحادي والعشرين. حيث يمكننا أن نقرر بأن المدخل الاستعماري الإحتلالي الغربي البريطاني او الفرنسي أو الألماني أو الصهيومسيحي الأمريكي لأي بلد هـو عنـصر محلى مجرد من الوطنية ويكون في المقام الأول قد عجز عن المواجهة وترسيخ أقدامه وكسب عطف ومساندة الجماهير لطرحه السياسي فيلجأ إلى الاستعانة بالأجنبي. ومن المعلوم أن الأجنبي لا يندفع بصورة مباشرة أو غير مباشرة أو يقدم على دعم جهة ما إلا إذا كانت هذه الجهة تحقق له أهدافاً إستراتيجية ومصمالح يرمسي إلى تحقيقها.

[.]S.N.A NITELL.1/1/1 مبتمبر سنة 1910م (10)

^(') نفس المرجع.

فلا يعطى الاحتلال بيد إلا إذا ضمن الأخذ بيد أخرى، وكان أخذه أكثر من عطائه. وهذا عين ما حدث في السودان في بداية القرن الماضي (القرن العشرين الميلادي) وأفغانستان فردوس الإسلام المفقود بعد الأندلس في ظل غيبة وعي العالم الإسلامي في نهاية القرن الماضي، وفي العراق في بداية القرن الحادي والعشرين الحالي.

ولما كان الاستعمار الاوروبي القديم أو الصهيومسسيحي الامريكي المعاصسر يتحرك وفق إستراتيجية وأوليات محددة نلاحظ انه وبالرغم من وجود مدخل جيد لحسم الأمر لصالح (عسيل) إلا أنهم لم يقدموا له شيئا لانشغالهم برابح لأن رابح في تلك الفترة كان يشكل خطراً أعظم على الوجود الاستعماري الفرنسي في تلك المنطقة وكان أوعى الموجودين يومئذ على الساحة الوداوية من القيـــادات وأكثــرهم إدراكـــاً لمرامى وغايات وأهداف الوجود الأوروبي في المنطقة ولعل اكبر خطر يهدد إستراتيجية الاحتلال الغربي الأوروبي سابقاً أو الأمريكي البريطاني حالياً هو السوعي والإخلاص الوطني والديني. وفي سنة 1903م أحدق خطر آخر بالسلطان الشهيد على دينار. ذلك أنه بعد أن قام الفرنسيون بالقضاء على رابح فضل الله ذلك القائد السوداني البطل سنة 1900م. وبعد معارك فاصلة بين رابح فضل الله والجيوش الفرنسية كان حصادها مقتل رابح والقائد الفرنسي في معركة واحدة، أنشأ الفرنسيون مناطق عسكرية ونقاط حماية. صحب ذلك تقدم فرنسى كثيف نحو وداي. وبدأت مخاوف السلطان الشهيد على دينار من أن يلجأ سلطان وداي محمد صالح (دود مرة) نجو السشرق. إذ من الممكن أن يصبح منافساً خطيراً في دارفور. لذا أضطر السلطان الشهيد على دينار إلى إرسال قوة لمراقبة تحركات السلطان الوداوي محمد صالح (دود مرة) قرب الحدود الدارفورية الوداوية لمنعه من دخول دارفور (12). وسيأتى تفصيل موداه أن لـ (محمد صالح دود مرة) علاقة عرقية بالسلطان على دينار الأمر الـذي يمكن أن يهدد وجود السلطان الشهيد على دينار في دارفور. وقد حاول السلطان السهيد على دينار في أوائل أيام حكمه أن ينشئ علاقات تجارية مكثفة مع وداي دون علم الحكومة

⁽¹²⁾ يونان لبيب رزق، مصدر سبق نكره ص 248 انظر ايضاً: A.B.Tlleobald .Op.cit.pp.61

الثنائية البريطانية. الأمر الذي جعل الحاكم العام يطلب منه إعلامه بما يجري بينه وبين وداي (13).

ويبد وأن الحكومة الثنائية البريطانية كانت في شك من أمرها في وجود مثل هذه العلاقة التي تريد أن تكون رقيباً عليها. إلا أن السلطان الشهيد على دينار كان يتصرف تصرف السلطان المستقل، ويرى أن له في وداي يداً عليا من حيث اختيار السسلاطين وتعيينهم كما مر، وأن أمن دارفور مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأمن تشاد وهدوء وضعها السياسي كما هو الحال الآن.

وبلجوء (عسيل) إلي الفرنسيين وجد السلطان علي دينار ذريعة للتدخل فبدأت المناوشات تدور رحاها بين الفريقين دود مرة يساعده الـسنوسيون وعـسيل يـساعده الفرنسيون (14). يستطيع المرء أن يستمد الخلفية السياسية لمشاكل اليـوم مـن أحـداث الأمس في هذه الرقعة. إذ لم يتغير على المسرح سوى الأشخاص والأسماء، والمسألة على كل كانت أكبر من النزاعات المحلية. لأن تفكير الدول الأوربية لتوسعة أملاكها في المنطقة وخلق نفوذ لها سابقان لهذه النزاعات حيث أن كلاً من إنجاتـرا وفرنـسا أبرمتا اتفاقية ثنائية صدر بشأنها بيان في لندن بتاريخ 12/3/2/1898م - لتحديد مناطق النفوذ لكلا الدولتين العظميين. وردت في الاتفاقية فقرة تخديد الحـدود بـين دار نـور ووداي بالفقرة الثانية من الإتفاقية (15). وصدر ملحق لهذا البيان كان أكثر تحديداً لنقاط النزاع وكيفية تسويته بين الدولتين في 1899/6/13.

ووقع الاتفاقية وملحقها كل من وزيري خارجيتي الدولتين ولم تكن دار تاما ومساليت من المناطق المتنازع عليها أصلاً (17). وقامت هذه الاتفاقيات الأوربية على منطق غريب ورؤية أوروبية استغلالية تذهب إلى اعتبار أن أفريقيا منطقة خلو من

[.] الحاكم العام إلى السلطان في 1900/1/4م. الحاكم العام إلى السلطان الح

⁽¹⁴⁾ تقرير سلاطين سبتمبر سنة 1910م .S.N.A.Intell . 1/1/1

⁽¹⁵⁾ تقرير أعده سلاطين بشأن النزاع الدارفوري الفرنسي على الحدود في 1911/11/10م

السكان الذين يحق لهم السيادة وذلك حين اجتمعت حفنة من الدول الأوروبية الغربية في برلين سنة 1884-1885م في مؤتمر مغلق وفي غرف مغلقة وإجلاء للإشكال القائم فيما بينهما قامت هذه الدول بتقسيم (كيكة) أفريقيا دون اعتبار لما يقطنها من بشر وفي غياب إرادة أهلها توزعت هذه الحفنة من الدول مناطق افريقيا فيما بينها دون خجل أو حياء وأبيح لكل واحدة منها استعمال ما تراه من وسائل لإخضاع هذه المناطق لهيمنتها حربا أو سلما طوعاً أو كرهاً. وأضفى على هذا التصرف الهمجي المنافي للإرث الحضاري الإنساني عبر التاريخ صبغة الشرعية الدولية والقانون الدولي .. وهي ذات الفكرة العالمية التي تحكم دهاليز المنظمات الدولية الموجودة اليوم. فالأمر كله الآن بيد خمسة دول بعد نهاية الحرب الأوروبية الثانية وقد آل الأمر بعد اخسالل التوازن في القوة بعد سقوط الإتحاد السوفيتي وسقوط جدار برلين، آل الأمر كله إلى دولة واحدة هي التي أصبحت تقرر مصائر العالم وفق رؤيتها ومصالحها العتيقة، وتتحكم في استصدار القرارات التي يزعم أنها أممية وفق مزاجها وهواها. فهي وتتحكم في استصدار القرارات التي يزعم أنها أممية وفق مزاجها وهواها. فهي أو التي تشاء وتبرئ ساحة من تبرئ، دون وجود وحدة معيارية مين الناحية الأخلاقية أو الروحية.

ووفقاً لبنود تلك الاتفاقية آنفة الذكر كتب سلاطين باشا النمساوي تقريره المسشار اليه ينتقد فيه حكومة فرنسا لعدم تبليغها الحكومة الإنكليزية بالخطوات التي تتوي القيام بها بناء على الإتفاقية المبرمة بين الدولتين. ويتضح للمتأمل قصر النظرة الاستعلائية الغربية التي تجرد أصحاب الدعوى الحقيقية من أبسط حقوقهم في حق تقرير مصيرهم، مما يعني أن الرجل الأبيض كان ولا يزال لا يحترم حقوق الآخرين. وأن كل دعاويه فيما يتصل بحقوق الإنسان والمساواة والديمقراطية والحرية والحقوق المدنية هي شعارات غير مستهدف بها جنس آخر من البشر سوى الأوروبيين أو الرجل الأبيض. أما من عداهم من بني الإنسان فهم غير معنيون بهذه الأطروحات. وهذه النظرة هي إرث يهودي بغيض ولكن من زاوية أخرى. حيث يرى اليهود أن من

عداهم لا يعدون عن كونهم قطيعاً من الماشية ليست لهم حقوق، وقد دمغت هذه النظرة الانتقائية الاستعلائية الرجل الأبيض في قاراته الثلاث حيث اتصف بهذه العنصرية البغيضة مضافا إليها الاستغلال الاقتصادي والتنافس غير الشريف من أجل الكسب الرخيص، بأي صورة وعبر أي وسيلة، ولو كان عن طريق بيع الإنسان لأخيه الإنسان أو قتله أو سجنه. وبالتالي تتكشف ضحالة رؤية من يجري الآن ويلهث من الدارفوريين أو العراقيين أو الأفغان وراء الفرج الأوروبي أو الأمريكي الذي لا يعدو عن كونه محاولة جديدة لاستغلال ولاستعمار جديد بوسائل جديدة وبرؤى علمية جديدة!!. والآن القوى الأجنبية هي سبب كثير من الخروقات الإنسانية والأخلاقية في البلاد (دارفور) سواء على مستوى الإتحاد الأفريقي أو الإتحاد الأوروبي أو القوات التابعة لما يسمى بالأمم المتحدة. حيث نلاحظ أن القوات التابعة للإتحاد الأفريقي جاء بعضها يحمل داء الإيدز بصورة كثيفة للبلد، وليس لهم من شاغل على حسب إفدة شهود عيان قادمون من دارفور سوى شرب الخمور ومخادنة النساء. والقتل والنهب على أشده في البلاد, فإذا ما قتل فرد من الأجناس العربية يتم التغاضى عن ذلك الأمر، كما حدث لأحد أفراد بنى هلبة في شهر أكتوبر 2005م. فلم تتحسرك حينها القوى الدولية أو المحلية أو الإقليمية. الأمر الذي حز في نفس القبيلة فجهزت ألف فارس بألف جواد وأحاطوا بنيالا مما اضطر الوالى الحالى المهندس الحاج عطا المنان للتحرك كما جاء في المثل: (مجبر أخاك ولا بطل) فلقد تحرك بصورة ملحوظة لإدراك وتحصيل بعض ما اندلق من ماء وجهه ووجه حكومته لتهدئة الأحوال من باب نحن هنا لا أكثر ولا أقل. والتزم شفاهة بالكشف عن الجناة وهو مقيد في حركته وإجراءاته لتوفير الأمن ومعاقبة الجناة بهذا الوجود الأجنبي المفروض علسي السبلاد فرضا. وتحاول أمريكا عبثاً زيادة نفوذها في دارفور عن طريق فرض إدخال قوات دولية، ومن الغريب أن يوجد من أبناء دارفور والسودان في ظل سوق النخاسة السياسية السودانية وفي ظل (حراج) معرض بيع الضمائر والتجرد من الوطنية وجريا وراء الكسب الرخيص يوجد من يدعمون دعاوى أمريكا وبريطانيا ومن لــف لفهما دون وعي وغفلة أو بلادة تاريخية وغباء وتبلد حس وطني. ومن المعلوم أن الاستعمار الغربي قديمه وحديثه لا يصل إلى أهدافه واستراتيجياته الا عن طريق المغفلين والمنفعيين وعديمي الضمير والأخلاق والعملاء من أبناء البد الأصليين في كل زمان ومكان.

ولا يستبعد في تلك الفترة الحرجة من تاريخ المنطقة أن تكون الخلافات المحلية والانشقاقات بالإضافة إلى المطامع الذاتية لكل منافس قد وجدت دعماً من هذه القوى الأجنبية التي كانت تتطلع إلى الاستيلاء على هذه الرقعة وسلبها خيراتها كما هو الحال الآن. وفي محاولة جادة وإستراتيجية مرسومة غايتها تغريب هذه المسعوب وإبطال مفعول البواعث التي تقتضي وحدتها وتحديد هويتها الإسلامية. فقد كانت الحركة الاستعمارية الأوروبية الغربية مدعومة ومصحوبة بحركة تبشيرية بروتستانتية ذات كفاءات ومستويات عالية. متدثرة بأحقاد صليبية قديمة ذات بعد اقتصادي وجشع مادي بحت، لا تعرف حقوقاً مشروعة أو حق العيش بأمان وسلام لهذه الشعوب في ديارها. لا سيما وقد سقطت ورقة التوت خلال القرن الماضي وهذا القرن - الحادي والعشرين - عن سوءة الدعاوى الغربية الفارغة التي ما زال المغفلون والأغبياء من أبناء الأمة الإسلامية والأفريقية والعربية يرددونها كالببغاوات، علماً بأن البعض منهم شعوبهم بجدوى هذه الأطروحات الغربية الكانبة. وبدأت تظهر بشاعة عدم مصداقية هذه الأطروحات الكاذبة لكل ذي بصيرة نافذة، أومن لديه أدني معرفة بمفردات التاريخ الحديث والمعاصر إلا إذا كان عميلاً قحاً أو مغفلاً غبياً.

والاتفاقية المشتركة بين الدولتين (بريطانيا وفرنسا) والتي سبق الإشارة إليها تشير إلى مدى الغربة عن هذه الديار وعدم معرفتها بها معرفة وثيقة. حيث اكتنف الغموض خط الحدود بين كل من دارفور ووداي. فقد ورد في الاتفاقية أن خط الحدود في الاتفاقية الواقعة بين خطي طول 21، 23 شرقا سوف يعين بصورة واضحة وجلية يفصل بها مملكة وداي عما يكون عام 1882م. مديرية دارفور (18).

⁽¹⁸⁾ المرجع السابق ص250.

على وجه العموم إن ضعف القيادات المحلية وعدم اختيارها الوقت المناسب لنشر غسيل خلافاتها – وفي محاولتها الدءوبة لتحقيق أطماعها الذاتية – استعانت بالقوة الأجنبية فشكل ذلك دافعاً قوياً شجع الاستعمار الأوروبي للتغلغل في هذه المنطقة وتحقيق أهدافه. وتمكن في ظل هذه المعطيات من أن يقاتل كل جبهة على حدة بعد ضرب المتتاحرين ببعضهم البعض الآخر. وليت الأمة التشادية اليوم تكون على وعي مما يحاك بها الآن وتعتبر فيما يدور على مسرح أحداثها اليوم من أحداث الأمس وتستدعي خلفيتها السياسية وكذلك سكان دارفور وقادتها وزعماؤها الآن هم بحاجة لقراءة هذه المفردات بوعي وبتأمل دقيق وبعين ثاقبة وبفكر متأن. واستدعاء مفردات الأمس لصناعة مفردات اليوم واستشراق وتشكيل رؤية ومفردات الغد.

وقام الاستعمار الأوروبي بعدئذ بتصفية كل جيب على إنفراد. مما لا شك فيه أن عدم وجود الوحدة لأبناء الوطن الواحد أو الأوطان المتجاورة هو الذي شجع الاستعمار الإحتلالي لدخول هذه البلاد. ففيما بين سنة 1902م لجأ الفرنسيون إلى تثبيت أقدامهم بعد قتال مرير مع كل من رابح فضل الله والسنوسية. وفي سنة 1903م اتهم الفرنسيون عسيل بالميل إلى السنوسية وتم اعتقاله مما اقتضى تفرق أتباعه. وقد بدأت المناوشات المتقطعة بين كل من الفرنسيين والوداويين بقيادة محمد صالح دود مرة خلال سنة 1904م، 1905م.

• المبحث الثاني:-

التحرك الفرنسي لاحتلال وداي (تشاد)

وبدافع من تأمين المناطق الخلفية والحصول على مسواطئ أقدام جديدة قسرر الفرنسيون التحرك نحو الأمام مع تعزيز المناطق التي يستولون عليها بنقاط حراسة دائمة. في هذا الأثناء أعلن السلطان محمد صالح دود مرة الجهاد ضد الوجود الفرنسي في بلاده. فتقدم جيشه بيد أنه هزم بقيادة محمد بشارة فسي 16يونيو سنة 1908م، وصارت نتيجة ذلك القوات الفرنسية على مرمى حجر من أبشى العاصمة. وأثرت هذه

الهزيمة على سمعة السلطان محمد صالح دود مرة وهرب عدد من أتباعه شرقاً وغرباً حتى إن بعضاً منهم لحق بمنافسه الذي تم إطلاق سراحه لاستخدامه عند اللزوم من قبل القوات الغازية. وفي نهاية مايو سنة 1909م تقدمت فرقة فرنسية صسغيرة تمكنت من الاستيلاء على أبشي العاصمة الوداوية، وتغرق أتباع السلطان محمد صالح دود مرة شنر منر. وهرب هو بجلده تلقاء الشرق(19). لا يخفى على دارس للتاريخ أو ملم بأخبار البشر والأحداث التاريخية من أن حدوث اشتباكات دامية وغزو أجنبي لبلد آمن أو لأي بلد كان وفي أي زمان وتحت أي ظرف فإنه يقتضي حدوث حركة هجرة واسعة نحو المناطق الآمنة والبلاد المجاورة. ولعل هذه واحدة من المشاكل التي خلفها الاستعمار الأوروبي الغربي لتظل قنابل موقوتة في كل أفريقيا وبدون استثناء، ليجد حين حدوثها وبسببها مجالاً لحشر أنفه متى شاء وكيف شاء وبالطريقة التي يشاء في تقرير مصائر هذه المنطقة أو تلك.

- دارفور والأمن والاستقرار التشادي:

كان السلطان الشهيد على دينار على الجبهة الدارفورية يرقب التقدم الفرنسي بعين الحذر والريبة. وقد تزايدت مخاوفه لا سيما بعد وصول القوات الفرنسية قرب العاصمة أبشي وهجرة أعداد كبيرة من مواطني تشاد إلى دارفور أي هاجروا إلى بني عمومتهم وخؤولتهم هرباً من جحيم الحرب، وهي مسألة طبيعية. وهي ذات مشكلة اليوم ما إن يحدث عدم استقرار سياسي في تشاد كما حدث في ستينيات القرن العشرين وكما حدث خلال الصراع بين الرئيس التشادي (حسين حبري) ومنافسه الرئيس عويدي جوكوني حتى اصطلى السودان بنار هذه الصراعات الدموية التي دارت بين جبهات التحرير التشادي المختلفة التي تشققت وتجزأت وتقتت وفقاً لتوجيهاتها وانتماءاتها الفكرية وولاءاتها الخارجية، فدفع السودان ثمناً غالياً نتيجة لذلك. وكذا ما يجري الان وبالتالي فإن النتيجة كل ما يحدث في تشاد يؤثر في السودان سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأمنياً وتفاقياً وأخلاقياً والعكس هو الصحيح. كما يحدث الآن

⁽¹⁹⁾ A.B .Theobald. op. cit. pp.62-63.

وبالتالى تثور المشاكل بين البلدين. ولا شك أن أي هجرة من هذا النوع وفي مثل هذه الظروف لها عواقبها الوخيمة على البلد المستضيف. وقد حصل السلطان الشهيد على دينار على معلومات في غاية الدقة عما يجري على الجبهة الوداوية الفرنسية. وقد أفاد الحكومة الثنائية البريطانية بذلك في سنة 1906م(20). مما يدل على متابعته للأحداث واهتمامه الزائد بوداي باعتبارها ظهيراً أمنياً هاماً. وشعوره بأن ذلك سيؤثر على سياساته الخارجية وعلاقاته التجارية بوداي وعلى أمنه الداخلي الاجتماعي والسسياسي والاقتصادي. لأنه من المعلوم في مثل هذه الظروف يمكن أن يحدث انفسلات أمنسي وانفراط لعقد الأمن الاجتماعي والأخلاقي.إذ يحدث استغلال بشع في مثل هذه الظروف من قبل ذوى النفوس المريضة والمنظمات ذات الأهداف والأجندة الخفية لحاجة هؤلاء الفارين وأولئك الفارات بصورة تنافى المعايير الأخلاقية والإنسانية من ذوي النفوس الضعيفة والدول الاستكبارية ذات الأطماع الاستعمارية في هذه المنطقة أو تلك. وهذا عين ما حدث بالفعل – وعلى مرأى ومشهد من العالم الذي يدعى الحريــة والمدافعــة عن حقوق الإنسان - في العراق وقبلاً في أفغانستان في نهايسات القسران الماضسي وبدايات القرن الحالى من تجارة بلحوم البشر الناعمة من أجل الحصول على دريهمات معدودة حيث أضحت الماجدات العراقيات وقبلهن الماجدات الأفغانيات يبعن ويسشترين بأبخس الأثمان في سوق النخاسة الجنسية البهيمية الدولية نتيجة الغزو الصهيوم سيحي الأمريكي البريطاني وحلفاء أمريكا من شذاذ الآفاق الأوروبيين لهذين الثغرين والمعقلين الإسلاميين والعربيين والعالم كله بما فيه العالم الإسلامي والعربي يضع يده على خاصرته يخاصر ويغازل أمريكا وحليفاتها في مظهر مومس داعرة فاجرة لا تخجل ولا تستحى. ويتفرج وكأن الأمر لا يعنيه من قريب أو بعيد، هذا الغزو الآثم الغادر لهاتين الدولتين المسلمتين دون وجه حق وبدعاوى كاذبة من قبل قوة استبدادية غاشمة فاجرة في خصومتها وفي أهدافها واستراتيجياتها لا يسندها منطق كذبوها همم قبل غيرهم. حيث تكفى تصريحات مدير الاستخبارات الأمريكي (تنت) الذي أكد بأن المعلومات التي أدلى بها (كولن باول) أمام مجلس الأمن الدولي قبيل غرو العراق

⁽²⁰⁾ السلطان إلى سلاطين 2/25–26/3/26محرم سنة 1324هـ S.N.A. INTELL 7/1/8

وعلى مشهد ومرأى من العالم كله والتي برر بها ضرورة غزو العراق أنها كانت معلومات كانبة (21)، والمسلمون والعرب في حالة وهن وضعف يتفرجون مغلوبون على أمرهم تحت مظلة أنظمة جبانة رعديدة لا تملك الشجاعة لتقول لـــ : (ماما) أمريكا لا، ناهيك عن أن تشهر في وجهها سلاحاً أو أن ترفع صوتاً. أو أن تبدي مجرد امتعاض أو أن تقوم بمهمة أضعف الإيمان ألا وهو الإنكار القلبي.

وبسقوط السلطة المحلية الموالية له نلاحظ أن السلطان الشهيد على دينار فكر في توسعة رقعة مملكته غرباً لتكوين حزام أمني يحمي به حدوده الغربية حينما رأى خطراً أجنبياً أراد نهب البلاد وأهلها في غفلة متناحرون. فقام بهجوم على قبائل المحاميد (22) التي تقطن وداي وقبض من أبلهم الكثير. فقتل منهم خلقا كثيراً وقبض على جزء آخر منهم. وكأنه أراد بذلك أخذ حظه من غنائم وداي حماية لمصالحه الحيوية وتأميناً لجبهته الغربية. وكأنه أراد بذلك تأديب الجزء المقيم منهم بدارفور بأسلوب (إياك أعنى واسمعي يا جارة).

وفي المقابل قام السلطان في وداي باتخاذ إجراءات صارمة منتهاها القتل لكل من يقوم بزيارة الفاشر كردة فعل لحملة السلطان على دينار ضد المحاميد (23).

يعكس ذلك أن السلطان الوداوي الحالي لم يكن على وفاق مع سلطان دارفور لأنه جاء بعد خلع السلطان احمد الغزالي مباشرة الذي رشحه السلطان علي دينار سنة 1902م. وأضحت قبيلة المحاميد نتيجة لما حدث لها من قبل سلطان دارفور تشكل الدرع الواقي للسلطان الجديد في وداي. وقبيلة المحاميد هي قبيلة مشتركة بين السودان وتشاد ومالي والنيجر ولها امتداد في ليبيا. وهذه القبائل والاتنيات المشتركة تعتبر مهدد أمنى ومحدداً سميكاً للسياسة الخارجية للسودان وتشاد وليبيا ومالي والنيجر في

⁽²¹⁾ اذاعة لندن BBC الجمعة الموافق 2007/4/27م الساعة 8,30 مساءً.

⁽²²⁾ هي إحدى القبائل العربية (الابالة) المشتركة بين كل من السودان وتشاد والنيجر وليبيا ومالي. وهذا الاشتراك في حد ذاته يشكل أكبر مهدد.أمني ومحدد خطير ومؤطر اسياسة السودان الخارجية في الماضي والحاضر والمستقبل وهذا ما سنتناوله في كتابنا تحت الطبع (السودان ومهدداته الامنية ومحددات سياسته الخارجية في التاريخ الحديث والمعاصر).

الماضي والحاضر والمستقبل إذ تشكل قاسماً مشتركاً بين هذه الدول الخمس وكانت ولا تزال وستظل هي ذات المشكلة الأمنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعلقة بين هذه الدول، وتشكل القنبلة الموقوتة فلا تنزع فتيلتها الا باتفاق وتكامل وتعاون مشترك بين هذه الدول مجتمعة إذا ما ارتقت فيها الحاسة الوطنية إلى مستوى المسؤولية التاريخية.

وفي مستهل سنة 1906م جاءت شكوى من السلطان الشهيد علي دينار تقيد قدوم بعض الأعراب الذين يدعون (المغاربة) من الغرب نتيجة للحملات الفرنسية عليهم، وتخريب ديارهم فاخترقوا حدود دارفور (24). لربما كان يعني بذلك قبيلة المحاميد العربية، لأنه من المعلوم وكما أسلفنا تاريخيا وعرقيا فإن المحاميد هم مسن القبائل المشتركة بين كل من السودان في (دارفور) والنيجر ومالي ووداي (تشاد) وليبيا. وحركتهم كانت ولا تزال وستظل حركة تلقائية لا تقف دونها الحدود السياسية والجغرافية والاحتياطات الأمنية المصطنعة، وهي في ذات الوقت تعتبر مهددا للاستقرار في كل واحدة من هذه الدول المذكورة أعلاه. ولابد من التسسيق الأمني والسياسي والاقتصادي والأجتماعي لتخفيف آثار هذه الأخطار المترتبة على هذا الاشتراك العرقي والأثني والثقافي والاجتماعي بين هذه الدول المشار إليها وتأمين حركتها في ظل أطر قانونية متفق عليها.

وبنهاية سنة 1907م نصب الفرنسيون عميلهم عسيل على وداي (تشاد الحالية) بعد إطلاق سراحه ليكون سلطاناً على وداي ويبدو أن اعتقاله كان القصد منه عملية غسيل دماغ حتى تلين قناعته ويسلس قياده ويقوم بدور كرزاي أفغانستان او علوي العراق في نهاية القرن الحادي والعشرين وهذا في حد ذاته أسلوب أوروبي أمريكي قديم حديث. فكثير من القيادات في العالم الإسلامي والعربي والأفريقي تم تدجينها بهذا الأسلوب الإرهابي البغيض ويطلق سراحها بعد أن تبصم بالخمسة والاثنين على أهداف واستراتيجيات الغرب في المنطقة المعنية. وكانت أقصى نقاط الفرنسيين الحدودية في

⁽²⁴⁾ السلطان إلى سلاطين فبراير سنة 1906م (محرم1324هـ) S.N.A INTELL7/1/8

——— الفصل الخامس - علاقات السلطان الشهيد على دينار بوداى

أتيا (125) ميلاً شرقاً، وعلى بعد (100) ميلاً من أبشي العاصمة، واستدعوا السلطان محمد صالح دود مرة لعقد اتفاق معه إلا أنه أجاب بشن غارة يرد بها تقدم الفرنــسيون فيما بعد.

وبالرغم من عداء السلطان الشهيد علي دينار للسلطان محمد صالح لدود مرة إلا أنه كان مهتماً بأخبار وداى والفرنسيين اهتماماً بالغاً لأنه كان على دراية تامة بأن مسار الأحداث في تشاد يؤثر سلباً أو إيجاباً على مسارها في دارفور. جاء ذلك الفهم الواعي في خطاب بعث به إلي الحكومة الثنائية البريطانية ورد فيه: (وأما أحوال البرقو ما زالوا للآن متقابلين مع فرنسا ولهم مدة طويلة في محلهم وفرنسا في محلهم ولم ينتجوا نتيجة) (25). والبرقو يعني بهم التشاديين وان كانوا يشكلون إحدى الاثنيات التشادية المشتركة بين تشاد ودارفور والسودان عموماً كما سبق وأن أوضحنا في غير مناسبة في ثنايا هذا الكتاب.

في هذا الأثناء دارت معارك بين كل من قوات دارفور والوداويين مما يدل على قصر وجهة النظر الوداوية. حيث كان يتوجب في مثل هذه الظروف الحرجة من تاريخ المنطقة توحيد الجهود وبناء جسور الثقة والتكامل والتعاون، والاتحاد مع القوى المجاورة بدلاً من مصارعتها وتشتيت جهودها وإتاحة الفرصة أمام المحتل المستعمر الذي تبنى سياسته على مبدأ فرق تسد. أو مبدأ (المديدة حرقتني) على حسب المثل السوداني الشائع وإشعال نار الفتة والفرقة بين أبناء البلد الواحد.

يبدو أن هذا الاعتداء كان قد حدث ابتداء من قبل وداي دون وجه حق حيث هدأ المفتش كعادته من ثائرة السلطان الشهيد على دينار بقوله: (أن ما علمته من المحاربة التي حصلت بينكم وبين دار برجو (برقو) قد كدرني كثير مع علمي أن الذنب عليهم والغلط حصل منهم. ولكنني اعتقد أن خير وسيلة هو أن تسمعي لعقد الصلح مع دار برجو (برقو) لاسيما أني علمت أن السلطان محمد صالح (دود مرة) ينتسب إليك من جهة والدتك (26). يبدو أن الحكومة الثنائية البريطانية لم تكن من أولوياتها في

⁽²⁵⁾ السلطان إلى سلاطين فبراير سنة 1908 (18 نو القعدة سنة 1326هــ). S.N.A INTELL 7/1/8 (25) سلاطين إلى السلطان في مارس/ أبريل سنة 1908م (26)

الوقت الراهن تحديد الحدود بين دارفور وتشاد أو استقرار الأحوال في تلك الجهات. ولعلها كانت ترمي بقصد إلى التغافل عن هذه النزاعات التي غايتها إضعاف قوة البلدين الأمر الذي يسهل مهمة الوجود الأوروبي في المنطقة.

كما تلقي هذه الإشارة الواردة في خطاب سلاطين باشا السضوء على الرابطة العرقية بين السلطانيين الوداوي والدارفوري. وتعمل في مجال تزهيد السلطان في تجاوز حدوده وتدعوه إلى كفكفة أطماعه التوسعية والتي قد تتعارض مع الاتفاقية الإنكليزية الفرنسية. ولقد قام الوداويون بهذا العدوان في الوقت الذي كان فيه السلطان الشهيد على دينار يسعى لتوحيد الجبهة الدارفورية الوداوية والإقليمية ضد الغراة الفرنسيين. حيث سبق له أن أرسل في بداية العام الحالي وفدا إلى طرابلس بغية توسيط القيادة السنوسية ذات الأثر القوي والسلطة الروحية في تشاد في الحرب الدائرة بين سلطان وداي ودارفور. وطالب بتوحيد جهودهما ضد المسيحيين الإنكليز والفرنسيين (27). هذه المحاولة ترينا بعد نظر السلطان الشهيد على دينار وإدراكه لمجريات الأحداث في المنطقة. ومحاولته الجادة للتخلص من ربقة النفوذ الأجنبي في كل المجهات بذات الاندفاع والقوة ويدافع عن وطنه وأمته بصدق وإخلاص بيد أن هذه المساعي الدارفورية لم تؤت ثمارها حيث تم إغلاق الطريق التجاري بين كل من المساعي الدارفورية لم تؤت ثمارها حيث تم إغلاق الطريق التجاري بين كل من

ومنذ أن وطئت أقدام الفرنسيين وداي بدأت شكوك السلطان الشهيد على دينار تزداد في نوايا الفرنسيين واستراتيجياتهم تجاه حدوده (29). ويبدو أن سوء المواصلات والاتصالات خلال تلك الفترة قد حالت دون تكوين حلف قوى وفاعل مع القوى المحلية والإقليمية ضد الوجود الأجنبي في البلاد بشقيه الإنكليزي والفرنسي.

⁽²⁷⁾ S.I.K 165/7/Feb. 1908.

⁽²⁸⁾ S.I.R 179/4 June 1908.

⁽²⁹⁾ S.I.R 189/7 April 1909.

• المبحث الثالث:-

الفرنسيون يستولون على العاصمة التشادية ابشي

وفي مايو سنة 1909م تم استيلاء الفرنسيين على أبشى العاصمة الوداوية بعد معركتين حاميتين بين الفرنسيين ومحمد صالح دود مرة (30). بعدها اتجه مرة أخــرى محمد صالح دود مرة تلقاء دار مساليت (31). ومنذ الوهلة الأولى لىم يكن موقف الفرنسيين بعد احتلالهم لوداي واضحا تجاه حدود دارفور. ولكنهم مما يبدو كانوا يتحينون الفرص المناسبة لاهتبالها وقد وجدوا مبررا قويا بدخول محمد صالح دود مرة إلى دار مساليت التابعة لسلطان دارفور حيث أدعوا ملكية وأيلولسة دار تاما ودار مساليت لوداي الأمر الذي أدى إلى حدة في الخطاب بين الطرفين أي بين السلطان الشهيد على دينار والفرنسيين (32) من طرف آخر. والادعاء وقلب الحقائق ليس بغريب على الأوروبيين في تاريخهم الطويل القديم والحديث والمعاصر سواء على المستوى الرسمى أم الشعبى أم الإعلامي، فهم متخصصون في تجيير حقائق التاريخ وتزويرها بما يخدم مصالحهم وان كان لدينا مغفلون من أكاديميين ومثقفين يعتقدون في قيادية ومنهجية ومصداقية التوجه الأوروبي والأمريكي. فأول تزوير يكمن في تسمية الحربين الكبريتين اللذان دار رحاهما في بداية ومنتصف القسرن العسشرين بسالحرب العالمية. وثانيهما بعد أن تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية الصفوف وأصبحت فسي المقدمة في نهايات القرن العشرين أسمت تحالفاً أوروبياً ضد أفغانسستان والعراق بالتحالف الدولي. ولعل أكبر أكذوبة ما يسمى بهيئة الأمم المتحدة وهي هيئة الأمه المتنافرة والمستغلة. ومجلس الأمن الدولي وهو مجلس الأمن الأمريكي البريطاني

⁽³⁰⁾ A.B. Theobald. op. cit. pp. 63. المساليت هم قبيلة شبه عربية وهي قبيلة مشتركة بين كل من السودان وتشاد وليبيا. ويعتقد انهم وفدوا إلى السودان من ليبيا من مسلاتة. ولهم سلطنة قديمة تابعة لسلطنة دارفور تبعية ادارية وظلوا محتفظين بهذه التقاليد السلطانية إلى الأن. ومن عائلة سلطان المساليت دكتور حسن تاج الدين عضو مجلس السيادة في الديمقراطية الثالثة وكان من قيادات حزب الأمة والان هو مستشار رئيس الجمهورية في حكومة الانقاذ، وابناء عمومته دكتورة نجوى بحر الدين الاستاذة بكلية التجارة – جامعة النيلين – قسم المحاسبة وابنة أخت الدكتور التجاني مصطفى عميد كلية التجارة الاسبق وعضو المجلس الوطني الحالي 2007م لأن امها من الزغاوة.

الروسي الفرنسي الصيني والدول الباقية لا تعدو عن كونها مساحيق وديكور لا غير. لأن القرار حسب نص قانون هذا المجلس في يد خمس دول وبيدها وحدها حق النقض وبعد سقوط الاتحاد السوفياتي أصبح هذا المجلس ألعوبة في يد الولايات المتحدة الأمريكية دون منازع.

بعد احتلال الفرنسيين مباشرة لأبشى أصبحوا محاطين بأعدائهم من كل الجهات في شبه دائرة. من الشمال السنوسية في أندي. وهناك السلطنات شبه المستقلة في الشرق قمر وتاما ومساليت وسيلا. ودارفور التي هي أقــوى هذه السلطــنات شكيمةً وتتظيماً شرقاً. وفي الجنوب محمد السنوسي ومعه ما بين (3000) إلى (4000) جندي مسلح. هذا بالإضافة إلى السلطان المخلوع محمد صالح دود مرة والذي تجمع حوله عدد من المواطنين دفاعاً عن أراضيهم. لقد كان لدى فرنسا في تلك الفترة وفي تلك عدد من المواطنين دفاعاً المنطقة بالذات ما بين خمسمائة إلى ألف جندي سنغالى وهذه مسسألة ملفتة للنظر وتحتاج إلى قدر من التأمل حيث نلاحظ أن الاستعمار الغربي سواء أكان الأوروبي الغربي أم الأمريكي أم الروسي في فترة من الزمان قديماً وحديثاً في تتفيذ استراتيجياته وتحقيق أهدافه لا يقدم أبناءه للمخاطرة وإنما يحتمى بأبناء البلاد من المغلوبين على أمرهم ومن العملاء الرخيصين، وهذا ما حدث في الماضي وما حدث في الحاضر في كل من أفغانستان والعراق وعدد من الدول الأفريقية والعربية والإسلامية حيث نلاحظ أن وقود فتيلة الحرب الآن في كل من أفغانستان والعراق هم من المهاجرين اللهين يطلبون الحصول على البطاقة الأمريكية الخضراء وهم الآن يموتون بعشرات الالاف ذلك لضعف دولهم ولهوانها لا تسأل عنهم. وتفعل أمريكا ذلك لأن موت جندي أمريكي واحد يكلف أمريكا الكثير. ولكن بالرغم من ذلك فقد تمكن الفرنسيون من احتلال كل المنطقة التي تشملها وداي. بعدئذ أصدر الفرنسيون أمراً بتسليم كل الأسلحة التي لدي المواطنين في يوليو سنة 1909م. وبعد شهرين فقط من احتلال العاصمة أبشى تحصل الفرنسيون على (3500) بندقية من المواطنين. مما يعنى عدم وجود خطه حربية رصينة ووجود قيادة عسكرية نافذة ذات نظرة إستراتيجية وخطة عسكرية محكمة. إذ لو توفر قدر من التخطيط والتعاون بين القوى المحلية الموجودة لما تمكن الفرنسيون من البقاء والاستمرار إطلاقاً في هذه المنطقة ولحدث تهديد للوجــود الإنجليــزي فـــي الشرق بيد أن ضيق النظر وقصره حال دون ذلك.

وفي الوقت ذاته تحركت فرقة صغيرة من الجيش الفرنسي شمالاً وشرقاً وجنوباً. وفي أكتوبر سنة 1909 طالب الفرنسيون بدار تاما وسيلا وقمر والتي كانست ضمن الحدود المتنازع عليها بين وداي ودارفور (33) بعد أن علم السلطان الشهيد علي دينسار بالأمر بعث بخطاب إلى السلطان محمد صالح دود مرة بغية إيوائه وتوفير المناخ الملائم له في الفاشر واعلم الحكومة الثنائية البريطانية بهذه الخطوة (34).

ونتيجة لهذا الإدعاء والتدخل الفرنسي السافر في أرض يعتبرها السلطان السشهيد على دينار ضمن حدوده التاريخية وإرثه التاريخي والوطني والقومي والديني، احتج احتجاجاً شديد اللهجة لدى الحكومة الثنائية البريطانية باعتبارها شريكاً في كل ما يحدث ومدعية الحماية لحدوده أمام العالم في المحافل الدولية. وأوضح موقفه تجاه هذا الاعتداء بقوله: (إن جميع حدود دارفور التي ملكوها آبائي وأجدادي ما دمت حيا في الدنيا لا نتركها لدولة فرنسا إلا أن نكون ميتا ولا نبالي في مدافعتهم ما دام أنهم جاوزوا الحدود وتعدوا علينا نحاربوهم إن شاء الله ولو أننا نكملوا عن آخرنا)(35). وفي هذا الخطاب وجه السلطان الشهيد على دينار أول تهديد ضمني للحكومة الثنائية البريطانية من باب إياك أعني واسمعي يا جارة. فلنن كان لا يسمح للفرنسيين باقتطاع شبر واحد من ارض مملكة آبائه وأجداده فإنه وفي مواجهة بريطانيا لا يكون أقل من ذلك حدة أو إصراراً وعناداً ومقاومة.

ومن زاوية أخرى يعتبر هذا أول احتجاج رسمي يصدر عن السلطان بشأن انتهاك حرمة حدوده الغربية. ويؤكد هذا الاحتجاج بهذه اللهجة الحادة على إستراتيجية مؤداها انه يعتقد أن دارفور هي ملك له ورثها عن آبائه وأجداده وان وجوده على رأس الأمر في دارفور هو حق تاريخي وإرث طبيعي فلم يكن نتيجة منة أو منحة من جهة أو من

⁽³³⁾ A.B. Theobald. Op. cit. pp. 81-82.

⁽³⁴⁾ السلطان إلى المفتش في يوليو سنة 1909م (21جمادي الأولى سنة 1327هــ) S.N.A INTEL 7/1/1 (35) السلطان إلى سلاطين (1327هــ) (1909م)

أحد. لذا يستحيل عليه أن يتنازل عن شبر واحد من دارفور لأي سبب من الأسباب ومهما كانت الظروف، ويؤكد ذلك بما لا يدع مجالاً للشك أنه على استعداد تام للدفاع عن كل شبر من أرض دارفور حتى آخر رمق من حياته دون هوادة.

لربما هذا الاعتداء هو الذي جعل السلطان يعرض عن أي نوع من أنواع التعاون بينه وبين السلطان الوداوي العميل الجديد الذي نصبه الفرنسيون. فلم يستحب السلطان الشهيد علي دينار للنداء بفتح الطريق بين الفاشر وأبشي من قبل الحكم التناتي البريطاني. بل قام برد فعل معاكس ألا وهو التعاون مع السلطان المخلوع والتلويح له بإعطائه الأمان إن قدم الفاشر (36). مما يعني تعارض المصالح بين الفريقين التنائي البريطاني والدارفوري.

• المبحث الرابع:-

بدء الاعتداءات الفرنسية على حدود دارفور

كان السلطان الشهيد على دينار يأمل في عون الحكومة الثنائية البريطانية لإيقاف المد الفرنسي داخل حدوده أو لربما أراد إحراجها وفضح أمرها. حيث كتب خطاباً بهذا الصدد في27 أكتوبر سنة 1909م يفيد بأن الفرنسيين قد احتلوا دار تاما وهي ضما حدوده التاريخية والإدارية. ويعد ذلك انتهاكاً واضحاً لحدود دارفور (37). ولعمل مما خفي على السلطان الشهيد على دينار أن العلاقات بين المدولتين (انجلترا وفرنسا) تحكمها معاهدات ومواثيق ومصالح مشتركة ومؤتمرات دولية تم فيها تحديد مناطق النفوذ لكل منهما بعيداً عن إرادة أهل الحق التاريخي في المنطقة. ذلك لأن الرجل الابيض درج على الغاء إنسانية الآخر من قاموسه ففي أي قارة ذهب اليها ألغي وجود الآخر وتصرف باعتباره السيد الأوحد في وطن غيره، ومبعوث العناية الالهيهة السي لا يرد له امر أو قضاء أو إرادة. هذا رغماً عن أطروحات الغرب التي تصم الآذان بصدد الحقوق المدنية والديمقراطية، ودعوى تقرير المصير. ولكن كلها تتبخر وتصبح

⁽³⁶⁾ S.I.R 182/4- 5. Sep . 1909.

⁽³⁷⁾ A.B.theobald . op. cit. pp. 92.

------ الفصل الخامس - علاقات السلطان الشهيد على دينار بوداى

بالونات فارغة المحتوى على محك تجربة الواقع والتعاطي معه. حتى أضحى لا ينعق بأطروحاته وينخدع إلا غبي بليد لا يحسن التعاطي مع مفردات الواقع من السياسيين والأكاديميين الفاشلين والعملاء الذين باعوا ضمائرهم في سبيل خدمة أهداف أعداء الأمة الصهيومسيحيين الجدد .

ولم يقف السلطان الدارفوري عند حد الأمل المعقود، وإنما أراد إلـزام الحكومـة الثنائية البريطانية الحجة بأن حدود دارفور معروفة لدى سلاطين باشا. وقد ورد ذلك في قوله: (إن حدود دارفور معلومة عندكم من حالتها الابتدي ولغاية ما صارت بيـد الحكومة المصرية ولا يخفى عليكم من حدودها شيء وإذا نحن في تلـك المـداولات ندافع عنها إلي أن عودها الله في حيازتنا بحماية الحكومـة العليـة. والآن الفرانـسية جاوزوا الحدود ودخلوا بدار تاما حازوها الآن مقيمين فيها وأنها من أصل حدودنا ... وإصدار الأوامر ... لأن تكف يدها عن بلادنا بحسب القوانين الجاري بها العمل بـين الدول وأن لم يكن بين الحكومة ودولة فرنسا قانون يردها ... أفيدونا نتوكلوا على الله وندافع عن أنفسنا)(38). كأنه أراد بذلك القرار الحاسم والموقف الرجولي البطـولي أن يقذف بالكرة في ملعب الحكومة البريطانية وأن يلزمها الحجة بـأن حـدود دارفـور الغربية معلومة لدى الحكومة الانجليزية.

وفي 1909/12/21م جاءه تأكيد من قبل نائب المخابرات الثنائية البريطانية يطمئنه بأن لا يخشى شيئا ما دام مخلصا للحكومة الإنكليزية المصرية وهذا نصه.

(with regards to the aggression of the French Government on your frontier, you need never be afraid of this as you are loyal to the Anglo Egyptian Government).

(وبالنظر إلى عدوان الحكومة الفرنسية على حدودكم فينبغي ألا تتخوف منها أبدأ مادمت مخلصاً للحكومة الإنكليزية المصرية) (39). يمكن القول بأن الحكومة الثنائيسة البريطانية قد بدأت في استصدار المهدئات الضرورية واللازمة وفقاً لظروف السلطان

(39) نائب مدير المخابرات إلى السلطان S.N.A INTELL 7/1/1188

⁽³⁸⁾ السلطان إلى المفتش في نوفمبر سنة 1909م (13شوال سنة 1327هـ).

الحالية وأرادت وأرادت في ذات الوقت أن تنتهز الفرصة وأن تصطاد في الماء العكر وأن تضرب عصفورين بحجر في آن واحد، والتلويح له بقدرتها على كبح جماح الفرنسيين. أما ربطها ذلك العمل بمدى إخلاصه لها كان أمراً مقصوداً في حد ذات. لإشعاره بأن مناصرته ضد الفرنسيين مرهونة بإخلاصه للحكومة الثنائية البريطانية حتى تحافظ عليه ولو إسمياً. وهي بهذا تريد أن تؤكد على أن دارفور تابعة لها وتريد في ذات الوقت أن تجد لها حجة قانونية وأن تثبت لنفسها شرعية أمام الدول الأوروبية عن طريقها يتم إقناع المؤتمر الدولي المزمع عقده بشأن دارفور بتبعية السلطان على دينار لها بصورة أو أخرى.

• المبحث الخامس:-

هزيمة الفرنسيين ومقتل قائدهم في بئر الطويل

أما على صعيد الجبهة الفرنسية فقد قامت حملة استطلاع فرنسية في 1910/1/6 دخلت حدود دار مساليت. وهي منطقة تابعة لدارفور بيد أنها واجهت نهاية مرة حيث قتل قائد الفرقة الفرنسية في بئر الطويل. وأصبح وضع أبشي السياسي والأمني مهداً للفراغ الذي خلفه القائد الفرنسي الذي قتل أثناء اعتدائه على أراضي دارفور. وسرعان ما تم اختيار قائد جديد هو مول (Moll) بدلا من سالفه Fiegenchuh وفي تقديري لو أحسن القادة المحليون يومها التوقيت واستثمروا الزمن لصالحهم لأحنثوا خللاً في الوجود الفرنسي في المنطقة.

في هذا الأثناء قام السلطان الشهيد على دينار بالاتفاق مع السلطان محمد صالح دود مرة وتاج الدين سلطان دار مساليت بغزو دار قمر في يناير سنة 1910م. وقد نجحوا في طرد السلطان العميل الفرنسي إدريس منها (41). الأمر الذي يؤكد على أن أي قدر من التعاون يومئذ لو توفر في تلك الفترة بين القيادات المحلية لأحدث نتائج

⁽⁴⁰⁾ S.N.A INTELL 1/1/2 Major. II. H wade. the Conquest of wadai (1910-1912) the united Service magazine p-641-645.

⁽⁴¹⁾ G.D. Lampen. Op, cit.pp 84 - A.B. Theoblad op. cit.pp. 84.

------- الفصل الخامس - علاقات السلطان الشهيد على دينار بودًاى

مرضية، يمكن أن تتمثل في خلق ثغر لا يمكن رتقه من قبل الوجود الإنجليزي والفرنسي على حد سواء.

وفي فبراير سنة 1910م غزا السلطان الشهيد علي دينار دار المساليت ودار تاما وهرب سلطانها حسين الذي عينه الفرنسيون وتمت استعادت الدارين إلى سلطنة دارفور بيد أن الفرنسيين سرعان ما احتلوا دار تاما مرة أخرى (42). وأستطاع أحد القادة من جيش السلطان - آدم رجال - استعادة السلطنة المحتلة من قبل العدو المعتدي متوغلاً في وداي. وأصبح الفرنسيون على الحدود الغربية في دارفور في وضع لا يحسدون عليه (43). مما يعني أن الأمر أصبح كراً وفراً بين الفريقين الفرنسي وداي والدارفوري الذي تصدى بشجاعة ومسؤولية للدفاع عن حياض بلاده دون تراخ.

• المبحث السادس:-

الفرنسيون يخططون للانتقام من سلطان دارفور

في أكثر من مناسبة ذكرنا أن الأوروبيين دوماً يلوون عنق الحقيقة لـصالحهم ويمكن أن يجيروا الحقائق التاريخية وأن يزوروا الواقع وحقائقه لصالحهم هذه واحدة. أما الملاحظة الثانية فهم لا ينسون ثارهم وان كانوا هم المعتدين أو المحتلين والمغتصبين لأراضي وبلاد الغير. وهذا ما يبدو لنا أكثر في هذه الحالة الواضحة المعالم البينة القسمات. فهم محتلون مغتصبون غادرون. والسلطان الدارفوري يدافع عن أرضه وعرضه وإرثه التاريخي والحضاري في المنطقة، وهم قد قطعوا آلاف الكيلومترات من أجل تشريد المواطنين من ديارهم واحتلال بلادهم واغتصاب سلطانهم وسرقة ثرواتهم في رابعة النهار دون خجل أو استحياء. أما عن تجبير حقائق التاريخ وتزييف الواقع فحدث عن ذلك و لا حرج فالخير يمكن أن يكون شراً والمشر خيراً والحق باطلاً والباطل حقاً والجبان الرعديد بطلاً شجاعاً، والخائن أميناً، والعميل قائداً،

⁽⁴²⁾ A.B.Theobald. op. cit. pp 84.

⁽⁴³⁾ A.B.Theobald. op. cit. pp 84.

والراسب البليد ذكياً وهكذا دواليك أو دواليبك كما قال أحد القادة العسكريين النين حكموا السودان في فترة سابقة. ويسمون الأشياء بغير أسمائها مثال ذلك كما قدمنا (الحرب العالمية)؟ الأولى والثلنية والتحالف الدولى في حسرب العسراق وأفغانسستان أو مجلس الأمن الدولي وهيئة الأمم المتحدة وكلها مسميات لا تدل على الحقيقة وحاول السلطان الشهيد على دينار أن يوفر غطاء أوروبياً في مواجهة اعتداءات فرنسا المتكررة وغير المبررة وان يجس نبض الحكومة الثنائية البريطانية عليها تساعد في ايقاف الاعتداءات الفرنسية على حدوده الغربية إلا أننا نلاحظ أنه رغماً عن استمرارية هذه الاعتداءات فإن تأكيدات الحكومة الثنائية البريطانية للسلطان الشهيد على دينار جاءت بما يلى: (لقد سبق إخطاركم بأن الفرنسيين لا يجرؤون على اختراق حدودكم وإذا ما حاولت أي قبيلة من وداي فعل ذلك فعليكم صدهم سلمياً أو حرباً وإذا طلبت منكم الحكومة الفرنسية عمل شيء أو مكاتبات فعليكم أن تلفتوا نظرهم أن ذلك يتم عن طريق الحاكم العام في الخرطوم ... وأننا لا نسمح وسوف نقف في وجه أيه قوة أجنبية تتصدى لك)(44). فيما يبدو أن الحكومة الثنائية البريطانية كانت عاجزة تماماً عن فعل شيء في مثل هذه الظروف. وكان كل همها يومئذ ينصب على أن تحصل على دليل يدعم حجتها أمام الدول الأوروبية بتبعية دارفور لها إذ لا يهمها في حقيقة الأمر إستمرارية السلطان أو عدمها أو مصلحة شعب دارفور أو عدمه بقدر ما يهمها أن تكسب الجولة الأوروبية لصالحها في مواجهة منافسيها من الأوروبيين في المنطقة كما هو الحال الآن في دارفور والتي يبكي عليها الأوروبيون والأمريكان بدموع التماسيح لا من أجل ناسها أو نار قرءانها التي أطفئت، ولا على أعراضها التي انتهكت، ولا على بنياتها التحتية التي دمرت، ولا على مساجدها وخلاويها التي هدمت، أو الخراب الذي لحق بها ولكن من أجل الاستيلاء عليها واستغلال خيراتها فوق الأرض وتحت الأرض لصالح المشروع الأمريكي الصهيومسيحي في المنطقة بقدر ما كانت بريطانيا في تلك الفترة تهتم بإثبات تبعية دارفور والحصول على برهان وإقرار من السلطان بهذا الأمر.

⁽⁴⁴⁾ سلاطين إلى السلطان في 1910/1/19م

تقول الحكومة الثنائية البريطانية ذلك في الوقت الذي كان فيه (مول) يستعد فيه للانتقام لسالفه من سلطنة دارفور وقيادتها. ومع قوة لهجة الخطاب، وصدى كلماته الحاد، إلا أنه قد احتوى على قدر من عدم الوضوح. ففي الوقت الذي تعلى الحكومة الثنائية البريطانية فيه مسئوليتها التامة عن كل ما يجري على الحدود الغربية، إلا أنها تشجعه لصد غارات القبائل الوداوية. ومعلوم أن هذه القبائل كانت تخصصع للإدارة الفرنسية رأساً وأن حركتها غدت محكومة بالإستراتيجية الفرنسية وبالتالي فان اتخاذ أية إجراءات تأديبية وردعية ضدها يعني تدخلاً فرنسياً في شؤون بلاده وكان هو على وعى تام بهذا الأمر.

وتؤكد هذه الوثيقة من ناحية أخرى وبقراءة لما وراء السطور أن القوى الأوربية في المنطقة لا يأمن بعضها بعضاً. لا سيما وأن السدولتين المعنيتين هما دولتان أوروبيتان استعماريتان متنافستان على (كعكة) أفريقيا اقتضت المصالح وتضاربها اتفاقهما كما حدث في أفغانستان والعراق والسودان.

مرة أخرى قام السلطان الشهيد علي دينار بإعلام الحكومة الثنائية البريطانية بما يجري على الحدود الغربية واختراق الفرنسيين لحدوده تارة أخرى. وأفصح عن عزمه على التوجه لحسم الأمر بنفسه رغماً عن تهدئة سلاطين باشا له وتذكيره إياه بأن الحكومة الثنائية البريطانية سنتولى حل المشكلة بنفسها (45). الأمر الذي يدل على عدم رؤيا واضحة في السياسة الخارجية للحكومة الثنائية البريطانية. ففي الخطاب الأول ذاته نلاحظ أنها فوضته في مواجهة القبائل للوجود الفرنسسي. وفي الخطاب الثاني تحاول كبح جماحه وتعده بأنها ستتولى الأمر بنفسها. الأمر الدي يحسير إلى درجة التردد ولربما نتج هذا التردد نتيجة توزع مناطق اتخاذ القرار بين الخرطوم والقاهرة ولندن.

---- 151

⁽⁴⁵⁾ مساعد المنير المخابرات إلى مدير المخابرات بالقاهرة في 1910/1/19 S.N.A INTEL 1/1/2 -S.N.A. INTEL 7/2/12

في هذا الأثناء بدأت الشكوك تراود السلطان الشهيد علي دينار حول صدق وعود الحكومة الثنائية البريطانية في ردع القوى الفرنسية المعتدية. لذا قام بحسم الأمر هذه المرة بنفسه ودون استشارة من أحد فتمكنت قواته من أن تهزم الفرنسيين في معركة حاسمة في دار مساليت. ولعل ذلك كان أول مارثون أو اختبار حقيقي لقدرات قوات القتالية مع قوى أوروبية. ونقل الخبر إلي مسامع الحكومة الثنائية البريطانية في المكومة الثنائية البريطانية أن الشكوك كانت قوية حول مدى صحة الخبر لدى الحكومة الثنائية البريطانية (عدوة) الثنائية البريطانية (ما أن التجربة الايطالية مع الحبشة وتجرعها لهزيمة (عدوة) الشهيرة في مارس سنة 1896م لا تزال يتردد صداها في أوروبا هذه كلها شواهد وعبر تجعل الحكومة الثنائية البريطانية تتوجس وتعمل ألف حساب لهذه القوة الوطنية الفتية الموجودة بدارفور.

مما لا شك فيه أن هزيمة الفرنسيين في ذلك الوقت ذات مغزى ومدلول هام لابد وأن ينال جل التفكير في الدوائر الثنائية البريطانية على وجه الخصوص. فهزيمة الوطنيين لقوة أوربية أياً كانت هويتها فإن ذلك يعني الكثير لانجئترا لأنه ببساطة يمكن أن يعني إجراء ذات القاعدة على الحكومة الثنائية البريطانية. لا سيما وأن الحكومة الإنجليزية المحتلة لها تجربتها المريرة في السودان من قبل في العهد المهدوي الذي مرق أنفها وسمعتها بالأرض وبالتالي لا يمكن أن تتغافل عنها في الطرح أو التعاطي مع الأحداث المحلية وتحليلها وفق منظور استراتيجي في إطار مفردات تاريخية معاصرة. حيث أنها منيت بالهزيمة على أيد سودانية خالصة ودون عون من جهة أجنبية وبامكانات سودانية متواضعة تعتريها ارادة غلابة وعزيمة ماضية وتوجه ديني أعلى أن التجربة الإيطالية مع الحبشة وتجرع ايطاليا لهزيمة عدوة الشهيرة في مارس سنة 1896م لا تزال يتردد صداها في أوروبا. هذه كلها شواهد وعبر معاضرة تجعل الحكومة الثنائية البريطانية تتريث وتعمل ألف حساب لهذه القوة الوطنية الفتية الموجودة بدارفور.

^{(&}lt;sup>46)</sup> السلطان إلي مفتش غرب كردفان 1910/2/3م محرم سنة 1328هـ. .

^{. (24)} حاكم الأبيض إلى نايب مدير المخابرات في 5/10/2/5م (1910م سنة 1328هـ) . S.N.A. INTELL 7/5/11.

وما أن ذاق الفريقان المنتصران سلطنة دارفور وتابعتها سلطنة مسساليت طعم النصر حتى جرأهما ذلك على تكرار المحاولة حيث نلاحظ انه في مارس سنة 1910م قامت سلطنة المساليت وسلطنة دارفور بغزوة تغلغلت حتى بئر الطويل (48). الأمر الذي يدل على فقدان الثقة في خطوات الحكومة الثنائية البريطانية وعدم الانصياع لأوامرها. وبهذه الخطوات أراد السلطان الشهيد على دينار أن يلقي في روع الحكومة الثنائية البريطانية بأنه قادر على تقرير مصير بلاده بنفسه دون الاعتماد على أي عون خارجي مهما كان مصدره. كما عمد إلى أن يبرهن عملياً على قدرته على الردع لكل معتد على بلاده.

وكانت الحكومة الفرنسية غير جادة في وعودها. الأمر الذي توضحه تأكيداتها للحكومة البريطانية بأنها سوف لا تعتدي أو تخترق حدود السلطان علي دينار. وأنها سوف ترسل تعليماتها بذلك إلى قواتها المرابطة هناك، كما أشار إلى ذلك وزير الخارجية البريطانية بقوله: (لقد وعدت الحكومة الفرنسية بإرسال تعليماتها فوراً تلغرافياً لتفادي أي اشتباك مع على دينار أو اختراق لحدوده. وأكدت لنا بأن هذه التعليمات ستصل مندوبها فوراً (49).

وبناء على هذا أبرق سلاطين باشا السلطان الشهيد على دينار بقوله: (أن حكومة دولة فرنسا قد أصدرت الأوامر المشددة لجيشها الموجود في وداي بأن لا يتعرضوا بوجه من الوجوه على حدود دارفور طالما أنها تابعة لحكومة السودان!! ولهذا السبب فأننا نطلب منكم أن تعطوا الأوامر الشديدة لجنودكم بأن لا يتجاوزوا مطلقا حدود وداي أو يتعدوا عليها (50).

بيد أن الفرنسيين وبالرغم من هذه التأكيدات الــواردة مــنهم للحكومــة الثنائيــة البريطانية والواردة من قبل الحكومة البريطانية إلى الحكومة الفرنسية ومن الأخيــرة إلى السلطان على دينار لم يتنازلوا عن الانتقام من جراء الهزيمة التــي ألحقهـا بهـم

⁽⁴⁸⁾ G.D. Lampen.op .Cit .pp. 199 7/5/11 S.N.A INTELL.7/2/12 S.N.A. INTELL. 7/3/11

⁽⁴⁹⁾ جراي إلى غورست في 1910/3/19م (50) سلاطين إلى السلطان في 1910/3/26م

المساليت وسلطان دارفور حيث قام في السابع من أبريل سنة 1910م القائد الفرنسسي القسيس جوليان بمطاردة جيش سلطنة دارفور (51). مما تجدر ملاحظته أن القيادات الاستعمارية الاحتلالية في أفريقيا عموماً في نهايات القرن التاسع عـشر المـيلادي وبدايات القرن العشرين كانت مسيحية بروتستانتية وانجليكانية فجة متشددة. فهذا قسس فرنسى يقود جيش الاحتلال الفرنسي في تشاد في مطلع القرن العشرين الميلادي ضد أهل البلاد الأصليين وليس في العصور الوسطى الأوروبية، وقبله غوردون فهو متدين إلى القاع بغزو بلداً حراً لأنه حدد اختياره الديني، أما إذا قاد الجيش أو القوات الأفريقية أو العربية أو الآسيوية المسلحة الوطنية متدين يعاب عليه ذلك. فهم يريدوننا أن ننسلخ عن معتقداتنا وأصولنا وتراثنا. فالتدين لنا في نظرهم أمر معيب عندهم. أما تدينهم هم فهو حضارة ومدنية، منطق مقلوب وصورة معكوسة فكيف يسمحون الأنفسهم بما يحرمونه علينا ويعيبوننا به ؟!!! وهذه طبيعة غربية أوروبية قديمة حديثة لأن المتتبع للسياسة الغربية عموما يلاحظ إضطرادها في هذا المجال سواء كانت إنجليزية أم فرنسية أم أمريكية. فإن إنشاء كلية غوردون التي خرجت من رحمها جامعة الخرطوم الحالية عقب سقوط دولة المهدية واستعمار السودان كان محاولة إنجليزية لرد الاعتبار، وكان القصد من إنشاء هذه الكلية إهانة الشعب السوداني الذي قتل غوردون، وكان من المقدر لهذه الكلية بحق أن تصبح فيما بعد مفرخاً لحملة لواء التغريب الثقافي في البلاد. وقد أنشئت بتبرعات سخية من قبل الشعب الإنجليزي بكل فئاته الذي اعتبر فيها رد كرامة مرقها السودانيون بُقتل بطل من أبطال الإمبر اطورية التي لا تغيب عنها الشمس على حسب زعمهم. وهذا الذي اعتبروه بطلاً يومها كان غازياً ومعتدياً غادراً ومحتلاً لبلد آمن ويمكن اعتباره مرتكب جرائم حرب وكان يجب محاكمته دولياً. ولكنه المنطق الغربي الأعور الذي لا يملك معيارية أخلاقية أو إنسانية في تعاطيه مع الواقع إذ يجعل ببساطة وغباء متناه وسذاجة ممجوجة الحق بساطلاً والباطل حقاً. والبطل الحقيقي إرهابياً وخائناً، والخائن لوطنه ودينه والعميسل والغادر والمحتل والغازي بقدرة الآلة الإعلامية الغربية الضخمة، والإعلام الغربي المأجور يمكن أن

⁽⁵¹⁾ G.D. Lampen op. cit. pp. 199.

يصبح هؤلاء جميعاً أبطالاً ومفكرون وقادة عالميون وقوميون ويصوروا زوراً وبهتاناً انه لم تلد حواء لهم مثيلاً ما داموا مغفلين نافعين للغرب وآلات صماء بكماء تخدم ساداتها وكبرائها في الغرب. ولو نظر الناظر إلي تخطيط شوارع الخرطوم في عهد كتشنر يجد أنه قد تم بخبث على منوال العلم البريطاني إمعاناً في الإهانة لهذا الشعب الوفي والأبي الكريم. وعلى صعيد آخر لا يخفي على دارس للتاريخ أن محاولة فرنسا الآن لفرض عقوبات على السودان في عهد الإنقاذ ومطالبتها بمحاكمته لا تخرج عن هذا الإطار باسترداد حق تاريخي مزعوم لها في دارفور وتشاد. ولعلها تريد بناك أن تتكأ جراحاً كان ينبغي عليها في مقابل ما تقوم به الآن أن تعمل على مداواة همذه الجروح وتصحيح العلاقة بين دولتين هما عضوان في مؤسسة يزعم أنها دولية (الامم المتحدة) وتعويض ما أحدثته من خراب في الأرواح والممتلكات وسرقته هي وبريطانيا من خيرات هذه المنطقة.

• المبحث السابع:-

الـسلطان الـشهيد علـي دينـار يعلـن الجهـاد في وجـه الغـزو الفرنسي لبلاده

وقام السلطان الشهيد على دينار بتوجيه خطاب إلى جميع الأمراء والقادة في حدود دارفور يحثهم فيه على الجهاد في سبيل الله والقيام بامر الله وإعالاء كلمت وسحق أعدائه الكفرة المشركين من الفرنسيين مذكرا إياهم بآية التوبة: (أن إلله الشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ... الآية (111) وأورد طاتفة أخرى من آيات الله التي تحث على الجهاد (52). الأمر الذي يؤكد على أن مستنده ديني بالدرجة الأولى في مقاومته الوطنية الأولى في السبلاد ونتيجة لذلك التوجه الديني القاصد عزم الاستعمار على قطع دابره وتسفويه سمعته وتشتيت نريته من أولاد صلبه وأحفاده وفرض عليهم ظروفاً اقتصادية وثقافية

⁽⁵²⁾ السلطان إلى جميع القادة والأمراء والملوك ورؤساء المية تحت قيادة آدم رجال في 1910/4/17 (7ربيع الأخر سنة 1328هــ) S.N.A. INTELL 2/3/12

واجتماعية صعبة وشتت شملهم بين أجزاء كثيرة من السودان ما بين الفاشر وكردفان والخرطوم وأم درمان وشمال السودان. ولئلا تقوم بعدئذ لهم قائمة فقد فرض عليهم الجهل وعدم التعليم والاستيغاب في مؤسساته. وبالتالي فإن آثار السلطان الشهيد أضحت موزعة بين متاحف انجلترا وتركته لم يعثر لها على أثر إلا ما سمح به الاستعمار من وثائق ومكاتبات وفق هواه.

هذا في الوقت الذي كان يتسلم فيه السلطان خطابات متتابعة من قبل الإدارة البريطانية بغية تهدئته ونصحه للتحلي بالصبر (53). ويعكس هذا الخطاب بمحتويات روحه الإسلامية الواضحة. ويؤكد هذا الموقف الشجاع على إصراره على المقاومة بأي ثمن، واستعداده التام في مجال تحمل مسؤوليته التاريخية والدفاع عن وطنه وشعبه وأمته مهما كلفه ذلك من جهد ووقت ومنصب.

وفي أبريل من ذات العام حدثت مواجهة أخرى بين القوات الدارفورية والفرنسية انتصرت فيها القوات الفرنسية وجرح في هذه المعركة قائد السلطان الشهيد آدم رجال.

وبرر الفرنسيون هجومهم هذه المرة بأنهم قد عثروا على خطابات تشتمل على خطة مركزة بين سلطان دارفور والمساليت والقائد محمد صالح دود مرة والسنوسية للقيام بهجوم موحد على الفرنسيين. بيد أن هذا التحالف بعد هذا الهجوم الفرنسي أرجع السلطانين المواليين للفرنسيين إدريس وحسن إلى كل من دار قمر وتاما على الترتيب. ومن خلال هذا الهجوم احتل الفرنسيون كثيراً مما فقدوه على الأرض وتقهقرت قوات دارفور عن مواقعها المتقدمة. ولجأ محمد صالح دود مرة إلى سلطان المساليت تاج الدين.

ونتيجة للأمطار توقفت المناوشات بين الفريقين حتى سبتمبر حيث وصلت الإمدادات الفرنسية الجديدة داعمة الاحتلال والاعتداءات المتكررة على حدود دارفور الغربية. فقام الفرنسيون بحملة تأديبية ضد سلطان المساليت. هزم الفرنسيون فيها شر

⁽⁵³⁾ استاك إلى الحاكم العام في كيونيو سنة 1910م

هزيمة (54). ولا شك أن هذه الهزائم المتكررة التي لحقت بالفرنسيين قد حفزت السلطان الشهيد علي دينار وجرأته ضد الأوروبيين سواء أكانوا إنجليزا أو فرنسيين. وهذه الهزائم في حد ذاتها تشكل مؤشراً على أن الرجل الأفريقي يملك القدرة والتخطيط والاتزان والفاعلية والتكتيك بصورة قد تفوق رصيفة الأوروبي لو توفرت له ذات الإمكانات وذات الظروف.

ولعل هذه الهزيمة هي التي أشار إليها السلطان الشهيد على دينار في خطابه التالى بعد أن أفصىح صراحة عن الحدود التي يرى أنها ضمن سلطنة دارفور بقوله: (فأما من جهة الحدود التي بين دارفور ودار وداي فهي الحاجز المسشهور بالترجه الكاين بغرب دار تاما ودار مساليت الموجود الآن الذي لا يزال واضحا جليا وكان تجاوزها العسكر الفرنساوية ودخلوا بالحدود وحضروا بدار تاما وتطاولوا لغايسة مسا وصلوا بدار قمر وخربوا الدار خراب شديد. وأما عساكرهم الذين دخلــوا بهــم تامـــا البعض منهم قتلوهم مساليت. وباقيهم قتلوهم بدار تاما حين حربهم لجنودنا الذين أرسلناهم لإقامة الحدود. والأخبار الواردة إلينا من جهتهم أنهم صاروا يؤجرون الناس للعسكرية وتجمعوا قصدهم الإعادة ثانيا ونحن مستعدين قصدنا التوجه إليهم بنفسنا وتأخرنا لأجل دخول الخريف (55)). مما لاشك فيه أن الشخصية الدارفورية بنبوغها. القبلى والثقافي فهي شخصية عنيدة متمردة لا تقبل الضيم ومتى استثمرت هذا التنوع العرقي والثقافي وإرثها الحضاري لصالح مشروع كبير يهدف إلى تنمية المنطقبة والدفاع عنها وحمايتها من الاحتراق في محرقة الأجندة الغربية الصهيومسيحية لنجحت في ذلك. ولكن للأسف بدلاً من الاستفادة من هذا التنوع لخلق نوع من التوافق والانسجام فإن الجهات الأجنبية تمكنت من أن تخلق من هذا النتوع قدر من الاختلاف والتنافر السياسي والعرقي والثقافي لخدمة أهدافه الإستراتيجية.

(54) A.B.Theobald. op. cit. pp. 86-88. S.N.A INTELL 7/2/12 (حب سنة 1328هـ) 1910م (رجب سنة 1328هـ) السلطان إلى الحاكم العام في 26يوليو سنة 1910م ولم يخل الخطاب من الإشارة عن قصد إلى الانتصارات التي حققها المساليت على الفرنسيين نكاية بهم، ووردت فيه الإشارة إلى أنه كان يرى أحقيته بهذه الدور لأن هذه الدور هي في الأصل جرء من سلطنة أبائه وأجداده، لذا عزم على تقرير مصيرها بنفسه ورسم حدودها مما أدى إلى اشتباك جنوده مع الفرنسيين. وما كان لينتظر أن يقرر أمرها غيره. لأنه كان يرى أنه السيد الوحيد في هذه المنطقة وأن ملكه لها هو حق تاريخي وأنه المسؤول عن استعادة أملاك أجداده وآبائه وهيبة أمجاده الغابرة.

ولقد ركز الفرنسيون هجومهم على هذه المنطقة بالذات بغية القضاء على السلطان الهارب محمد صالح (دود مرة) وانتقاماً للقائد الذي هزمه المساليت و أودوا بحياته (56). وفي هجمة أخيرة قام بها القائد الفرنسي يصطحبه فيها العميل حسن الجالنجاوي سلطان دار تاما الذي عينته الحكومة الفرنسية مكان السلطان عثمان الطوراوي المعين من قبل السلطان الشهيد على دينار والسلطان إدريس القمراوي بغية رد الاعتبار وتلقين السلطان الشهيد على دينار درساً لا ينساه.

وفي المقابل قام السلطان الشهيد على دينار بإرسال تعزيزات لدار تاما لحماية سلطانها عثمان الطوراوي ضد منافسه العميل حسن الجالنجاوي بيد أنها لم تجد فتيلاً. حيث دارت رحى معركة فاصلة حامية الوطيس بين الفريقين تسم بمقتسضاها دخسول القوات الفرنسية دار تاما ثم مساليت. وأودت تلك المعركة الفاصلة بحياة تاج الدين سلطان دار المساليت وجرح في هذه الهجمات الغادرة السلطان الوداوي محمد صسالح دود مرة في 9 نوفمبر سنة 1910م (57). وبذا فقد السلطان الشهيد على دينار أقوى حليفين له في المنطقة وأضحى في مواجهة مباشرة مع الفرنسيين وعملائهم في المنطقة الغربية. وانكشفت حدوده الغربية أمام تقدم القوات الفرنسية الغازية.

قد يكون مبرر الهجوم الفرنسي هو إيواء السلطان الشهيد على دينار للسلطان محمد صالح دود مرة، وقد يكون التوسيع الاستعماري الاستغلالي وتامين الجبهة

⁽⁵⁶⁾ A.B. Theobald .op.cit.pp 68-88.

[.] أكترير سلاطين عن أوضاع وأحوال دارفور قبل بداية الحكم الثنائي في سنة 1910م . S.N.A INTELL 1/1/2 A.B .THEOBALD . op. cit.pp 102-3 .

الشرقية التي سببت صداعاً من أول يوم للقوات الفرنسية الغازية. هذا بالإضافة إلى الثار لرد اعتبار السمعة الفرنسية في المنطقة والتي أثر فيها قتل وهزيمة القائد الفرنسي (تشوفولت) على يد المساليت، هذا مع العلم بأن الدور الثلاث كانت خاضعة للسلطان على دينار وهو الذي كان يعين سلاطينها (58). وحقه فيها هو حق تاريخي منذ أجداده الأوائل.

ومما يعجب له المرء رغماً عن احتجاج الحكومة الثنائية البريطانية على الخطوات التي قامت بها الحكومة الفرنسية تجاه كل من داري تاما ومساليت ورود عبارة في تقرير سلاطين السابق مقتضاها الإعجاب بالقائد الفرنسي الذي حقق هزيمة كل من الدارين. وذلك في قوله: " يجب أن اعبر عن إعجابي البالغ بشجاعة وبطولة القائد الفرنسي مول: " Moll وضباطه للمغامرة التي قاموا بها (69). ولا أدري لماذا لم يعجب بهزيمة القائد الفرنسي ومقتله على يد القيادة السودانية المسلاتية. ولكنه الانحياز وتجيير الحقائق وتطويعها لصالح المشروع الاحتلالي. فبدلاً من أن يكون الإعجاب بمن يدافع عن عرضه وأرضه يكون الإعجاب بالغزاة الفجرة.

ومن جانب آخر فإن هذا القول فيه دلالة على أن هناك اتفاقاً غير معلن لتحطيم القوة الدارفورية الصاعدة وأن هناك تعاطفاً أوروبياً على وأد أي مقاومة إسلامية نزيهة في المنطقة. وأن الحكومة الثنائية البريطانية كانت تنظر إلي نزاع سلطنة دارفور ومشاكل الحدود الغربية مع الحكومة الفرنسية بشيء من التربص بغية القصاء على السلطان الشهيد على دينار، وأنها كانت تعمل بإستراتيجية وبتخطيط وبروية طويلة النفس على إضعافه لا على تقويته أو تثبيته.

ومن خلال الوثائق نلاحظ أن سلاطين باشا النمساوي لم ينس الدور المنوط به مشيراً إلى المحاولات الجارية على طاولة الحوار بين الحكومة الفرنسية والثنائية البريطانية وما جرى من اتفاق عبر الاتصالات الدبلوماسية بقوله: (لقد سبق أن أجرينا

= 159

⁽⁵⁸⁾ S.N.A INTELL 1/1/2 Major . H.H Wade. Op. pp 645-646 S.N.A INTELL 1/1/2 سبتمبر سنة 1910م (59)

اتصالاً مع الحكومة الفرنسية بالنظر لشؤون وداي فاتفقت معنا بإرسال التعليمات الضرورية لحكامها بعدم التدخل أو الاعتداء على دارفور (60). ويبدو أن السياسة الفرنسية كانت تقضى بالمماطلة والاستفادة من الوقت. ولربما كانت هناك أجندة خفيــة بين الدولتين الأوروبيتين في المنطقة لأن بريطانيا وفرنسا لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يصرحان فيها بأمر ظاهره الرحمة ومن قبله العــذاب. إذ لا يخفـــى أن هــؤلاء الأوروبيون على رأسهم هاتان الدولتان قد خدعوا العرب في الحرب الأوروبية الأولى بوعود كاذبة كان مؤداها منحهم الحق في تقرير مصائرهم ومصائر بلادهم في الوقت الذي كانت فيه كل من فرنسا وبريطانيا تجتمعان سراً وتتوزعان مناطق النفوذ العربية فيما بينهما (اتفاقية سايكس بيكو) ومن شدة الغباء والبلادة ما أن كشف البلاسفة سنة 1917م خبايا هذه الاتفاقية لخدمة أجندتهم الخاصة حتى لجأت تلك القيادات العربية غير الواعية إلى بريطانيا لتسألها عن مدى صحة هذا الاتفاق السري بينها وبين فرنسا فأجابت بريطانيا بالطبع بالنفى وانسحبت الخدعة الماكرة الخبيثة على القيادات المغفلة العربية حتى وقعت الواقعة ووجدت القيادات العربية نفسها رهينة نفترة استعمارية تعتبر من أسوأ الفترات في التاريخ وقانت الأمة إلى حتفها بظلفها بوعي أو دون وعي. وخدعوا العرب مرة أخرى بخدعة وفرية هي أكبر من الأولى لأن الأخيرين لا يقرعون مفردات تاريخهم بذكاء ووعي ورشد، خدعوهم في حرب أفغانستان وفي حرب العراق كما حدث من بريطانيا وأمريكا في نهايات القرن الماضي وبدايات القرن الحالي. ووعدوهم على مسمع ومرأى ومشهد من العالم كله بأنهم سيحكمون لصالحهم الشرعية الدولية في كل المنازعات الدولية الدولية وأنهم سيحلون لهم قضية فلسطين حلاً جذرياً ونهائياً. ولن تفسير معنى الشرعية الدولية غامضاً وطلسماً من الطلاسم وسراً من الأسرار التي لا يفهمها أحد سوى بريطانيا وأمريكا. فما أن خرج العرب من مساعدة الأمريكان في قضية أفغانستان حتى اختلقت أمريكا قصية العراق وما أن فرغوا من العراق حتى خلقت أمريكا وحلفاؤها قضية دارفور وهلم جراحتى تم نسيان قصية العرب المحورية. والقائمة قد تطول عن عدم مصداقية الغربيين ولا يخفي ما

نه: سلاطين إلى السلطان في 1910/10/20م 1910/10/20

حدث في حرب حزيران 1967م. والآن هناك محاولات خبيثة أخرى تحاك من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها غايتها تجريد الأمة المسلمة من أي مظهر من مظاهر القدرة على تحقيق الذات والمقاومة. إذ تجري الآن محاولات على قدم وساق لقصقصة أجنحة المقاومة اللبنانية المتمثلة في حزب الله والفلسطينية المتمثلة في حماس وغيرها، و تفكيكهما وحرمان الأمة من بصيص الأمل الذي أشعل جذوته في نفوس أبناء هذه الأمة. والأمر لا يختلف كثيرا بالنسبة للدفاع الشعبي في السسودان وهلم جرا.وذلك بعد نجاحها وحلفائها في تفكيك شبكة عبد القادر خان بباكستان التي مثلت بصيص الأمل في نهاية النفق المظلم في نهايات القرن العشرين في محاولة جادة من قبل الغرب الصهيومسيحي غايتها حرمان الأمة المسلمة من الأبحاث النووية التى قامت ويمكن أن تقوم بها هذه الكوكبة الزاهرة من العلماء المخلصين الذين لم يبيعوا ضمائرهم وخبراتهم ومعارفهم للغرب أو لأمريكا مقابل دراهم معدودة للاستخبارات العالمية كما فعل الكثيرون ممن باعوا ضمائرهم وأممهم للغرب مقابل ثمن بخس.

ولعل هذا ما دعا سلاطين باشا النمساوي ليؤكد من جديد: (أن دار تامسا ودار المساليت كما ذكرت في لنسدن أنها كانت تحت إدارتي في الفتسرة الواقعسسة بين (1879-1883م) وأن السلطان الشهيد على دينار ليس مستولا عن السلام ما لم يتم الاعتراف بحدود دولته أو لا (61).

يبدو من مخاطبة سلاطين باشا لـ (ونجت) مدير الاستخبارات فـي الحكومـة الثنائية البريطانية والحاكم العام الانجليزي أنه كان متعاطفا مع السلطان على دينار إلى حد إقناعه بسلامة منطق السلطان الشهيد على دينار. وأن ما يجرى على الحدود الغربية يشكل اعتداء صارخا على حدود دارفور.

وبذا أبدى سلاطين باشا المفتش العام في الحكومة الثنائيــة البريطانيــة تعاطفــاً ملحوظاً نحو السلطان الشهيد على دينار وحقوقه المشروعة في تأمين حدوده الغربية. ويقرر سلاطين باشا في ذات الوقت عدم مسؤولية السلطان الشهيد على دينار تجاه ما

⁽⁶¹⁾ سلاطين إلى ونجت في 1910/11/23م (21نو القعدة سنة 1328) S.N.A INTELL 1/1/1

يجري على الحدود الغربية دفاعاً عن حدوده واسترداداً لكرامته. ولكن الحكومة الثنائية البريطانية بالرغم من ذلك دعت السلطان الشهيد علي دينار إلى عدم الاعتداء أو الاستجابة للاستفرازات الفرنسية في المنطقة.

واستجابة لنداءات الحكومة الثنائية البريطانية للسلطان الشهيد على دينار بكف يده عن القيام بأية عمليات ضد الوجود الفرنسي في المنطقة، قام السلطان السشهيد على دينار بتوجيه نداء إلى جميع أتباعه بكف أيديهم عن الفرنسيين. هذا بعد أن وصلت تأكيدات جديدة تفيد بأن حكومة السودان الثنائية البريطانية قد توصلت إلى اتفاق مع فرنسا بشأن مشاكل الحدود. والتزمت فرنسا للحكومة البريطانية في لندن والسودان من جانبها بعدم الاعتداء على حدود دارفور الغربية. ولم يلبث أن فوجئ رسل السلطان الشهيد على دينار بقادمين من دار مساليت ودار تاما يشكون اعتداء فرنسياً متكرراً من جديد مما يؤكد أن الوعود الفرنسية السابقة لا تعدو عن كونها خدعة أو تخدير. وأشك في أن الحكومة الإنجليزية لم تكن على علم بتلك التحركات الفرنسية في المنطقة.

وأعلم السلطان على دينار الحكومة الثنائية البريطانية بما جرى طالباً منها أن تكف عنه: (جور الفرنساويين وتصدها بالقوانين السياسية التي بينكم وبينها. وأن لم يكن ذلك أفندم فيدون عاجلاً نتوكلوا على الله ونتربصوا معهم ماداموا أنهم قصدونا في أرواحنا ظلماً وعدواناً فنحن لا نبخل بأرواحنا في سبيل الله نحاربهم إن شاء الله).

ولعل ما مضى تفصيله يؤكد على أن السلطان الشهيد على دينار كان يعلق آمالاً عريضة في الحلول الدبلوماسية ولكنه في الوقت ذاته لهم يسرض لنفسه بالهزيمة والاستسلام. وهذه الآمال كانت من باب استنفاذ استخدام الوسائل المتاحة وعدم الإهمال في باب يمكن أن يخرج منه بصيص دون طرق. والإشارة السواردة في مخاطبات السلطان الشهيد على دينار إلى بذل الأرواح في سبيل الله ذات دلالة عميقة من حيث إسلامية الرجل واستمساكه بدينه في لحظات الشدة وهذا جسزء مسن الإيمسان. وقد رد سلاطين باشا النمساوي والمفتش العام في الحكومة الثنائية البريطانية والذي كان مكلفاً بالتعامل مع السلطان الشهيد على دينار لسابقة حكمه في دارفور وللعلاقة التسي

نمت بينه وبين السلطان الشهيد أثناء إقامتهما الجبرية في أم درمان، رد على ذلك بخطابين ذكر له في أولهما أنه سيقترح تكوين لجنة مشتركة بين كل الأطراف لتعيين الحدود. وأن يكون لعلى دينار ممثلون فيها لمقابلة الممثلين الفرنسيين (62).

وعلى صعيد آخر يذهب الحاكم العام البريطاني في السودان إلى أن المشكلة تكمن أساساً في أنه ليس هناك تحديد واضح للحدود بين دارفور ووداي (تشاد الحالية) - وفي تقديري أن هذه مشكلة السياسة الخارجية بين الدولتين السودانية والتسادية إلى اليوم - فلا يعرف المساليت مثلاً أين تنتهي الحدود الفرنسية, ومن أين تبدأ الحدود الإنكليزية (63).

هذه العبارة التي أوردها الحاكم العام في رسالته إلى السسكرتير الخاص في عمومها لا تخلو من مغالطة تبدو واضحة في اللهجة الإنكليزية حيث سبق للسلطان الشهيد علي دينار أن حدد حدود دولته بالموقع الفاصل بينها وبين وداي. والمساليت بالطبع يعرفون حدودهم قبل قدوم الغزو الاستيطاني الاستعماري للمنطقة.

وإذا كان الفرنسيون والإنكليز يجهلون ذلك فلم يوردوه في اتفاقيتهم فليس ذلك ذنب المواطنين الذين هم أدرى بشعابهم من هؤلاء الغرباء المتطفلين على بلادهم. ويمضي الحاكم العام البريطاني (ونجت) في قوله: (وباحتلال الفرنسيين لأبشي اكتسبوا عداء المساليت وهرب محمد صالح دود مرة إلى المساليت بعد هزيمته وتأثر سلطان المساليت في موقفه تجاه الفرنسيين بموقف أهل دارفور).

ورفض المساليت اللهجة الشديدة التي طلب بها الحاكم الفرنسي في أبشي إقصاء سلطان وداي محمد صالح دود مرة أو تسليمه له. وبذا تكونت فرقة فرنسية خاصة وقامت بالهجوم على دار تاما ودار مساليت خسر فيه الفرنسيون قائدهم في المنطقة الكولونيل مول (Moll) وسبعة آخرين من الفرنسيين وخسر المساليت سلطانهم الشهيد تاج الدين كما تقدم، وجرح سلطان وداي محمد صالح دود مرة (64).

⁽⁶²⁾ سلاطين إلى السلطان في 1910/12/14م.

S.N.A. INTELL 7/3/11 S.N.A. INTELL 1/1/1

⁽⁶³⁾ الحاكم العام إلى السكرتير الخاص في 1910/11/30م

⁽⁶⁴⁾ المصادر نفسة.

أما خطاب سلاطين باشا الثاني فقد جاء فيه: (ورد إلي تلغراف من بلاد فرنسا في أوربا عرفت منه أنه قد حصل قتال جديد بين المساليت وفرقة من عساكر دولة فرنسا. وأنه قد قتل في هذه الواقعة الكولونيل (مولس) القومندان وثلاثة ضباط وأربعين عسكري وصف ضباط وجرح تسعة وستون عسكري وأن المساليت خسروا ما يزيد عن ستمائة رجل من ضمنهم السلطان تاج الدين وأو لاده وأو لاد- السلطان أبكر وأن السلطان دود مرة أصيب بجراح عرفت من جوابكم أنكم تظنون أن دولة فرنسا تريد امتلاك دارفور لا تجعلوا هذا الفكر يخطر لكم على الإطلاق لأن هذا أمر مستحيل وذلك لأنكم تابعون للحكومة الإنكليزية... وقائمين بواجباتكم)(65). وعزا سبب الحرب إلى مقتل الكابتن (فيكنشو) في السنة الماضية حينما دخل عن طريق الخطأ إلى دار مساليت. انه المنطق الأوروبي الأخرق انتقام يحدث بعد سنة نتيجة مقتل أوروبي غادر اعتدى على مواطنين آمنين في بلادهم فقتلوه. وبعد انتصارهم عليه اعتبر دخوله خطأ وقتلهم له ليس بخطأ؟ ولكن جريمة تستحق الانتقام ومعاودة الكرة مرة أخرى من خطأ القوات الفرنسية للثار والانتقام.

بدا واضحاً أن أي اعتداء على دار مساليت يعني بالسضرورة الاعتداء على دارفور. لأن سلطان المساليت الشهيد تاج الدين كان يعتبر ممثلاً للسلطان الشهيد على دينار لا سيما وأن الفرنسيين قد دمروا الديار وخربوها. وبالتالي فان القضية أصبحت قضية سلطان دارفور بالدرجة الأولى فهو الذي يجسد رأس السلطة المركزية عموماً في دارفور وينبغي عليه أن يوفر الحماية الكافية لمناطقه السيادية. ومن هذه الحيثية فإن أي اعتداء على أي إقليم من الأقاليم التابعة له يلزمه الدفاع عنها بكل ما يملك من قوة. وعليه فان الأمر كان من الوضوح بمكان. حيث جاء الفرنسيون بالموالين لهم من عملائهم في المنطقة مثل حسن الجالنجاوي بدلاً عن عثمان الطوروي وبادريس القمراوي أحد أعداء السلطان الشهيد على دينار جاداً في عايته وضع السلطان الشهيد على دينار جاداً في

[&]quot; سلاطين إلى السلطان في 1910/12/14م (1910/12.73 S.N.A INTELL. 7/3/11 سلاطين إلى الحاكم العام في 1910/12/16م (1328/2/14مــ).

الخروج من هذه المحاصرة المحكمة على حدوده. فشن غارة قتل من جرائها القائد الفرنسي مول (Moll) وبعض الضباط الفرنسيين الآخرين (67). هذا يعني أنه اشترك في المعركة التي أشار إليها سلاطين باشا النمساوي والتي قتل فيها السلطان تاج الدين سلطان دار مساليت وجرح فيها سلطان وداي المعزول محمد صالح دود مرة. ولكنه لم يعلن ذلك حتى لا يعيق الجهود الدبلوماسية المبذولة من قبل الحكومة الثنائية البريطانية مع الفرنسيين.

في هذا الأثناء أجرت الحكومة الثنائية البريطانية اتصالاً مع الفرنسيين يهدف إلى تذكير الحكومة الفرنسية بتأكيدات القنصل العام الفرنسي (Rox) بالقاهرة لسلاطين باشا بأنه سيبرق قواته بأوامر صارمة بعدم التدخل في شؤون دارفور. بيد أن الذي حدث خلاف ذلك (88). مما يعني أن هولاء الغربيين بمختلف قبائلهم وفصائلهم ومسمياتهم وتوجهاتهم لا يحترمون الوعود والعهود والمواثيق إذا تعارضت مع أهدافهم واستراتيجياتهم ومصالحهم. وأن الكنب عندهم ليس بعار أو وصمة فإنهم يكذبون من اجل بلوغ غاياتهم سواء أكان كذباً سياسياً أو إعلامياً أو تاريخياً، ولعل ما جرى في العراق ينبئ عن هذه الحقيقة المرة التي لم يدركها بعد كثير من المغفلين والأغبياء في العالم المسمى بالثالث من السياسيين والأكاديميين وأنصاف المثقفين.

إذ لا شك من أن التأكيدات الفرنسية لا تعدو عن كونها مهدئاً وقتياً بغية الاستعداد لإجراء جديد، لأنه عقب كل هذه التأكيدات كانت تأتي غارة على حدود السلطان الشهيد على دينار الغربية.

وعلى صعيد آخر فقد أدرك سلاطين باشا النمساوي أبعاد الغدر الفرنسي وعدم منطقيته وواقعيته فضمن ذلك في تقريره الذي أعده عن العلاقات بين دارفور وفرنسسا سنة 1911م حين أشار إلى أن الفرنسيين كانت لديهم نية مبيتة لغزو كل من دار مساليت ودار تاما. وذلك انتقاماً للهزيمة التي لحقتهم من المساليت في يناير

⁽⁶⁷⁾ سلاطين إلى الحاكم العام في 1910/12/17 (1328/12/15هــ)

⁶⁸⁾ الحاكم العام إلى رسل 12/30/1910م (1328/12/28هــ)

سنة 1910م. وحاولوا تغطية ذلك الغدر والانتقام بعدة أقنعة منها مطاردة السلطان محمد صالح دود مرة الذي حسب زعمهم بأنه قد طفق يجمع أعداداً كبيرة لغزو أبشى واسترداد سلطنته. والأوربيون من طبعهم اختلاق المبررات من أجل تحقيق مصالحهم الحيوية والإستراتيجية في المنطقة التي يريدون احتلالها واستغلالها. وإلا لنا أن نتساءل نووياً يهدد السلم العالمي أكثر من بريطانيا وأمريكا وفرنسا؟ وهل كانت أفغانستان تهدد الأمن الدولي وتنتهك حقوق الإنسان أكثر من الولايات المتحدة الأمريكية في غوانتانامو وسجن أبي غريب؟ وهل ما كان فيها ما يفوق أو يشكل واحداً على المليار مما تفعله إسرائيل (دلوعة أمريكا) كل يوم في فلسطين المحتلة؟ وهل كان السودان يمتلك في مصنع الشفاء أو في مصنع جياد أسلحة نووية أو يملك مجرد رائحة مفاعل نووي؟ وهل في دارفور الآن اغتصاب وانتهاك لحقوق الإنسان؟ وهل ... وهسل ...؟ وهل الحروب في دارفور الآن هي حرب أثنية حقاً؟ أو فيها إبادة كما روجت الآت الإعلام الغربية وقادتها السياسيين؟ ثم عادت فنفت بعد أن تلقف ذلك المغفلون والأغبياء من أدعياء السياسة وتجارها والثقافة والأكاديمية في بلادنا. ومن الغريب أن الغربيين أنفسهم يعودون ويكذبون أنفسهم بأنفسهم على مسمع ومرأى ومشهد من العالم ولعل أحدث ما صدر في هذا الشأن تصريحات مدير الاستخبارات الأمريكية السسابق (جورج تنت) الذي صرح خلال الأسابيع الماضية من شهر ابريل سنة 2007م بأن المعلومات التي نشرت عن العراق وخدع وزير- الخارجية الأمريكي (كولن باول) بها العالم في مجلس الأمن لم تكن صحيحة. ويؤكد ذلك ما كتبته صحيفة (القارديان) البريطانية بتاريخ 4/30-4/30/20م عن دارفور بأن الحرب الدائرة في دارفور ليس كما صورته أجهزة الإعلام الغربية فيما سبق وتلقفه السياسيون الاغبياء فسى الغنرب والشرق، بقدر ما هي قضية سياسية بالدرجة الأولى. وهذا ما سبق أن أكدناه في كتابنا (دارفور والحق المر) بأنها قضية ثقافة وأضحت سياسية في سوق النخاسة السياسية. ومعلوم أن هذا التبرير الثنائي البريطاني كان واه جداً لأن الجيوش الفرنسية الغازية دخلت أراضي كل من داري تاما والمساليت تحت إرشاد كل من السلطان حسن الجالنجاوي العميل والأداة الفرنسية المبرمجة بغية تنصيبه مكان عثمان الطوراوي والذي جرت العادة على تعبينه من قبل السلطان الشهيد على دينار. والسلطان إدريس القمراوي الذي كان من حيث النسب عم السلطان الشهيد على دينار وأحد أعدائه اللدودين (69). وهذا بدوره يمكن أن يفسر بعضاً مما يجري في دارفور الآن من خلافات وانقسامات ليست لها أبعاد عرقية او اثنية بقدر ما هي ذاتية المحور، أنانية اقطار، محدودة الهدف.

يعكس هذا التقرير بما احتواه من معلومات غاية في الدقة أبعاد الغدر الفرنسي والمقاصد المقنعة التي أرادت فرنسا تبريرها بتعليلات متعددة ومسوغات مختلفة فمثلما آوت دار المساليت سلطان وداي المخلوع محمد صالح دود مرة فقد آوت فرنسا خصمه. وفي الواقع أن دخول فرنسا بهذه الصورة الاستعلائية إلى دار المساليت ليس القصد منه هو إخراج السلطان محمد صالح دود مرة أو القبض عليه بقدر ما كان القصد منه خلع السلطان الشهيد تاج الدين والي السلطان الشهيد على دينار وتعيين أداتهم مكانه. تأميناً لجبهتهم الشرقية وكسباً لمواقع أقدام جديدة على الأرض يمكن أن يصلح كبطاقة رابحة في المفاوضات بين الدولتين المحتلتين فرنسا وبريطانيا في مجال توزيع مناطق النفوذ في أفريقيا فيما بينهما.

وكان من الطبيعي أن يعزز سلطان دارفور موقفه الدفاعي في وجه قوة أوروبية غادرة ومغتصبة وأن يشد من أزر نصيره وواليه على هذه المنطقة دار مساليت. ولازال السلطان الشهيد على دينار يتعجب من هذا الغزو الفرنسي ودوافعه مع وضوح الحدود الفاصلة لدارفور عن وداي منذ عهد جده السلطان محمد الفضل. ووصف في خطاباته التي بعث بها إلى المفتش العام في الحكومة الثنائية البريطانية سلاطين باشا النمساوي الجنود الفرنسيين بأنهم أوباش لا يعرفون شيئا عن الحضارة واحترام

⁽⁶⁹⁾ تقرير أعده سلاطين في 10 يناير سنة 1911م عن العلاقات بين فرنسا ودارفور 1/1/2 S.N.A INTELL

القوانين. وهم في ظني كذلك وقد تظاهروا بالسلوك الحضاري وإدعاء المدنية المزيفة إلا أن سلوكيات الغربيين في الغالب ودون مجاملة تغلب عليها الوحشية والبدائية والروح الانتقامية السبعية في كثير من الأحيان. شأن أسلافهم الأمريكان رعاة البقر الله (Cow Boys) الذين أصبحوا بمنطق القوة سادة العالم ومقرري مصائره. ويتساءل السلطان الشهيد على دينار ببراءة شديدة وببساطة متواضعة عما إذا كان اختراقهم لحدود دار تاما ومساليت وقمر يتفق والاتفاقية المعقودة معكم (70).

وفي خطاب آخر وبنفس التاريخ يذكر فيه: (فأولاً دار الداجو حدودنا فيها مع دار وداي جبل الكنوز. فالآن هم استلموها ودار تاما لأن عساكرهم فيها ودار قمر كذلك مساليت ودار كبي هؤلاء الخمسة ديار جميعهم حدود دارفور الأصلية (71)).

وتبعية الديار الخمس للسلطان الشهيد علي دينار ليست بحاجة إلى كل هذه التأكيدات، فهناك عدة براهين على قدر عال من المنطق تؤكد على تبعيتها له: منها ما كتبه الرحالة الأوروبيون الذين قطعوا هذه البلاد شرقاً وغرباً وزاروها. وهناك الزبير باشا ود رحمة الذي غزا دارفور واستولى عليها من آخر سلاطينها السلطان إبراهيم قرض وهو لا يزال حياً. كما أن الأشخاص الذين عاصروا الثورة المهدية لا يزالون أحياء وسلاطين باشا النمساوي نفسه كان في يوم ما مديراً لدارفور بعد غزوها (1879–1883م). وتشكل رحلة محمد عمر التونسي سنة 1845م والتي ضمنها في كتابه المشهور (تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد السودان) مصدرا حياً وتسجيلاً واقعياً لما شاهده التونسي بنفسه وسجله بدقة متناهية حيث يعتبر مصدراً هاماً لا يستغنى عند باحث مدقق في تاريخ دارفور السياسي والاجتماعي الحديث والمعاصر. ورحلة ناكتيجال، ج. بروان الرحالة الديريطاني (1794م) فلدى هؤلاء جميعاً توجد أدلنة قاطعة دونوها في كتاباتهم تدل على تبعية هذه الديار – لا سيما دار تاما ودار مساليت السلطنة دارفور وليست بأي حال من الأحوال في يوم من الأيام كانت تابعة لـوداي.

^{(&}lt;sup>70)</sup> السلطان إلى سلاطين في 1911/1/17م (10محرم سنة 1329هــ) S.N.A INTELL 13/2/7 (1329هــ) S.N.A INTELL 13/2/7 (1329هــ)

وبعد الحركة المهدوية لجأ سلاطين باشا النمساوي إلى هذه المناطق ومن ثم إلى الخارج واحتمى بوداي (72).

يبدو في دارفور عمق الروح الوطنية، والكراهية لكل ما هو أجنبي على السرغم مما قام به الفرنسيون خلال سنتين كاملتين لترسيخ أقدامهم ولتغريب هذه الديار ثقافيـــاً وحضاريا ودينيا. وإتيانهم بأدوات محلية ضعيفة يمكن توجيهها حسب إرادة الغراة. ولكن بالرغم من ذلك لم تتجح في حكم البلاد وإدارتها كما هو شأن أدوات أفغانــستان والعراق من أمثال كرزاي أفغانستان وجلبى وعلاوي ومالكي العراق. ذلك لأن شعبية الرجال وحبهم لا تخلقان بالقوة. ولا يمكن أن تسمنع إحداهما قهراً. لذا نسمب الفرنسيون على المساليت سلطاناً آخر حسب الفرنسيون أنه سيخلص لهم بيد أنه سرعان ما رفع عقيرته ضد المطامع الفرنسية في المنطقة. الأمر الذي أجبر السلطات الفرنسية للقيام بحملات متكررة من وقت لآخر على من نصبوه هم أودت أخيراً بحياة الأمير محمد أندوكه سلطان المساليت الذي خلف الشهيد تاج الدين. فقاموا باستلام دار المساليت (⁷³⁾ عنوة وقهراً مما يعني أن الفرنسيين وأشباههم لا يحترمون إرادة الشعوب وحقها في تقرير مصائرها إلا بالطريقة التي تحقق مصالحهم هم والتسي يريدونها هم دون غيرهم. وهذا هو عين ما يلحظه القارئ الحصيف بالنظر إلى ما يجري من أحداث الآن على الساحة الإقليمية والدولية. فتجربة الجزائر التسى اختسار شعبها طوعا الجبهة الإسلامية الجزائرية للإنقاذ أقامت الغرب ولم تقعده ولم يتنفس الصعداء إلا بعد أن أدخل الجزائر في جحر ضب من الاقتتال بين أبناء الملة والسوطن الواحد دون مبرر أو مسوغ سوى تحقيق رغبة (ماما) فرنسا أو (طنط) امريكا، ومــــا حدث في أفغانستان والسودان ولبنان ليس ببعيد عن الأذهان والغرب كله دون استثناء لايخدم إرادة الشعوب الحرة في تقرير مصائرها بنفسها.

^{(&}lt;sup>72)</sup> القنصلية البريطانية بالقاهرة إلى وزارة الخارجية البريطانية في 1911/1/22م (1/11 القنصلية البريطانية بالقاهرة إلى وزارة الخارجية البريطانية في 1911/1/29م (1329هـــ) S.N.A INTELL 7/1/13

وعلى صعيد آخر شعر سلاطين باشا بدقة الموقف ومدى عدالة مطالب الـسلطان الشهيد علي دينار، وعدوان الفرنسيين عليه واختراقهم لحدوده. وهناك التـزام أدبـي تجاهه بموجب الاتفاق من قبل الحكومة الثنائية البريطانية وهو ممثلها في التفاوض مع السلطان الشهيد على دينار، وتأكيداتها المستمرة حيث يقول: "لقد قمت بإرفاق صورتين من خطابين أحدهما من سعادتكم مؤرخ بأول مايو سنة 1901م. والثاني مني بتـاريخ على دينار يحددان الحدود كمـا كانـت تحـت إدارتي. ومن الواضح أن دار مساليت ودار تاما كانتا جزءا من توابـع دارفـور (٢٩٠). هذه الإشارات تؤكد على أن سلاطين باشا النمساوي بدأ يشعر بالحرج إزاء مخاطباتـه المتكررة للسلطان على دينار ولئلا يكون في موقف الكاذب حاول أن يستعجل سلطات الخرطوم البريطانية لاتخاذ مواقف أكثر إيجابية بدلاً عن تلك الضبابية إزاء ما يتعرض له السلطان الشهيد على دينار من هجمات فرنسية متكررة.

ثم يضيف سلاطين باشا قائلاً: وبالرغم من أن علي دينار كان يرى في تدخل الفرنسيين في دار تاما ومساليت خطرا عليه إلا أننا استطعنا وحتى الآن أن نحول بينه وبين القتال معهم. ولم تكن التحدود بينهما مغلقة لمدة ثمانية أعوام. وبعد هزيمة محمد صالح دود مرة من قبل الفرنسيين وبناء على التعاليم الإسلامية استقبل السلطان علي دينار السلطان محمد صالح دود مرة باعتباره لاجئاً يحرم دمه. وزاد غزو الفرنسيين لدار تاما ومساليت من غضبه وتشدد السلطان على دينار تجاههم (75). هذا الكلام احتوى على قدر من التجاوز في بعض العبارات لاسيما إصدار الأحكام النهائية بشأن منطقي لسلوك السلطان وسياسته الخارجية.

يعتبر تدخل الفرنسيين اغتصاباً لأرض هي جـزء إداري وسياسي واجتمـاعي لا يتجزأ من أراضي وشعب سلطنة دارفور واعتداء على حدودها وانتهاكاً لحرمتهـا ولسيادتها وللاتفاقية القائمة بين كل من إنجلترا وفرنسا سنة 1899م. حيث لـم تكـن دار تاما ومساليت من المناطق المتنازع عليها بين الدولتين العظميين (76).

⁽⁷⁴⁾ سلاطين إلى الحاكم العام في 5 فبراير سنة 1911م (9 صفر سنة 1329هــ) S.N.A INTELL1/1/1 (صفر سنة 1329هــ)

^{(&}lt;sup>76)</sup> تقرير سلاطين في 1911/1/10م (⁹محرم سنة 1329هــ) 1/1/2 (محرم سنة 1329هــ)

وبالفعل فإن الخطر الخارجي الفرنسي ووحدة العقيدة استدعيا التقاء كل من السلطان الوداوي المخلوع محمد صالح دود مرة والسلطان الشهيد علي دينار. واقتنعت الحكومة الثنائية البريطانية بوجهة النظر الدارفورية القاضية بإجلاء القوات الفرنسية أولاً ثم اللجوء إلى تحديد الحدود بين الدولتين ثانياً (77). لذا كان لابد من تهدئة الأحوال بين الفريقين وإلقاء السلاح إلى حين الوصول إلى اتفاق بين الطرفين المتتازعين.

ومن ناحية أخرى لا زال السلطان الشهيد علي دينار يعض على جمر من صبر من جراء الاعتداءات الفرنسية والادعاءات الباطلة بأيلولة كل من دار تاما ومساليت إلى وداي .وفي الواقع فإن التحركات الفرنسية لم تكن مرهونة باعتبار الأحوال السياسية أو الوعود المقطوعة للسلطان الشهيد على دينار . هذا بالرغم من التزامه بعدم الاعتداء على أمل ظهور نتائج المفاوضات الجارية (78) بين الدولتين الكبريتين بريطانيا وفرنسا اللتين ظلتا تحيطان مفاوضاتهما بسرية تامة.

وكانت الحكومة الفرنسية مترددة بشان إجلاء قواتها عن المناطق المتتازع عليها. هذا بالرغم من تظاهرها بالاقتتاع بعملية تحديد الحدود. بين كل من دارفور ووداي. ومعلوم أن أية مساع دبلوماسية لا يمكن أن تؤتي ثمارها في تلك الظروف ما لم يستم الأعتراف مسبقاً للسلطان الشهيد علي دينار بحقه المشروع في كل من دار تاما ودار مساليت (79). ولكن فرنسا في ذات الوقت كانت تحفزها مطامع استيطانية ومنافسة محمومة مع بريطانيا على هذه المنطقة حيث كانت لا تسلم بحق بريطانيا المطلق في دارفور. وكانت بريطانيا من جانبها تحاول أن تمسك بخيوط العنكبوت لتثبت أن لها حقاً تاريخياً وقانونياً في دارفور وتحاول أن تقنع السلطان الشهيد على دينار بالتبعية لها ولو اسمياً لتجد ما تحاج به رصيفاتها في المؤتمرات الأوروبية.

S.N.A INTELL 1/1/1 . 1911/2/9 الحاكم العام إلى المندوب السامي البريطاني في 1911/2/9م. 5.I.R.199/9. Feb. 1911

⁽⁷⁹⁾ الحاكم العام إلى السكرتير الخاص في 1911/3/2م العام إلى السكرتير الخاص في 1911/3/2م

ومعلوم لدى الأطراف المعنية أن هاتين الدارين كانت من الناحية التاريخية والواقعية تابعتان لدارفور. ذلك لأن الحكومة المصرية حين احتلالها للسودان أقرت بعدم تبعية هذه الأجزاء لإدارقها (80).

لعب سلاطين باشا النمساوي دوراً بارزاً في إقناع السلطان الشهيد على دينار بجدية المساعي الدبلوماسية مع دولة فرنسا. وبعث له بتأكيد جازم عقب انسساب القوات الفرنسية من دار مساليت وتركها للسلطان المسلاتي يقول فيه: (قد عرفنا أن حكومة فرنسا قد أخرجت عساكرها من دار مساليت وإن شاء الله عما قريب سيخرجونهم من دار تاما(81)).

لربما كان ذلك الانسحاب تكتيكاً من قبل القوات الفرنسية اقتضته ظروفها المحلية وعجزها عن الاستمرارية في البقاء في هذه المنطقة ويلوح سلاطين باشا تارة أخرى بجدية المساعي الدبلوماسية ومدى اهتمام الحكومة الثنائية البريطانية ومتابعتها لما يستجد من أحداث في هذه المنطقة الساخنة بقوله: (قد عزمنا إن تتازلت حكومة فرنسا عن مطالبها في دار تاما ومسلات أن تعين لجنة خصومة لأجل تعيين الحدود وستنتدب الحكومة أثنين من الضباط المهندسين. وبصحبتهم مندوبين من قبلكم. حيث يقابلون المندوبين الذين تعينهم حكومة فرنسا والحكومة الإنكليزية بخصوص دارفور وحدودها. وسنرسل لكم أوراقاً رسمية بهذه الحدود وسيدوم الاتفاق إلى أجيال طويلة بعدكم ويتمتع به أو لادكم (82). في هذا الخطاب الصادر من المفتش العام والممثل الرسمي للحكومة الانتائية البريطانية سلاطين باشا اعتراف صريح بأن للسلطان الشهيد على دينار عن ولأسرته حق وراثي في حكم دارفور. ولو تنازل السلطان الشهيد على دينار عن وطنيته وباع ضميره ووطنه وأمنه وسار في ركب بريطانيا كما سار غيره من أترابه لضمنت له ذلك ولكن السلطان الشهيد على دينار مهما قيل عنه أو فيه فقد كان رجل

⁽⁸⁰⁾ الحاكم العام إلى نائب مدير المخابرات في 1911/4/6م(7ربيع الثاني 1329هـ 1/1/1 S.N.A INTELL I/I/I (7ربيع الثاني سنة 1329هـ) (1329هـ) المخابرات في 1911/4/18م (191ربيع الثاني سنة 1329هـ)

⁽⁸²⁾ سلاطين إلى السلطان في 13/4/29م (30 ربيع الثاني سنة 1329هــ)

مبادئ. وأصحاب المبادئ لا يبيعونها بثمن بخس. وإن كان هذا هو شان السياسيين النين يباعون ويشترون في سوق نخاسة السياسة يميناً ويساراً بأثمان زهيدة مقابل بقائهم وسلامة أبدانهم في عالمنا المعاصر. وقد يخلعون كل يوم جلداً ويلبسون جلداً آخر حسب مقتضى الحال والمقام دون خجل أو حياء.

لا يخلو هذا الكلام من إغراء وفى الوقت ذاته ليس فيه تجاهل لــدور الـسلطان الشهيد على دينار في المفاوضات وتعيين مندوبين عنه ومن قبله كما ســبق أن وعــده بذلك. كما أن خبراً كهذا يتضمن تتازل فرنسا عن ادعاءاتها الــسابقة فــي كــل مــن دار تاما ومساليت مما يبعث الأمل في جدية المساعي الجارية في نظر السلطان الشهيد على دينار. ويهدئ من روع السلطان الشهيد على دينار ويبعث في نفسه الأمل بهدوء الأحوال على الجهة الغربية لبلاده ولو إلى حين.

وعبارة أن هذا الاتفاق يستمتع به أولادكم هي مخاطبة للرغبة الإنسانية في داخل نفس السلطان الشهيد علي دينار القاضية بحب الملك واستمراريته في الذرية من بعد. ولكن في الوقت ذاته فإن لهذه العبارة من الناحية القانونية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية دلالة موضوعية وتاريخية هامة إذ تتضمن استقلالية السلطان بدارفور.

وفي الواقع فأن قوات الحكومة الفرنسية كانت تتحرك بدافع الخوف من القوى المحيطة بها في وداي ونتيجة خوفها من دارى تاما ومساليت لتبعيتهما لدارفور (83). أصبحت ترى الخطر أمامها ذا شقين داخلياً وخارجياً وقد عبرت عن هذا المعنى إحدى الصحف الفرنسية بصراحة ووضوح وجلاء، حيث ورد فيها ما نصه: - (الأوضاع في وداي ليست ممتازة. وأصبحنا نشعر بخطر ماثل داخلياً وخارجياً فمن الشرق يمكن الخطر في دار فور التي تهدد وجودنا في المنطقة)(84). إذن الخوف كان هو المحرك والدافع الأول لاعتداءات الحكومة الفرنسية المتكررة على حدود السلطان الغربية بغية خلق حزام أمنى واق لها من سلطنات الشرق التابعة لسلطان دارفور.

⁽⁸³⁾ الصحيفة الفرنسية لاماتير 5/6/1911م (جمادي الثانية سنة 1329هــ) S.N.A. INTELL. 1/1/2. (همادي الثانية سنة 1329هــ) المصدر نفسه.

وكانت الرؤية الفرنسية لهذه القضية واضحة حيث أن القوى الدارفورية تـشكل خطراً ماثلاً على وجودها في المنطقة. لذا من الطبيعي أن تتكرر هجماتها على حدودها بغية كسر شوكتها دون اعتبار لأي اتفاق أو معاهدة مع بريطانيا أو اتفاق مع سلاطين باشا أو غيره. ولربما يفسر هذا أن السياسة التي ظلت تحرك القوات الفرنسية في المنطقة تخضع لأجندة واستراتيجية مرسومة في باريس. وان هذه القوات كانت تحسن تنفيذ ما يوكل إليها من مهام بدقة متناهية.

ونتيجة للهجمات الفرنسية المتكررة على حدود دارفور الغربية حدث انفجار سكاني تمثل في هجرة دافقة تجاه دارفور مما شكل عبئاً تقيلاً على سلطنة دارفور، هذا بالرغم من محدودية إمكاناتها والحصار المفروض عليها من الشرق والغرب. وبالرغم من ذلك فقد أجرى السلطان الشهيد على دينار اتصالات مستمرة لاستقدام السلطان الوداوي المخلوع محمد صالح دود مرة بيد أنه لم يقرر بعد القدوم إلى الفاشر. وفي هذا الأثناء عينت السلطات الفرنسية سلطاناً عميلاً لها على دار تاما. بيد أن قوات السلطان الشهيد على دينار تمكنت باقتدار وكفاءة من إعادة الأمور إلى نصابها والمياه إلى مجاريها (85). وذلك لشعوره بأن تعيين سلطان موال للسلطات الفرنسية يعنى تصييق الخناق عليه مما يعتبر تجاوزاً للسقف المسموح به في العلاقات الخارجية في المنطقة.

ونتيجة لذلك فقد تأزم الموقف الفرنسي الدارفورى. حيث لاحظ القدمون من بورنو أن الفرنسيين قد قاموا بغزو دار المساليت مرة أخرى. وعسكرت الجيوش الفرنسية في تيرقا (Terga). وفي مقابلها الجيوش الدارفورية. وبدأ السلطان الشهيد علي دينار في استعراض جنوده. هذا في الوقت الذي أصبح فيه أهل دارفور في قلق دائم من جراء تلك الاعتداءات الفرنسية المتكررة على حدود دارفور الغربية بعد استيلائهم على وداي (86).

⁽⁸⁵⁾ S.I.R. 205/5. August 1911.

⁽⁸⁶⁾ S.N.A. INTELL 2/2/13. NOV. 1911.

وفى يناير سنة 1902م تم إخضاع السلطان بخيت أبو ريشة للفرنسيين وعزل السلطان عسيل ووضع مكانه إداري فرنسي هو الكولونيل (largeau). ومنح سلطان المساليت استقلاله بعد أن أمضى اتفاقية مهينة تنازل بموجبها عن ثلث دار مساليت مغربي واديي اسنجا وكوجا⁽⁸⁷⁾. مما يوحي بصورة أو أخرى بأن التجربة الفرنسية لم تتجح في استقطاب الحكام المحليين. فبعد أن بدأت باستخدام العصا والجزرة لجأت إلى استخدام العصا دون جزرة. وفي ذات الوقت تمكن الفرنسيون من إحراز تقدم ملحوظ تمثل في خلق حزام أمني واق يحول بينهم وبين أي هجمات يمكن أن يتعرضوا لها من قبل سلطان دارفور.

لربما تفيد هذه الخلفية في تبرير كثير مما يدور على المسرح السياسي الآن في معظم البلدان الأفريقية والعربية والآسيوية. ولعل الأمر في أفريقيا لهو أكثر وضــوحاً وجلاء لأن الحدود السياسية والجغرافية التي رسمتها القوى الأوروبية داخل غرف مغلقة ومكيفة دون اعتبار بالواقع وبمعطيات الأرض والإثنيات وتداخل الأعراق والحدود الطبيعية بحاجة إلى إعادة نظر وترسيم جديد يراعى الجوانب الإثنية والعرفية والحدود الطبيعية لأن الحدود الحالية هي حدود فرضت على أفريقيا من الخارج بغيـة تحقيق استراتيجيات وأهداف دولية بحتة دون مراعاة لمصالح واستراتيجيات أفريقيا وأهلها. ولعل هذه من أكبر أخطاء الأوروبيين التاريخية التي ارتكبوها بأفريقيا حين اجتمعوا في غرف مغلقة وقسموا (كيكة) أفريقيا دون اعتبار بالواقع والطبيعة والسكان ويمكن القول بأن هذه كانت أكبر حماقة في التاريخ ارتكبها الرجل الوروبي الابسيض متجاهلاً إرادة أهل الحق الأصليين. ففي ظل غياب الإرادة المحلية تولى شؤونهم وقرر مصائرهم بمنهجية وباستعلاء وباستكبار منقطع النظير، فكان هذا المخلوق العجيب المشوه بعد الاستقلال. لذا نلاحظ أن مؤتمرات القمة الأفريقية حين بداياتها في الستينيات من القرن الماضى سواء على مستوى المنظمة أو الاتحاد الحالى وإلى اليوم تواجه مشكلة الحدود السياسية التي تعتبر من أخطر وأهم مشاكل أفريقيا الحقيقية دون أن تصل بصددها الى حلول مرضية بين كافة الدول الأفريقية من الشمال إلى الجنوب

⁽⁸⁷⁾ A.B. THEOBALD. Op. cit. pp. 91

أو من الشرق إلى الغرب. وتصحبها مشكلة التداخل العرقي الإثني التي تهدد الأمن والاستقرار في طول القارة وعرضها.

• المبحث الثامن:-

تفاقم مشكلة الحدود بين الوجود المحتل الفرنسي في وداي وسلطنة دارفور والتفكير في عقد مؤتمر دولي لحلها

وعلى صعيد آخر لا تزال الحكومة الثنائية البريطانية في مجال مساعيها الدبلوماسية تقوم بجمع الأدلمة التاريخية والواقعية فيما يتصل بالنزاع بين الفرنسيين في وداي والسلطان الشهيد على دينار في دارفور. ففي مناقشة للحدود الفاصلة بين دارفور ووداي جاء في مذكرة تفصيلية ما يلي. (من الأدلة التاريخية أن نزاعاً دار بين سلطان وداي ومساليت على الحدود وتم حسم ذلك النزاع بواسطة مؤتمر حضر فيه ممثلو البلدين. وبعض هؤلاء الوداويين لا يزالون أحياء. وأيضاً هناك حجر نصب على الحدود، وعليه نقوش تفيد بأن القبائل على الحدود تدفع الجزية أو الضريبة إلى وداي، ولكنها في المقابل تدفع مقابل الشرب رسما إلى المساليت. ودارت بين التاما ووداي حروب سابقة (88). هذا التداخل العرقى والثنى كان ولا زال وسيظل سبباً في كثير من النزاعات الحدودية بين كل من جمهورية السودان وجمهورية تشاد تخف حدتها وتقوى حسب الظروف المحلية والإقليمية والدولية. ولكنها ستظل قنبلة موقوتة تجد من خلالها القوى الأجنبية المريضة بمصالح البلدين تشعل فتيلتها في الوقت المناسب. وللأسف فان حكام البلدين بعد الاستقلال ظلوا يعانون من عدم وعى وإدراك كاف حينما يستجيبون لأدنى استفزاز. فهذه في تقديري مشكلة مزمنة لا تحل إلا بإحداث تكامل وتعاون سياسي واجتماعي واقتصادي وأمنى بين البلدين. لأن التداخل العرقي بين السودان وتشاد يتمثل في أكثر من اثنتي عشرة أثنية وعرقية هذه العرقيات وتلك الاثنيات بعضها متنفذ سياسياً واقتصادياً واجتماعياً في كلا البلدين. وهذا التداخل بهذا الكيف وذلك الكم لا ريب له ظلاله الأمنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعيــة والأخلاقيــة والتربوية والثقافية.

⁽⁸⁸⁾ مذكرة حول الحدود بين دارفور ووداي في 1912/1/1م (19محرم سنة 1330هـــ) S.N.A INTELL I/I/3

وكانت وجهة النظر البريطانية في الخرطوم تذهب إلى عقد مؤتمر ثنائي بين كل من دولة فرنسا وبريطانيا سواء في لندن أو باريس على أن يحضره سلاطين باشا باعتباره أكثر الحاضرين معرفة بتاريخ دارفور وحدودها (89). وهذه في نظري نغمة جديدة وتوجه جديد حيث نلاحظ أنه في هذه الفترة بدأ استبعاد العنصر الوطني صاحب الحق الأصيل. ولاشك أن تغييب العنصر الوطني أمر مقصود لأن بغيابه يمكن تحقيق الاستراتيجيات الأوروبية في المنطقة وإبرام الصفقات السرية بين الطرفين المتنافسين على نهب أفريقيا دون اعتراض أو علم من أهلها. ولأن العقلية الأوروبية عموماً هي عقلية استكبارية في تعاملها إذ يعتبر الرجل الأبيض أن كل من سواه هو أدنى منه رتبة عقلية وثقافية وحضارية وبالتالي فهو بحاجة إلى راشد ذي عقل راجح ليقرر له مصائره. ولعل الأقدار الإلهية هي التي انتدبت الرجل للقيام بهذا الدور نيابة عن أهل أفريقيا كما هو الحال الآن إذ ترى أمريكا وحلفاؤها أنهم هم الأعقل والأرشد عن أهل أفريقيا كما هو الحال الآسلحة النووية، وأن غيرهم أطفال إذا ملكوا ذلك السلاح عبثوا الخين يحق لهم امتلاك الأسلحة النووية، وأن غيرهم أطفال إذا ملكوا ذلك السلاح عبثوا كعبث الأطفال بالنار. وأن الخمسة أعضاء مجلس الأمن هم أعقل من ولدت البشرية لتقوير مصائر المليارات من البشر غيرهم.

وخلال سنة 1912م هدأت الأحوال على الحدود الدارفورية الوداوية الأمر الذي أدى إلى فتح الطريق التجاري بينهما. حيث غادرت قافلة مكونة من مائة جمل ومائتي حمار متجهة صوب وداي (90) من دارفور.

وقد أشار إلى ذلك السلطان بقوله: (فإن التجار والخواجات الموجودين بالفاشر من شدة ما حصل من المضايقة بعدم المخارج لتسكيك البضائع ألحوا علينا كثيراً ورغبوا في فتح الطريق لحد دار وداي وكان نحن منعنا ذلك منهم خشية من ضياع حقوقهم، فأعطيناهم الإذن بالتوجه ... وخابرنا بهم قائد جنود دولة فرنسا الحاكم بدار وداي، وتوجهوا من يوم 27 شعبان سنة 1330، 11 أغسطس سنة 1912م (91).

177

S.N.A INTELL I/I/3 (هـ) الحاكم العام إلي كتشنر في 25/4/25م (1912م (14مربيع الأول 1330هـ) S.I.R.214/5-6 may 1912l.

⁽⁹¹⁾ السلطان إلى نائب مدير المخابرات 19رمضان سنة 1330هـ (سنة 1913م) S.N.A INTELL 7/2/20

إذن بدأ السلطان على دينار يتعامل مع القوى المحيطة به معاملة الند للند وبصورة استقلالية وأشار إلى أن قطعه للعلاقات التجارية بين البلدين كان من باب الخوف على أمن هؤلاء التجار وبضائعهم من النهب والسلب لعدم امن الطريق. وأشار إلى أن التجار الأجانب قد تضرروا من ذلك كثيراً حيث لم يجدوا طريقاً لتصريف بضائعهم التى اشتروها من دارفور لذلك سمح لهم بالمغادرة بعد أن حصل على ما يفيد بتأمين مسارهم من وإلى دارفور، ومن وإلى وداي. وهذا هو عين المصواب، إذ من مهام الدولة السيادية تأمين الغادين والرائحين اليها، وإن لا فتكون قد فقدت أهم خصائصها السيادية. وحاول السلطان الشهيد على دينار أن يفتح صفحة دبلوماسية جديدة مع السلطات الفرنسية في وداي. ولا يخفى أن مخاطبته المباشرة لدولة أوربية دون أخذ أذن مسبق من الحكومة الثنائية البريطانية يضفي على وضعيته درجة عاليـة من الاستقلالية في رسم سياسته الخارجية وعلاقته بالقوى المحيطة. بيد أن ذلك التوجه لم يكن لينال رضا الحكومة الإنجليزية في الخرطوم لأنه يدعو إلى شك تعاظم لدى الحكومة الفرنسية في تبعيته للحكومة الثنائية البريطانية. ولا شك أن هذا التصرف الاستقلالي من قبل السلطان الشهيد على دينار ظلل يعزز موقف فرنسا في مواجهة بريطانيا في أي مؤتمر دولي بشأن دارفور، لأن مخاطبة السلطان على دينار مباشرة للمسؤلين الفرنسيين في وداي تؤكد على عدم تبعيتــه للـسلطات الانجليزيــة في السودان الشرقي.

- السيد.على الميرغني وجون قرنق:

وكما سبقت الإشارة إلى أن القيادات الوطنية في البلاد الأفريقية كانت ولا تسزّال وستظل ميالة إلى الاستقلال، وهو طبع قبلي مكين حيث أن الحياة الاجتماعية الأفريقية والتركيبة الاجتماعية الأفريقية أقرب إلى البداوة منها إلى الحضر، والسى التكوينسات العشائرية منها إلى التركيبة الوطنية. لأنه ما من دولة أفريقية معاصرة إلا وتضم فسي أحشائها مئات الاثنيات وفي أحسن الأحوال العشرات. لذا فإن هذا الميل الاستقلالي هو فطري مرتبط بالبيئة والنشأة، نلحظ ذلك واضحاً في موقف عسيل الذي قساوم جسيش الاحتلال حال تمكنه من السلطة. وقام بتأييد العناصر الوطنيسة فسي بدايات القسرن العشرين في المساليت. لذلك رأى الفرنسيون أن لا محالة من أيلولة الإدارة المباشرة

إلى أياد فرنسية خالصة دون الاعتماد على عناصر محلية كما تقدم (92). إذ أن الاعتماد على عناصر وطنية لم يعد مأمون الجانب، الأمر الذي يوحى بأن تلك العناصر الوطنية كانت أكثر عمقاً وبعداً في النظر من القيادات السياسية الحالية. إذ كانت تدرك بثاقب نظرها أن الأجانب إذا أعطوك باليمين سوف يأخذوا منك بالشمال وإذا عينوك بالشمال سيخلعونك باليمين وهذا ما قاله على الميرغني للكاتب السوداني حسن نجيلة حينما سأله عن سبب رفضه الموافقة لأن ينصب ملكاً للسودان في العشرينات من القرن العشرين من قبل إنجلتر ا(93). وهو عين ما حدث مع الدكتور جون قرنق الذي ظن الأمريكيون أنه بإمكانهم ترويضه وتسخيره لتحقيق أهدافهم الإستراتيجية في السودان من حيث تقسيمه إلى أربعة أجزاء شمال - جنوب- شرق وغرب سنة 2020م. بيد أن الدكتور جون قرنق بعد وصوله الخرطوم وما لاقاه من ترحيب واستقبال منقطع النظير ودخوله القصر بدأ يتكلم بلغة مغايرة لما قصده الأمريكان فطفق يتكلم عن السودان كل السودان بلهجة واضحة وبرؤية واحدة، وأصبح الشمال يشكل جزءاً من همه كما هو الجنوب من حيث تتميته والعناية به الأمر الذي أزعج الدوائر الاستخباراتية الصهيومسيحية في العالم الغربي وأمريكا على وجه التحديد ذات الأهداف الإستراتيجية في السودان. هـذا السودان الذي يشكل مشروع دولة عظمى في أفريقيا فتم التخطيط بإحكام لإغتيالـــه بصورة درامية أشبه ما يكون باغتيال الأميرة ديانا أميرة ويلز في فرنسا.

- السلطان الشهيد علي دينار ومشكلة الحدود مع تشاد :

وفي الواقع فإن السلطان الشهيد على دينار امتزجت فيه الروح الوطنية بالروح الديني الفياض. ففي اتصالاته مع الوجود الفرنسي بوداي بعث بخطاباته الأخرى مع القوافل التجارية إلى بعض الشخصيات والزعامات الوطنية ذات الوزن والثقل يستفسرهم فيها عن أحوال وداي وعما إذا كان هناك اعتداء من قبل الفرنسيين على قافلة الحج الأمر الذي يجب إعلام المسلمين في السودان بصدده (94) حيث يؤكد هذا التوجه أنه قد انتدب نفسه للدفاع عن المكتسبات الإسلامية وتعيين نفسه حامياً لها.

⁽⁹²⁾ وزير الخارجية البريطاني إلى اللورد كتشنر اكتوبر سنة 1912م (91) S.N.A INTELL المارجية البريطاني المارد كتشنر اكتوبر سنة 1912م

^{(&}lt;sup>93)</sup> (انظر حسن نجيلة: كتاب ملامح من المجتمع السوداني/السودان/الخرطوم/وزارة الثقافة/د.ت). S.N.A. INTELL 1/1/3 (انظر حسن المجتمع السوداني/السودان/الخرطوم/وزارة الثقافة/د.ت). S.N.A. INTELL ا/1/3 (انظر حسن المحرتير الخاص في 13/1/12/13 (21نو القعدة سنة 1330هـــ).

من خلال ما مضى يتضح أن السلطان الشهيد على دينار كان له أجندته الخاصسة والموضوعية من فتح الطريق التجاري بين البلدين. وأنه من خلال هذه النافذة التجارية كان يهدف إلى استنهاض الهمة الوطنية التشادية ضد الاحتلال الفرنسي الغادر. كما أن الاتصال بالعناصر الوطنية المسلمة في وداي يدل على أن السلطان الشهيد على دينار كان يأمل في استنهاض الهمم في تلك البلاد. وأن اهتمامه بقافلة الحج ينبع من دور السلطنة الرائد في حماية الحجيج القادم من غرب أفريقيا عبر دارفور منذ عهد أجداده وآبائه الأوائل منذ نشأة هذه السلطنة الإسلامية ذات التاريخ والأمجاد والدور الفاعل في أفريقيا، فكأنه أراد بذلك الحفاظ على تقاليد السلطنة وإحياء مراسمها.

ولهذا الأمر دلالته الوجدانية. ففيه تحديد لهوية السلطان الشهيد على دينار، حيث أراد أن يثبت حقه في الدفاع عن الإسلام وقضاياه وشعائره ومكتسباته التاريخية والثقافية وحماية الخارجين في سبيل الله ابتغاء مرضاته.

ويدل ذلك على أن البواعث الدينية لديه كانت ذات جذور أصيلة. وأن شيعوره بالمسؤولية إزاء المسلمين وقضاياهم لم تكن وليدة لحظات ضعفه. كما أن استمساكه بالدين لم يكن ملاذا اعتصم به حين فقد الحول والطول. كما حاولت الكتابات الغربية وأقلام الاستخبارات العميلة أن تصفه به. وهذا شان استعمارى قديم حديث معاصر. إذ يمكن أن يتغاضى الغرب عن سوءة الدكتاتوريين وجلادي الشعوب والظلمة إذا أيدوا الإستراتيجية الغربية ونفذوا الإستراتيجية الاستعمارية، ويمكن لهؤلاء الصهيومسيحيين أن يلوثوا ويلطخوا سمعة ابرأ الخلق وأطهرهم إذا وقف ضدهم وكشف دسائسهم. وإذا أردنا البرهنة على هذا الأمر فإن القائمة ستطول والناظر إلى أحوال وتاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر يصاب بالغثيان من كثرة هذه النماذج العميلة والخاننة ولحطانها والخارجة على دينها بنعومة ووقوف الغرب بقصه وقضيضه معها ولصالحها. وفي المقابل نجد أن حملاته المسعورة وأكانيبه الفاضحة وأباطيله الفاجرة ولينال ضد كل شريف حر يبتغي الخير والسؤدد لبلاده حيث يصف كل مدافع عن وطنه ودينه وقومه بالإرهابي، وكل خائن عميل جبان بالبطل القومي والقيادي الحر والمدافع عن حقوق الإنسان. وهذه هي الصورة المقلوبة في عصر الانترنت والأقمار الصناعية والفضائيات والصحف الصفراء والإعلام المأجور المأزور.

ويبدو أن دعوة السلطان الشهيد على دينار للجهاد (1914-1916م) لــم تكــن طارئة وإنما كانت أصيلة وكانت حساسيته تجاه الــصليبيين الأوربيــين المــستعمرين مرهفة. ولاشك هم عكس إخوتنا الأقباط الذين عايشوا المسلمين وعايــشهم المــسلمون قروناً طويلة دون حساسية وإنما تعاملوا مع بعضهم الآخر كأهل بيت واحد دون تفرقة أو عصبية وهم حتى اليوم في حي المسالمة بأم درمان وفي كثير من أحياء أم درمان والخرطوم بشقيه يتعاملون مع إخوتهم المسلمين بالــسودان معاملــة الأخ لأخيــه دون تفرقة تينية وبصورة متفردة يحسدهم عليها أعداؤهم.

وفيما يتصل بالنزاع القائم بين الطرفين القوات الفرنسية بوداي وسلطنة دارفور لا زال السلطان الشهيد على دينار يعلق آمالاً عريضة على الحلول الدبلوماسية. ولا تزال فرنسا تدعى حقاً لها في كل من دار تاما ودار مساليت وتذهب الحكومة الثنائية البريطانية ووجهة النظر الإنكليزية إلى الاعتراف أولاً بأن دار مساليت ودار تاما هما جزء لا يتجزءان ولا ينفصلان من دارفور ثم المفاوضة (95).

في هذا الوقت أراد السلطان الشهيد على دينار أن لا يقف مكتوف الأيدي لا سيما أمام التسويف الفرنسي والاعتداءات المتكررة التي لم تتوقف ولو إلى حين رغماً عن هذه المساعي الدبلوماسية. لذا دأب على خلق طابور خامس داخل وداي. فراسل الشيوخ والأعيان في وداي يحثهم على الثورة والتمرد ضد القوات الفرنسية المحتلة. ولضمان نجاح نشاطه السياسي وتأمينه فتح باب علاقات تجارية مع السلطات الفرنسية لخلق مظلة شرعية لنشاطه و لإخفاء أجندته. وشعرت الحكومة الثنائية البريطانية بدقة الموقف خوفاً من أن يفلت زمام الأمر من يدها. وأن تتجح دولة فرنسا في فتح حوار مباشر مع السلطان الشهيد على دينار مما يبطل مفعول الوجود الإنكليزي في المفاوضات. لذا لامه سلاطين باشا على عدم إخباره بما جرى بقوله: (أن هذه الأخبار وصلت إلينا من حكومة فرنسا ... وإني أطلب منكم أن تكونوا على الحذر دائما

= 181

⁽⁹⁵⁾ الحاكم العام إلى اللورد كتشنر في 23نوفمبر سنة 1912م (12نو الحجة سنة 1330هـــ) S.N.A INTELL I/I/3

ولا ترسلوا خطابات إلى جهة حكومة فرنسا. لأن الحكومة هناك تدعي أنكم تراسلون السلاطين هناك بجوابات فيها الكثير من المطاعن والانتقاد على حكومة فرنسا وتحقيرها (96)). إن هذا الخطاب بمفرداته المنظومة بعناية يؤكد على أن السلطان الشهيد على دينار بدأ يتحرك بفاعلية واستقلالية تامة وبعيداً عن وصاية الحكومة البريطانية الثنائية وعن رقابة جهاز الاستخبارات الفرنسية وعملائه بغية التأثير على الوطنيين في تشاد للثورة على الوجود الأجنبي في البلاد. وكانت الحكومة الفرنسية عن طريق استخباراتها ظلت ترقب هذا التحرك بحذر وإن لم يملك دليلاً قوياً يؤكد أو ينفي. وبدأت تشعر بخطورته وأثره على وجودها، ولذا حاولت الطلب من الحكومة الثنائية البريطانية في الخرطوم إيقافه عند حده.

- دارفور البديل لدول الخليج في الإستراتيجية الأمريكية:

يبدو أن القوات الفرنسية كانت من جانبها تتنطل الأسباب لتبرير هجماتها على أراضي دارفور. فمن ذلك هجومها غير المبرر على قبيلة الزغاوة الذي أشار إليه السلطان الشهيد على دينار مبيناً ملابسات ما جري بقوله: (... والسلطان عبد الرحمن مزني بشارة الزغاوة الكباري بالنظر لأنه مرضان مرض شديد عليل الفراش ... فلا يشعر إلا وقد هجموا عليه جنود دولة فرنسا بيوم الاتتين الموافق 22 ذو الحجة سنة 1330ه. وفي الحين قتلوه وجميع من وجدوه معه لم يفلت منهم أحد وبوقت رجعوا.... أن جنود دولة فرنسا يصيلوا (يهجموا) علينا في كل وقت ويهجموا ويقتلوا رجالنا ثلة بعد ثلة فلا راحة لنا من جهتهم. وعجلوا بما يطمئن البلاد من جهة دولة فرنسا وأن لا أتركونا نموتوا معهم فلا أسفاً علينا إذا متنا في ديننا (٥٩). كلمات ذات دلالة موضوعية وتاريخية هامة إذ تتم عن رجولة وعن نصاعة مبادئ وقسيم، لينت الأحفاد يدرسوا هذه المفردات ويتعاطوا معها بموضوعية وبعقلانية وبواقعية، فدارفور كانت في تاريخها الحديث الناصع ترى أن دورها هو حماية البيضة وحماية الثغور

S.N.A INTELL 7/3/13 (أولى 1330 المنطان في 1912/11/25م (في 14نو الحجة سنة 1330هـ) 1912/11/25 السلطان على دينار إلى سلاطين باشا النمساوي في 1912/12/10 (نو الحجة سَنة 1330هـ) (97) السلطان على دينار إلى سلاطين باشا النمساوي في 3.N.A INTELL 7/2/14

لا أن تفتح أبوابها لشذاذ الآفاق ليعبثوا في دارفور القرءان، دارفور السلطان، دارفور الأمجاد، دارفور التاريخ. وليس كما هو الحال الآن مع القيادات السياسية التي فقدت توازنها العقلى والاجتماعي والأخلاقي والموضوعي والسياسي إما طمعاً في دخولها فى (كيكة) السلطة أو تخطيطاً لخروجها منها. فاستجابت بغباوة وببلادة تاريخية وبغياب وعى وبفقدان رشد قيادي لأجندة خفية تريد استعادة دورات التاريخ في السودان مرة أخرى في ثوب استعمار استغلالي جديد تحت مسميات جديدة وبأثواب جديدة وبادعاءات جديدة أيضاً نتيجة غفلة من أهل وأبناء دارفور أصحاب المصطحة الحقيقية في استقرار وتنمية ورفاهية دارفور أكثر من غيرهم. لأن من لا يعلم ينبغي أن يعلم بأن دارفور في الإستراتيجية الأمريكية الصهيومسيحية الجديدة هي البديل لدول الخليج التي اتقدت فيها نار الحرب نتيجة حسابات أمريكية خاطئة، ونتيجة معلومات كانبة وعجزت أمريكا وحلفاؤها عن إطفائها هذا بالإضافة إلى أن مخزون دول الخليج النفطى في طريقه إلى النفاد. ودارفور الحالية تتربع على بحيرة نفط وثسروة معدنيسة هائلة وتجاور إقليم مثلث أوزو من الشمال الغربي وهي مثلث غني باليورانيوم، هــذا بالإضافة إلى أن دارفور تحتل موقعاً غنياً بالمياه الجوفية على بُعد عقلة أصبع، وتوجد بها تربة زراعية خصبة، وهي مؤهلة لأن تحل محل دول الخليج بالنسبة لمشروع الهيمنة الأمريكية الصهيونية في المنطقة.

-مشكلة الحدود وبوادر الحرب الأوروبية الأولى:

تعددت الاعتداءات الفرنسية على دياره لذا حاول الاستعانة بقوى أوروبية وعلى عليها آمالاً كبيرة لإنقاذه مما هو فيه. وعلى الصعيد المحلي لم يأل جهدا في القيام بتعبئة شعبية داخل بلاده لمواجهة الموقف بأن أعد جيشه. وفي المجال الإقليمي الخارجي حاول الاتصال بالقيادات الشعبية الوداوية بغية أثارتها وإقناعها لإعلان العصيان والتمرد ضد الحكم الفرنسي في البلاد.

أما سلاطين باشا لازال يكرر دندنته القديمة بأن المساعي السلمية الدبلوماسية ستؤتي ثماراً دانية. بيد أن انشغال الدول الكبرى بقضية الحرب في البلقان بين تركيا ودول البلقان هو الذي أخر بحث المسألة (98).

ولكن رغما عن هذه الأحداث التي زعم سلاطين باشا أنها شعلت الساحة الأوربية، فنالت كل اهتمام الدول الكبرى فإن الاعتداءات الفرنسية على حدود دارفور لم تنقطع لعل آخرها كان على حدود التعايشة أشار إليه السلطان بقوله: (إن فرقة من جنود فرنسا هجمت عليهم وأخنت جملة أموالهم ولا نعلم بالأسباب التي جرت على ذلك (99). الأمر الذي يعني أن فرنسا لا تزال سادرة في غيها وفق إستراتيجية محددة غايتها إضعاف قوة السلطان الشهيد على دينار وإثبات حق لها على أرض الواقع في دارفور يمكن أن تتال به كسباً وشرعية في المؤتمرات الأوروبية في مواجهة عدوها اللدود بريطانيا.

وفي الوقت ذاته درجت فرنسا على التلويح بموافقتها على طرح الأمر على الوسطاء ليكونوا حكماً في الخلاف القائم فيما بينها وبين سلطنة دارفور على أن لا يكون السلطان الشهيد على دينار طرفاً في التمثيل الدبلوماسي للمناقشة (100). مما لاشك فيه أن إسقاط السلطان الشهيد على دينار من أن يكون رقماً رئيسياً في المفاوضات هي محاولة القصد منها إسقاط واقعه التاريخي وحقه الطبيعي في هذه المنطقة وهي خطة مرسومية تسير بخطى وئيدة. وهذه المحاولة الفرنسية تتبئ عن المنطقة وهي خطة مرسومية تبين إرادة أصحاب الحق الأصليين عن مناقشة قضاياهم المصيرية على أن تقوم الدول الأوروبية المحتلة برسم مستقبل هذه البلاد بذات القدر الذي قامت به من قبل حين قسمت القارة الأفريقية إلى مناطق نفوذ فيما بينها، وغيبت أهل أفريقيا تماماً في مؤتمر برلين سنة 1884–1885م.

⁽⁹⁸⁾ سلاطين إلى سلطان في 1913/1/21م (1 اصغر سنة 1331هــ) S.N.A. INTELL 7/3/4

⁽⁹⁹⁾ السلطان إلى سلاطين في 31/3/31م (23ربيع الأول سنة 1331هــ) S.N.A. INTELL 7/2/15 (مايو سنة 1331هــ) S.N.A.INTELL.1/1/3 (استاك إلى الحاكم العام امايو سنة 1913م (24جمادي الأولى سنة 1331هــ)

ولا يخفى أن الموافقة على هذا الاقتراح من قبل الحكومة الثنائية البريطانية يعتبر مخالفاً جملة وتفصيلاً لما قطعته من وعود للسلطان الشهيد، وفيه استبعاد صريح وغير مبرر لصاحب الحق من تقرير مصيره. ولو كانت بريطانيا حريصة على مصطحة البلاد وأهلها لما رضيت بهذا الاقتراح ولكنها كانت تعلم علم اليقين أن حضور السلطان الشهيد على دينار سيعزز من موقفه وسيوطد نظامه وإرثه التاريخي في دارفور. وقد يجعل الأمر يخرج من السيطرة ولربما كان ذلك اتفاقاً سرياً بين الدولتين المحتلتين.

واقترحت الخارجية البريطانية اللورد كتشنر ليكون ممثلاً لبريطانيا في مائدة المفاوضات (101). أما أهل البلاد، أهل الحق الأصيل فهم مغيبون عن حق تقرير مصيرهم!! كما أن هناك إصراراً متعمداً على إبعاد العناصر الوطنية من مائدة المفاوضات فيما يتصل بتقرير مصير هذه المنطقة وهو شأن استعماري استغلالي قديم حديث.

وفي مايو 1913م تأكدت الحكومة الثنائية البريطانية من صحة المعلومات التي أوردها السلطان قبل شهرين من أن الفرنسيين قاموا بهجوم على منطقة وقبيلة التعايشة (102). وكأنهم أرادوا بذلك أن يدخلوا إلى قاعة المناقشة وأن يجلسوا على مائدة المفاوضات وهم في موقف قوة ولهم وجود على الأرض. وبالتالي أرادوا أن يؤكدوا بأن لهم شرعية الأمر الواقع في حالة الوصول إلى تسوية بين الدولتين في تقسيم (كعكة) دارفور وهو أسلوب قديم حديث اتبعته كثير من الحركات المعاصرة وحركات التمرد ضد حكوماتها قبل الجلوس على مائدة المفاوضات.

وفي يونيو سنة 1913م أعد سلاطين باشا مذكرة تفصيلية بشأن النزاع الدارفوري الفرنسي على الحدود بين كل من دارفور ووداي. وبرهن في هذه المذكرة بالبراهين القطعية وبالأدلة التاريخية على تبعية كل من دار مساليت ودار تاما لدارفور. كما ركز على أهم النقاط التى تثبت ذلك الحق التاريخي وحصرها فيما يلي:

⁽¹⁰¹⁾ المصدر نفسه.

أولاً: أن الذين حكموا في الفترة ما بين (1874م- 1884م) لا يزالون أحياء ويمكن استجوابهم عن طريق الوسطاء في لجنة التحكيم الدولية. وهذه حجة لا تستطيع فرنسا استبعادها.

ثاتيا: أن جامعي الضرائب من هذه المناطق لا يزالون على قيد الحياة وبالتالي يمكن استدعاؤهم واستجوابهم. وهذه في درجة الحجة السابقة في مجال الإثبات لا يمكن لفرنسا رفضها أو عدم التسليم بصحتها.

ثالثا: أن الحرب التي دارت بين وداي ودار تاما كانت بشأن المياه التي على الحدود. ولو كانت دار تاما تابعة لوداي لما دارت هذه الحرب المذكورة و لا معنى حينئذ لورود عبارة حدود.

رابعاً: أن هناك نقطة على الحدود بين دار تاما ووداي يحجز عندها المسافر حتى يأخذ الإذن ذهاباً وإياباً. مما يعني أن دار تاما هي حد لدولة أخرى خارج وداي، وان لا لما كان هناك من معنى لحجز المسافر من الغرب إلى الشرق عند هذه النقطة بالذات دون غيرها. وهي حجة قوية لا تقل درجة عن سابقاتها.

خامسا: قرية (بورو) التي حاول سلطان وداي في الجزء الأخير من القرن التايسع عشر أن يجمع منها الضرائب فدارت بين الفريقين الوداوي والدارفوري حرب من أجل ذلك لتبعيتها لدارفور.

سادسا: تيربيبا والتي أنشئت إلى الغرب من خط الاتصال تيرقا (Terga) مـع وداي اسنغا (Asunga) لتحديد أقصى نقطة نحو الشرق لحدود سلطنة وداي (103).

لا تخفى أهمية وقوة هذه النقاط التي برهن بها سلاطين باشا على صحة دعواه والتي تثبت تبعية كل من دار تاما والمساليت لدارفور. ومن الوجهة التاريخية تسكل حججاً دامغة وبراهين قاطعة. وفي تقديري أن المسالة ليست بهذه السذاجة أو تلك البساطة فهي قضية أطماع استعمارية احتلالية في المقام الأول في المنطقة، وبناءً على

⁽¹⁰³⁾ مذكرة أعدها سلاطين في 6/3/6/30م.

دعوى أوروبية باطلة تؤكد على أن أفريقيا هي منطقة خلو وملك مباح للرجل الأبيض يعبث ويمرح فيها كما يشاء، ولذا هجمت عليها القوى الأوروبية هجمة الوحوش الضارية والأسود الكاسرة كما هي الحال الآن. بيد أن الأفارقة بالرغم من هذه العبر التاريخية والمفردات والبينات والمعطيات الجليات حتى اللحظة لم يدركوا أبعاد اللعبــة الغربية وخبثها وإستراتيجيتها. ونحن في السودان عموماً وفي منطقة دارفور نعاني من غيبوبة وعي تاريخية من حيث التعاطي مع الأحداث والوقائع التاريخية والقراءة الذكية والوعى التاريخي لما كان وما هو كائن وما سيكون فمع الماضي نتعاطى معه بغباء وبلادة ومع الحاضر نتعامل معه بغفلة وعدم مبالاة أما عن المستقبل فهو غيب لا يعنينا التخطيط له أو مجرد التفكير فيه وتحكمنا مقولة خاطئة (أنفق ما في الجيب – يأتيك ما في الغيب) دون تخطيط أو دراسة، ونتعاطى مع الحاضر بعدم مبالاة واكتراث ينهمـر عليك الغيب كيف ما كان دون استعداد أو تأهب، عقلية غريبة وعجيبة ووجدانيات أسطورية تشكل الشخصية السودانية والعربية والأفريقية الحاضرة وللخروج من هــذا الوحل الوراثي المزروع في وجداننا لابد من إجراء عملية جراحية ثقافيـــة ووجدانيـــة فكرية تهز الموروث والمفروس هز مريم للنخلة حتى يتساقط خبث ما ورثناه وننستج ثماراً جديدة ونخلق واقعاً جديداً وعقلية جديدة ورؤية جديدة تستمكن مسن أن تسستثمر الماضى بذكاء وتتعاطى مع الواقع بجرأة وشجاعة وثبات ووعيى ومع المستقبل بتخطيط وبإستراتيجية ودراسة. ومن جانب آخر أعدت الحكومة الثنائية البريطانية هذه المذكرة بغية تقديمها لمؤتمر الوسطاء. بيد أن القضية بالنسبة لفرنسسا ظلت قصنية إستراتيجية عسكرية بالدرجة الأولى في المنطقة، وقضية توسع استعماري استغلالي وجوعة عارمة للحصول على مستعمرات لا تردها الأبلية ولا البراهين المنطقية والأطماع الاستعمارية هي شهوة، والشهوة تغيب العقل وتعطل المنطق فمتى كان الغربيون عقلانيون في هذا الجانب؟ ومتى كانوا عبر تاريخهم الحديث والمعاصر منطقيون وصادقون مع أنفسهم ومع غيرهم في هذه القضية أو تلك إذا تعارضت مسع مصالحهم؟ فهذا طرح الديمقراطية، والحقوق المدنية، والمساواة كلها بالونات فارغـة المحتوى والمدلول حين تتعارض مع مصالح وإستراتيجية الغرب. فهذه الجزائر وتلك

= 187 =

تركيا تقوم فيهما انتخابات حرة ونزيهة بشهادة الغرب. ولكن ما أن تأتي بما لا يتفق مع مزاج الغرب لا يعترف. وهذه فلسطين بحماسها. والقائمة قد تطول!! لأن النهمة الاستغلالية الاستعمارية منطقها القوة ودافعها الأطماع. وما قدمته الحكومة الثنائية البريطانية لم يكن من أجل عيون السلطان الشهيد على دينار بل من أجل إثبات حق النفوذ لها في هذه المناطق. ولربما هذا ما حدا بها في النهاية إلى أن تتجاهل تمثيله في مفاوضات تقرير مصير بلاده. رغما عن الوعود التي قطعتها على نفسها تجاهه وله.

هذا ودون استحياء أخذت فرنسا في عزو كل الاضطرابات في المنطقة إلى وجود السلطان الشهيد على دينار. وبدأت تتتحل أسباباً عديدة تبرر بها ضرورة غزو دارفور. وتطلعت إلى اكتساح دارفور وإيعاد السلطان الشهيد على دينار عن مسرح الأحداث. وقدمت مقترحاً بهذا المعنى للحكومة الثنائية البريطانية للقيام بعمل مشترك في هذا المجال. إلا أن الحكومة الثنائية البريطانية لم تكن مهيأة لذلك، لذا لم تبد موافقتها (104) على الاقتراح الفرنسي، ولربما تخوفت الحكومة البريطانية من هذا الاقتراح لللا ينسحب عليها فيما قامت به إزاء خديوية مصر فيصبح لفرنسا حق تاريخي وقانوني وشرعى في أجزاء من دارفور بذات الدعوى التي تمكنت بها انجلترا من السودان.

إذن القضية كما سبق فهي ليست قضية إقناع أو حق مشروع بحاجة إلى إثبات بقدر ما هو تغول على حقوق شعوب بأكملها. وكان من قدر السلطان الشهيد على دينار في هذه الفترة الخرجة أنه قد تولى مسؤولية قيادة المقاومة الوطنية الأولى في بالده وفي السودان عموماً. هذا في وقت تكالبت فيه القوي الاستعمارية على المنطقة. ورأت أن لا حق لأهل البلاد الأصليين في إدارة بلادهم أو تولى مسؤولياتها. وفي ظل هذا المفهوم فالويل والثبور لمن يقاوم.

مرة أخري حاول السلطان أن يكسر الطوق وأن يجري مفاوضات مباشرة مع القوى الفرنسية المعتدية. فقام بإرسال خطابين في يوم واحد يشكو في أحدهما بقوله: أن اعتداءات جرت بين قبائل في دارفور، وما أن تغلب فريق حتى وجد طريقه إلى

⁽¹⁰⁴⁾ المخابرات القاهرة في المجابرات المجابرات المجابرات القاهرة في المجابرات القاهرة في المجابرات ا

الفصل الخامس علاقات السلطان الشهيد على دينار بوداى دار سلا التي وقعت تحت الحماية الفرنسية فراراً من وجه العدالة. فيأمل أن ترد إليب الأموال والهاربين (105).

ولم يقف الأمر بالنسبة لفرنسا عند حد الاعتداء على حدود سلطان دارفور الغربية وإنما تجاوزته إلى تشجيع عملائها على تجاوز حدوده. فمن هـؤلاء بخيـت سـلطان دار سلا. وأشار السلطان الشهيد علي دينار في خطابه الثاني للقائد الفرنسي إلـى أن بخيت سلطان دار سلا قد اعتدى على حدود دارفور وأكد لـه بأنه سـوف لا يعتـدي على أحد تحت إدارة وحماية الحكومة الفرنسية ما لم يخطرها لردعه وأن لا فـ: (إني أعامله بمثل فعله أن حصل لـه مني شيء فلا تلوموني وما تعملوه يفادنا منكم) (106).

وفي مقابل هذا السلوك الحضاري والمطالب العادلة لردع المعتدين وتقويم الخارجين على النظام والقانون قامت القوات الفرنسية بالتوغل مرة أخرى في حدود دارفور. إمعاناً في تنفيذ إستراتيجيتها القاضية بإحراج الحكومة الثنائية البريطانية لاتخاذ خطوة إيجابية إزاء احتلال دارفور عن طريق عمل مشترك بين الدولتين العظميتين دون علم ومعرفة أهل البلاد الأصليين وتقسيم المنطقة بين الطرفين في جلسة مفاوضات شأن الضياع الأفريقية الأخرى التي تم احتلالها والاستيلاء عليها عنوة. ووصلت القوات الفرنسية هذه المرة ودون مقدمات أو إنذار حتى حدود الزغاوة مما أثار حفيظة السلطان الشهيد على دينار. هذا في الوقت الذي يلح فيه سلاطين باشا على السلطان الشهيد على دينار بالتحلي بالصبر ويوحي إليه بأن القضية في غايسة البساطة إذ يمكن حلها عما قريب. ويؤكد له بأنه قد بسط الأمر برمته وتفاصيله لسعادة الحاكم العام والمندوب السامي البريطاني اللورد كتشنر (107).

ولكن يبدو من خلال المراسلات التي تقدمت الإشارة إليها والصادرة من السلطان الشهيد على دينار إلى القائد الفرنسي أن السلطان بدأ يفكر جدياً في إجراء المفاوضات

⁽¹⁰⁵⁾ السلطان إلى الكولونيل الفرنسي في 4/18/1913م (25 جمادي الأولى سنة 1322 هـ). S. N. A. INTELL. 7/4/1

⁽¹⁰⁶⁾ المصنر نفسه. (107) سلاطين إلى السلطان في 1913/4/25م (30 جمادي الثانية سنة 1322هـــ).

المباشرة مع الفرنسيين وفكر في تجاوز السقف الثنائي البريطاني، بعد أن استبان له عدم جدية الحكومة الثنائية البريطانية وتكرار وعودها الكاذبة له، وقدر في قرارة نفسه أن هذه المفاوضات المباشرة قد تكون أجدى حيث رأى أنها أدعى لحسم الأمر، ولربما من ناحية أخرى يمكن القول بأنه قد فقد الثقة في دندنة سلاطين باشا ووعوده التي لا تعدو عن كونها سراباً بقيعة.

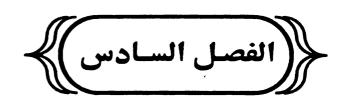
وفي فبراير سنة 1913م سبق أن أغلق السلطان الشهيد على دينار حدوده مع وداي تماماً وأوقف تجارته الخارجية معها (108). الأمر الذي يدل على حدوث تطورات هامة. وإحساس بالغ بالخطر من قبل السلطان الشهيد على دينار إزاء القوات الفرنسية التي لا هم لها سوى الاعتداء والسلب والنهب.

ربما كان ذلك من الدوافع القوية التي جعلت السلطان يعيد النظر في علاقات بالقوى الأوربية المحيطة به من الفرنسيين في الغرب والإنجليز في الشرق. وبالتالي ألقى بنظره بعيداً عن هذه القوى التي تضمر له العداء، وتتطلع في كل لحظة إلى القضاء عليه، والتي لا يجمعها معه دين ولا أهداف ولا إستراتيجية ولا وطنية. لذا كان من الطبيعي أن يلبي نداء الجهاد الصادر من قيادة السلطنة العثمانية ضد أعداء الإسلام من إنجليز وفرنسيين. هذا إذا علمنا أن الروح الديني والحس الإسلامي كان عميقاً في نفسه. وأن الأثر المهدوي لا يستبعد أن يكون قد ترك بصماته الواضحة على شخصيته ونظرته للأوربيين عموماً من حيث عدم الثقة بهم والركون إليهم. ففقدان الثقة الدائم فيمن حوله من قوى أوربية وشعوره وإدراكه العام لأبعاد أطماعها في بلاده، وتساوده واحداده بالروح الاستقلالية، وتشبعه بفيض إيماني عميق بدينه وتراثه، وتسلحه بالدين واعتداده بذاته وبإرثه التاريخي والحضاري يعتبر ذلك كله من أقوى العوامل التي شجعته لتلبية نداء الدعوة الجهادية في العالم الإسلامي وجعلته يقف وحيداً في الساحة الأفريقية والعربية والإسلامية في هذه المنطقة ضد الأطماع الأوروبية الاستغلالية. وكان على استعداد كامل للتعاون مع أية قوة إسلامية ناهضة في المنطقة لطرد النفوذ الأجنبي من استعداد كامل للتعاون مع أية قوة إسلامية ناهضة في المنطقة لطرد النفوذ الأجنبي من استعداد كامل المتعاون مع أية قوة إسلامية ناهضة في المنطقة لطرد النفوذ الأجنبي من المنطقة ومن بلاد الإسلام.

(108) S. I. R. 247/7. Feb. 1915.

- فقاعة تدويل قضية دارفور والمصالح الأمريكية :

لاشك أن هذه الصفحات المشرقات من تاريخ السلطان الشهيد على دينار وحكمــه لدارفور إضافة إلى الأحداث التي شهدتها دارفور خلال تلك الحقبة الهامة من تاريخها ومن تاريخ المنطقة العربية والأفريقية تشكل أرضية صلبة وقاعدة راسخة ومعطيي متفردا يتطلب دراسة وتأملاً من قبل أبناء دارفور وقياداتها الحالية بعيداً عن المؤثرات الخارجية لتشكيل رؤية حاضرة، واستشراف مستقبلي لهذه المنطقة التسي احتلت الصدارة عالمياً في الآونة الأخيرة بسرعة الصاروخ مقارنة بغيرها من القضايا المحلية (كمشكلة الجنوب مثلاً) والقضايا الإقليمية. وخلال ثلاثة أشهر فقط ومن غير أي مقدمات منطقية وصلت قضية دارفور إلى مجلس الأمن الدولي، وطرحت باعتبارها قضية عاجلة مما يعنى أن هناك أجندة خفية حول هذا التصعيد، وإن الدول الكبرى ذات الشأن في نجلس الأمن وذات المصلحة الحقيقية في دارفور بإمكانها وقدراتها ومخزونها هي التي دفعت بهذه القضية بهذه السرعة إلى السطح وللأسف فقد وجدت من أبناء دارفور من يستجيب لهذا الطرح وهذا التصعيد ومبرراته الغريبة بدون وعي. ويتم استقطابه بإستراتيجية وبعقلية غربية تستخدمه إلى حين، وما أن تحقق أهدافها من خلاله حتى ترمى به في مزبلة العملاء. وتعتبره بطاقة محروقة كشأن كثير من العملاء والمغفلين في التاريخ الحديث والمعاصر في دول العالم الثالث. وأن أجيال اليوم بمختلف اتجاهاتها وأعرافها ومواقعها الجغرافية والثقافية والسياسية ينبغي أن تقرأ مفردات هذه المنطقة ذات الأهمية التاريخية والحضارية والثقافية والعرقية بوعي تأريخي يقظ وبحس عقلاني متقد راشد. لأن ما يحدث اليوم من سيناريوهات وأدوار لا يعدو عن كونه صدى الأحداث الأمس. وإن أي محاولة اليوم أو غداً أو بعد غد لجر دارفور لحرب أثنية أو عرقية أو حرب تطهير عرقى لا تعدو عن كونها معولاً لهندم أمجاد هذه المنطقة التي تمكنت باقتدار وبفاعلية أن تغدو بوتقة انصهار لمدة خمسة قرون من الزمان نتجت عنها شخصية سودانية متميزة ثقافة ووجوداً وفكــراً وروحـــاً وخلقاً وقيماً وأعرافاً. وأن وصف ما يدور في دارفور الآن بأنه حسرب بسين عسرب وزنوج هو ضرب من الهرطقة الصهيومسيحية الأمريكية، وقدر من الجنون ومستوى من العمالة المغلفة التي ترمى إلى ضرب السودان في أهم مفاصله التاريخية التي يستمد منها وجوده. وقد ظللت أكرر هذه النغمة في أكثر من طرح وفي أكثر من ندوة ومؤتمر داخلي وخارجي، وفوجئت في يوم 2007/5/2م وأنا استمع إلى إذاعة لندن (BBC) وفي تقرير مطول عن الصفحة الأولى لـصحيفة (الغارديان) البريطانيـة الصادرة في ذات اليوم وفي مقال افتتاحي لها تحت عنوان (دارفور) كما أكد المديع فتحدث عن طبيعة مشكل دارفور الحالى حيث أرجع المصدر الأمر إلى أنه صدراع ثقافي ذو طبيعة سياسية أكثر منه عرقي وأثني، ونفى أن يكون الصراع عرقياً بحال من الأحوال كما حاولت بعض الجهات المغرضة سواء من العاقين من أبناء دارفور أو من الجهات الصهيونية والغربية الاستخباراتية التي حاولت عبثًا أن تصف ما يدور في دارفور بأنه صراع عرقي أثني. وهذا ما أكدت في أكثر من مناسبة على عدم إمكانية وجوده في دارفور بالذات، دارفور القرءان، دارفور النفير، دارفور الفرع. ولأن ما ينبغي تأكيده أولاً: أنه لا توجد عرقية خالصة في أفريقيا في طولها وعرضها في شرقها وغربها في شمالها وجنوبها وفي وسطها، فالعرب جاءوا رجالاً بدون نساء فتزاوجوا من أهل البلاد الأصليين وإذا أخننا بنسبة مئوية فان الـساميين جـرت فـي عروقهم دماء حامية وان الحاميين جرت في عروقهم دماء عربية ويمكن الرجوع إلى كتابنا بهذا الصدد - العلاقات المكية السودانية عبر التاريخ - لاكتشاف حقائق هذه النماذج وأن بروز مفاهيم القومية والعنصرية والعرقية هي مفاهيم مستوردة غربيسة على ماضينا وتاريخنا وموروثنا الثقافي والديني والروحي والاجتماعَى حتى أن الفكــر القومي في العالم العربي هو صنيعة صهيومسيحية جاء بها ثلاثة شبان مسيحيين إلى العالم العربي بعد أن تجاوزت أوروبا هذه الفترة ولعل مشكلتنا الأساسية أننا في العالم الإسلامي والعربي انطباعيون انفعاليون استجابيون بسرعة لأي طـرح دون وعـي، ودون تفكير ورؤية وتمحيص. لأن عقولنا في إجازة إلى أجل غير مسمى منذ أن سلمنا بأننا نحن الأدنى وأن الغرب هو المتقدم وهو نافذة الحضارة. وبالتالي فان الشعور بعقدة النقص هي التي أفقدتنا عن الفعل الصالح والقول الطيب. وأصبحنا ببغاوات في أحسن أحوالنا نردد كأننا الصدى كالإناء الفارغ لما يدور في الغرب. ومن المعلوم أن الدعوات القومية التي ظهرت في المشرق الإسلامي كان القصد منها الفت في عصد الدولة العثمانية التي ظلت اختلفنا أو اتفقنا حول دورها ووظيفتها ومكانتها تشكل مظلة إسلامية ومأوى يحتمي به أهل الإسلام بغض النظر عن طبيعة الممارسة والغرب والبعد من المنال الإسلامي المرتجى وهدم الحصون من داخلها.



العملاقات بيسن دارفسور والحسجاز

الفصل السادس

العلاقات بيسن دارفسور والحجساز

ان صلة سلطنة دارفور الإسلامية بأرض الحرمين صلة طبيعية ذات بعد تاريخي وحضاري وديني وروحي في المقام الأول درجت عليها اغلب الممالك الإسلامية الأفريقية والسودانية على وجه الخصوص في العصور الإسلامية الوسيطة والحديثة والمعاصرة. وذلك بسبب وجود الحرمين في هذه البلاد بسبب الحج الركن الخامس من أركان الإسلام والذي يحتل مكاناً خاصاً في قلوب مسلمي شمال وغرب أفريقيا وبلاد السودان⁽¹⁾. ولوجود مثوى الرسول (ﷺ) بالمدينة المنورة والذي له طعم وأشواق ومذاق خاص عند أهل السودان وغرب أفريقيا عموماً. حتى أن أهلنا الطيبين في السودان من حج ولم يذهب لزيارة قبر الرسول (ﷺ) أن حجه في شيء من العوام يعتبرون أن من حج ولم يذهب لزيارة قبر الرسول (ﷺ) أن حجه في شيء من النقصان بل يعتبر منهم أن ذلك جفوة لا تليق بإنسان مسلم يذهب إلى تلك

كما أن مرور طريق حجاج غرب أفريقيا عبر السودان الحالي (سودان وادي النيل) عن طريق البحر الأحمر لا سيما بعد قيام الممالك الإسلامية في السودان النيلي والتي كانت بمثابة تعويض فعلي لما فقده المسلمون في الأندلس، ودلالة موضوعية على قدرة أمة الإسلام على الإبداع والإنجاب والاستمرارية في العطاء دون انقطاع. هذا بالإضافة إلى طريق شمال أفريقيا الذي ربط سلطنة دارفور تلقائياً بحركة الحجيج. وبالتالي لقد أضحت سلطنة دارفور منذ انبثاق فجرها تشكل محطة التقاء هامة، ونقطة

⁽¹⁾ Umar AL-Nagar "The Pilgrimage Tradition In West Africa" Khartoum University Press (1972) p. 4-34.

ارتكاز ضرورية، وبوتقة انصهار عرقي وثقافي وحضاري متفردة. هذه هي دارفور التي يطمع فيها شذاذ الآفاق من الصهيومسيحيين الجدد تحت مظلة دعاوى كاذبة، وبإنفاق أموال خبيثة يستقطئ بها ذوو النفوس الخبيثة المريضة بواسطة الاستخبارات العالمية والمنظمات المشبوهة التي ظاهرها الرحمة وباطنها العمالة والخيانة وبيع الضمائر والنفوس.

• المبحث الأول:-

مساهمة دارفور الاقتصادية ومسؤوليتها التاريخية إزاء الحرمين الشريفين

ومما لا شك فيه أن الحج كان يمثل نافذة هامة لهذه الممالك الإسلامية في سودان وادي النيل والسودان الغربي بمعناه الواسع حيث ظل يربطها بمنابع الإسلام، وكثيراً ما استقدم وكلاء السلاطين في دارفور العلماء من الحجاز بتكليف من السلاطين أنفسهم والتزم سلاطين دارفور إزاء تلك المسؤولية التاريخية والمكانية التزاماً أدبياً وفعلياً بأداء خدمات سنوية أوجبوها على أنفسهم إزاء الحرمين وسكان وحكام وزوار وخدام الحرمين والتي أضعت جزءاً لا يتجزأ من طقوس وموروث سلطنة دارفور الإسلامية وعملاً سيادياً يقوم به السلطان ويشرف عليه بنفسه طوعاً واختياراً. يعكس ذلك الالتزام الأدبي والديني الذي طوقت سلطنة دارفور به نفسها رسالتان بعث بهما إبراهيم قرض (1873 – 1874م) آخر سلاطين دارفور في الفترة الأولى إلى عبد الله شريف مكة ورد في أو لاهما: - (من أمير دولة الفور السلطان إبراهيم إلى حضرة .. الشريف عبد الله ... واصل إليكم الحاج إدريس وصحبته ثلاث (ثلاثة) آلاف ريال .. يصل حضرتكم وما باقي يصير بتصريفه)(2). إن هذا المبلغ بكل المقاييس كان يستكل إعانة كبيرة ودفعاً قوياً للسلطة الزمنية القائمة في مكة وهو التزام أدبي وروحي ظلت دارفور تقوم به إزاء مكة والمدينة، لمدة خمسة قرون من الزمان بانتظام ودون انقطاع دارفور ورقوم به إزاء مكة والمدينة، لمدة خمسة قرون من الزمان بانتظام ودون انقطاع دارفور تقوم به إزاء مكة والمدينة، لمدة خمسة قرون من الزمان بانتظام ودون انقطاع

= 198 ====

⁽²⁾ دار الوثائق القومية المصرية د /1/3/104.

بدون من أو أذى في فترات الشدة وصنك العيش الذي كانت تواجهه بلاد الحرمين قبل أن تتوحد المملكة العربية السعودية في صورتها وشكلها الحالي وتأخذ مكانتها الحالية، وقبل اكتشاف البترول وصيرورة تلك البلاد إلى ما صارت إليه من غنى ورفاه. فقد كان سكان الجزيرة العربية في الماضي خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين يغتربون في السودان. وينتظرون منتجات السسودان ووفوده ومحمله الشريف بفارق الصبر. ولا شك أن ما كانت تقوم به سلطنة دارفور إزاء الحرمين يعتبر مساهمة كبيرة وذات اثر بالغ. وكانت تعتبره واجب أخوة ودين وجوار وبالتالي فإن ذلك يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك بأنه كان للسودان الحالي يد طولى على بسلاد الحرمين لمدة تزيد على الخمسة قرون من الزمان. وأن هذه السلطنات (سنار وتقلي ودارفور) كانت داعماً اقتصادياً قوياً ودائماً لبلاد الحرمين دون انقطاع ولنظامها السياسي وزوار مسجديها وفقرائها من المواطنين.

ولم يقتصر دعم دارفور لبلاد الحرمين وسكانها وعمارها على المال وإنما تعداه إلى الرجال حيث ورد في رسالة أخرى لإبراهيم قرض بعث بها السى شريف مكة (قد أرسلنا الحاج إدريس صحبة المذكورين. ست أغواب – متوجه للحرمين معه صرة لمكة واغوات لخدمة البيت، وصرة لمدينة الرسول ومعها أغوات لخدمة الحرم الشريف)(3).

من هنا يتضح أن دارفور كانت مصدراً هاماً للأغوات أي العنصر البشري الذي كان يقوم بوظيفة السدانة للحرمين الشريفين. وكانت تقوم بواجب الإتفاق عليهم بعد وصولهم لأرض الحرمين وقيامهم بواجب السدانة. وهذا قدر من الالتزام الأدبي الطوعي الذاتي الذي كان يقوم به سلاطين دارفور طوعاً واختياراً تعبيراً عن رابطة العقيدة القوية التي تربطهم بالبيت الحرام والمسجد النبوي الشريف محور أشواق أهل السودان. ويشكل هذا الجهد تاريخاً ناصعاً لدارفور ينبغي أن يكتب بمداد من ذهب. وحق لدارفور وأهلها أن يفتخروا بهذا التاريخ المجيد. وأن يرتقوا الآن إلى مستوى هذه

دار الوثائق القومية المصرية ج / 1/3/104.

المكانة التاريخية والحضارية السامقة لا أن يتقاتلوا من أجل تحقيق ذواتهم الفانية والكسب الرخيص.

• المبحث الثاني :-

الـسلطان الـشهيد علـى دينـار ودوره في الـسقاية والإطعـام في الحرمين الشريفين

وفى الوقت ذاته فقد شاركت دارفور بهذا الجهد المادي السنوي في رفع مسسوى الفرد الاقتصادي من السكان في كل من مكة والمدينة. لقد حدث هذا الانجاز بواسطة ارسال صرة الحرمين سنوياً وبانتظام ودون انقطاع لإنفاقها على الفقراء فسي هاتين العاصمتين الإسلاميتين المقدستين. وبذا تكون دارفور بجدارة وبسخاء قد حققت ما أمكنها من أقدار التكافل الاجتماعي والاهتمام بأمر المسلمين. ولعل الوثيقة التالية تلقي الضوء على ما مر ذكره حيث ورد فيها: (من أمير دولة فسور السلطان إسراهيم المعتصم بالله تعالى أمين إلى حضرة المتسلم كبير الأغوات خادم الحرم المدنى ... واصل إليكم ألف ريال وباقي الصرة لكم تفريقها على يد الحاج إدريس) (4). إن كان هذا الأمر قد يحدث في الماضي البعيد فان هذا الخطاب قد صدر مثيله في الربع الأول من القرن العشرين من قبل السلطان الشهيد على دينار آخر سلاطين دارفور وأحد أعصدة المقاومة الوطنية الإسلامية بالسودان في العقدين الأوليين من القرن العشرين الميلادي. كما يدل ذلك على أن سلاطين دارفور كانوا يعتبرون ذلك التزاماً أخلاقياً وأدبياً إزاء كما يدل ذلك على أن سلاطين دارفور كانوا يعتبرون نلك التزاماً أخلاقياً وأدبياً إزاء الحرمين وسلطانها وإزاء ضيوف الرحمن وهو من باب السقاية والإطعام.

غني عن القول أن هذا الارتباط بمنابع الدولة الإسلامية ربما كان يمثل مسذاقاً حاصاً ويحتل أهمية عالية في نفس السلطان الشهيد على دينار. حيث كان يحس بخطر ماثل من التغول المسيحي على الدين الإسلامي، يستشف ذلك مسن مراسلاته مسع السنوسى عن طبيعة هذا الخطر حيث أكد في إحداها أن أهل السسودان الغربسي قسد

ه؛ المصدر السابق.

اعتنقوا المسيحية (5). أما أهل السودان الشرقي فقد اتبعوا النصارى ورد ذلك في عبارته التالية: - (والأعيان منهم صاروا يخاطبونا ويرغبوا منا أن نتبع النصارى قصدهم يضلونا) (6).

ولا يغفل أن اهتمام السلطان الشهيد على دينار بالحجاز ناتج عن إدراكه لدور الحكومة المصرية السابقة في القضاء على ملك آبائه بواسطة جيوش وكيلها الزبير ود رحمة. ولما لم يكن منذ البداية مطمئناً إلى استمرارية التعامل التجاري المعهود بين دارفور ومصر عن طريق درب الأربعين لأنه كان مدركاً لخطورة الوجود البريطاني بمصر وسيطرته على مقاليد الأمور بصورة مباشرة أو غير مباشرة كان من الطبيعي أن يبحث عن منافذ تجارية جديدة لبلده التي تعول كثيراً في اقتصادها على التصدير والاستيراد.

وقد رأينا أن تقاربه مع السنوسي كان يحمل في طياته هذه الأهداف الاقتصادية البحتة إلى جانب الروابط الأخرى. وربما كان يأمل أن تكسو حركة قوافل الحج محاولاته لاستيراد السلاح قناعاً دينياً يحميها من رقابة الحكم الثنائي البريطاني الذي كان ينظر إلى تلك المحاولات بعين الشك والريبة. وأخيراً يجب أن لا ننسى أن حرص السلطان على المحمل كان وراءه مقصد الدعاية للسلطنة الوليدة والتعريف بها وكسب الشرعية لها من مختلف القوى الإسلامية، ولكي يؤكد للعالم الإسلامي أن حكمه هو امتداد طبيعي لسلطنة دارفور ذات المساهمات المحلية والإقليمية المشهودة. ولكي يقرم مبدأ إرسال المحمل الشريف وينتزع اعترافاً ثنائياً بريطانياً بذلك قدم لسه بمقدمة فحواها: (بغاية الوفا إذ كانت المدة الماضية السابقة زمن المتقدمين آباءنا سالطين دارفور لهم عوايد وشروط وحدود معلومة وهدايا تقدم لوالي مصره ومحمل يرسل لبيت الله الحرام ويؤذن لنا بإرسال هدية بيت الله الحرام في كل عام)(٢). إن مساعدة مصر ومساعدة بلاد الحرمين وسلطانها في إدارتها كان تقليداً وقدراً دارفورياً وسودانياً

⁽⁵⁾ المصدر السابق.

⁽⁶⁾ السلطان إلى احمد الشريف في 1916/1/28م (23 ربيع الأول سنة 1334هــ) 29. S.N.A.INTELL. 1/1/2 (7) ونجت إلى السلطان أول مايو سنة 1901م (محرم سنة 1319هــ)

صيلاً موروثاً والتزاماً اقتضته المروءة من قبل سلاطين دار فور وسنار وتقلي. وهو الترام ذاتي دافعه ديني أخوى في المقام الأول مما يوحي بسعة أفق سلاطين دارفور والسودانيين الشرفاء ومدى تقوقهم على ذواتهم فيما مضى عكس ما يجري الآن على الساحة الدارفورية والسودانية عموماً من ضيق أفق، ومحدودية أهداف، وذاتية رؤية، وقصور نظر، لدى كل التنظيمات التي تتولى النظر وإدارة الأمر في دارفور سواء أكانت في المعارضة أم في الحكومة حيث وقعت كلها أسيرة نظرة حزبية وعرقية نتنة، فأرادت تشويه جمال تاريخ يعج بالإنجاز والإبداع والإقدام والابتكار وفعل الخير، حيث اختزلت كل ذلك التاريخ الناصع والإرث الحضاري الفاقع في جملة أهداف وضيعة الخيتها تحقيق الذات الانطوائية ذات النزعة الضيقة والميول العرقية البهيمية لأن الإنسان كريم يكرم بانتمائه وعطائه الفكري والاجتماعي والديني والحضاري

أبدى السلطان الشهيد على دينار رغبة أكيدة في الارتباط بأرض الحرمين حيث طلب من الحكومة الثنائية البريطانية تيسير الطريق وحمايتها لقافلة الحج الدارفورى. حتى يتسنى له إرسال المحمل الذي اعتاد أسلافه على إرساله سنوياً إلى كل من مكة والمدينة. وأجابه الحاكم العام بأنه على استعداد لتسهيل ما يمكن لبلوغ المحمل محله (8). وبالطبع لا يستطيع الحاكم أن يرفض رفضاً صريحاً رغماً عن أنفه لعلمه بأن ذلك يمكن أن يؤلب عليه أهل السودان لاسيما في بلد ما زالت رائحة الثورة المهدوية فيه تزكم أنوفهم وما أحدثه الحاكم الحالي من جراحات وما أساله من دماء طاهرة بسبب ذلك لا زال ماثلاً في الأذهان، وأن أهل السودان عموماً لم يرضحوا للمستعمر الحديد والنار.

وعلى صعيد آخر لئلا يثير السلطان الشهيد على دينار شكوكاً حول الأهداف المستكنة للمحمل أكد للحكومة الثنائية البريطانية في خطاب سابق أن المحمل هو سال هدية بيت الله الحرام. هذا بعد أن قرر أن سلطنة دارفور هي سلطنة عريقة

^{&#}x27; السلطان إلى السردار في 1900/11م (9 رمضان سنة 1318هـ) S.N.A.INTELL. 7/1/2

ذات أمجاد ضاربة في شعاب الزمن. وذات صلات خارجية قديمة. وهو يبغي من ذلك إتباع نهج سلفه ثم يردف قائلاً: (.. ويؤذن لنا بإرسال هدية بيت الله الحرام)⁽⁹⁾.

وهدية بيت الله الحرام هي ما يعرف بصرة الحرمين التي اعتاد سلطين هذه البلاد إرسالها إلى كل من مكة والمدينة بغرض تفريقها على فقراء الحرمين. هذا بالإضافة إلى الكسوة وأموال أخرى ترسل إلى القائمين بأمر الحرمين لتصريف شؤون بلادهم وجزءاً آخر يوزع على الحجاج.

وبعد حصوله على الموافقة بتسهيل إجراءات المحمل حيث لا منفذ إلا عبر أراضى السودان الشرقي وهي منطقة واقعة تحت نفوذ وسيطرة الحكم التنائي البريطاني. بدأ يعد العدة لاستئناف ما انقطع من سيرة أسلافه من إرسال للمحمل الذي بحق يعتبر مظاهرة إسلامية، واحتفالاً عظيماً وتعظيماً لشعيرة من شعائر الاسلم وأركانه الخمسة، ومظهراً من مظاهر القدرة السياسية والاقتصادية وتعبيراً عن التدين المكين لهذه السلطنة العربقة.

وكان السلطان الشهيد على دينار مثل غيره من مئات ملابين المسلمين السنين يتطلعون إلى رؤية بيت الله الحرام ويتشوقون إلى زيارة مدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام. والأخير هو شوق سوداني متين نابع من حب خاص للرسول صلى الله عليه وسلم لدى أهل السودان النيلي تعبر عنه أشعارهم العامة والفصيحة وأمثالهم ومأثوراتهم المنقولة في الأدب الشعبي فيما يسمى بأدب المدائح وتعبر عنه مناسباتهم المخصصة لهذا الجانب على مستوى العامة والخاصة. وعبر السلطان الشهيد على دينار عن هذا الشوق في خطاب بعث به إلى شريف مكة في سنة 1321هـ، سنة 1902م مبدياً رغبة أكيدة في زيارة الأراضي المقدسة، ويذكر أن من فضل الله عليه أن أعاده إلى عرش آبائه وأجداده وهي لفتة بارعة مقصودة للتأكيد على انه لم يكن منبتاً أو حديث عهد بالسلطة أو مستجد نعمة، لأن حديث العهد بالسلطة أو بالمال ومستجدهما لا يحسن عهد بالسلطة أو مستجد نعمة، لأن حديث العمد السلطة أو المعاصرة. لذا أكد السنطان

= 203 =

⁽⁹⁾ السلطان إلى السردار في 9 شوال سنة 1318م (12 يناير سنة 1901م) S.N.A.INTELL. 7/1/2

الشهيد على دينار على تلك الحقيقة بأنه وريث مجد تليد ودولة لها مكانتها المحلية والإقليمية دولة لها تقاليدها وأعرافها وإرثها الحضاري والثقافي. وهمو سليل أسرة عريقة في الحكم غير منبتة الأصل مستجدة النعمة حديثة العهد بالحكم. وبعث برفقـة ذلك الوفد الدارفوري السلطاني بألفي ريال مجيدي، ألف منها يوزع في مكة علي الفقراء وخدم البيت الحرام. والألف الآخر يقسم في المدينة على نفس الأساس(10). كرم فياض وإيثار وتضحية ظلت سلطنة دارفور وسلطنة سنار ومملكة تقلى موئلا لهذه المآثر. بيد أن ذلك بعيد كل البعد عن ممارسات النهب المسلح الآن في دارفور وقتل الأبرياء واستعداء القوى الأجنبية على هذه المنطقة التي جسدت طرازا متميزا من حيث العطاء والمبادرة إلى فعل الخيرات في يوم من الأيام ومن حيث البنية الـسياسية والاجتماعية والدينية، بينما أمست الآن لقمة تمضغها كل أجهزة الإعالم المغرضة، وجيفة تتصارع عليها ثعالب وكلاب وخنافس وعقارب وبنات آوى العالم الغربي دون استثناء. وأبناء دارفور ومفكروها وسياسيوها الآن في غيبوبة الوعي السياسي والفكري والاجتماعي غير قادرين على تحمل المسؤولية التاريخية لإنقاذ هذا الإرث الحضاري والثقافي والاجتماعي والأخلاقي والديني والسياسي بشجاعة وجرأة وإقدام من بــراثن الهجمة الغربية الصهيومسيحية التي تستهدف في المقام الأول البشر قبل الحجر لتحطيمه وسلخه من ماضيه وخلق صورة شائهة منه يمكن توجيهها حسب ما تقتضيه إستراتيجية الغرب الصهيومسيحي في هذه المنطقة القاضية بالهيمنة على حجر دارفور بديلاً عن دول الخليج واستثماره في ظل غيبوبة أهله ومفكريه.

يبدو أن هذه الرغبة المكينة لدى السلطان الشهيد على دينار حال دون تحقيقها خوفه من أن يورط نفسه بمقابلة مسؤولي الحكومة الذين لا يؤمن جانبهم. وعكس لشريف مكة في هذا الخطاب شعوره بالنعمة التي منحها الله إياه بإعادته إلى عرش آبائه وأجداده.

204 ====

⁽¹⁰⁾ على دينار إلى شريف مكة في 1321هـ (1902م) S.N.A.INTELL. 2/3/12

وفى العام التالي وصله خطاب شكر على إرسال محمل تلك السنة من قبل أمير المدينة يثنى فيه على حماسه الديني (11).

• المتحث الثالث:-

السلطان الشهيد على دينار و محاربة البغاء في السودان

وإمعاناً من السلطان في اتجاهه الإسلامي الأصيل حاول القضاء على الدعارة حتى في حدود الحكومة الثنائية البريطانية. وذلك بإرسال مبعوثين من أجل دارفور لإحضار كل الداعرات في البلاد على طول البلاد وعرضها بواسطة إغرائهن بالزواج أو بوسائل أخرى. وبعد إحضارهن إلى الفاشر فمن تابت منهن ورضيت بالزواج الشرعي عفى عنها ومن لم ترض قضى عليها بالرجم (12). يا ترى أليست هذه وحدها تكفيه فخراً؟ اين ذلك من فساد من تولوا السلطة في العصر الحديث والمعاصر ممن تولوا بأنفسهم هتك الأعراض وإفساد بنات حواء من أعراض الآخرين، بدلاً من أن ينيروا ويندبوا أنفسهم لحمايتهن فأصبحوا الأسود الضارية دون وازع راتعين فيهن. يحدث ذلك من السلطان الشهيد على دينار في وقت يثير فيه خصومه اتهامات باطلة ضده منافية لهذا التوجه، وتلقفها تلاميذ الاستعمار ونشروها باستراتيجية. وهذه هي دارفور وهؤلاء هم أهلها، وهذا هو سلطانها درة السودان الحديث والمعاصر رضي

ولا يخفى أن ذلك الإجراء غير المسبوق من السلطان الشهيد على دينار ذي البعد الاستراتيجي من الناحية الأخلاقية والتربوية والتأهيلية للأمة فيه مطعن على الحكم الثنائي البريطاني والسلوك الأوروبي الأخلاقي الذي يسمح بممارسة البغاء في ظله ويشجعه ويرخصه ويوفر كشفاً صحيحاً أسبوعياً لمن تمارس البغاء على رؤوس الأشهاد. هذا ما رأيناه في ستينيات القرن العشرين بعد ذهاب الاستعمار ويومها كنا في المرحلة المتوسطة الأمر الذي يشكل بقعة سوداء على رؤوس كل من تولى السلطة بعد

⁽II) S.I.R. 108/3 1ST AUGUST 1903.

⁽¹²⁾ S.I.R. 108/3/12 Lst AUGUST 1903-

ذهاب الخواجات في بلادنا. ومن المعلوم أن البغاء والفساد الأخلاقي هو من أقوى الأسلحة الشيطانية التي تمكن بها الغرب من تحطيم حصون الأمة المسلمة من الداخل. وهو من أنجع وسائله للسيطرة على مقدرات الأمة المسلمة. والآن بدأ هذا المدخل الخبيث عن طريق الانترنت والمواقع الإباحية منها والفضائيات والمحطات الإباحية التي تعرض ما يندي له الجبين. والقصد من ذلك القضاء على ثروة الأمة الشبابية لأن الشباب هم ذخر الأمة. ومن أراد أن يقرأ مستقبل أمة فلينظر إلى اهتمامات شبابها وأبنائها التربوية والأخلاقية ومستوى سيادة قيم العدل فيها. ومــن البــديهي أيـــضا أن الحكم الثنائي البريطاني لا يستطيع أن يقف في وجه السلطان الشهيد على دينار فيما يتصل بأمر البغاء. لاسيما في بلد لا يزال اثر الثورة المهدوية فيه قوى بيد أنه لا يخفى أن الاستعمار من أهدافه الإستراتيجية هو تدمير الجانب الأخلاقي في الأمة. وانتــشار الدعارة هو إحدى هذه الوسائل الناجعة التي عن طريقها يمكن للاستعمار قديمه وحديثه أن يبدد طاقة المجتمع ويهدد كرامته. وهو نهيج ماسيوني قيديم حيديث إذ أن كيل الانهيارات الأخلاقية والقضاء على رجولة كثير من القيادات السسياسية والاجتماعيسة والفكرية هو عمل مخطط. كما أن اختراق كل الجدر الأخلاقية في المجتمع المسلم هو هدف استعماري ذو أبعاد إستراتيجية. وللأسف أن معظم أشباه الرجال من هذه القيادات بمستوياتها المختلفة هي التي تبوأت المناصب بعد خروج الاستعمار فكانت أردأ خلف لأخبث سلف وقادت الأمة إلى البوار والهلاك وتستخدم المرأة وجسدها كسلعة رخيصة لخدمة هذه الإستراتيجية.

إن هذا الإجراء العملي الذي اتخذه السلطان الشهيد علي دينار بصدد تطهير المجتمع المسلم السوداني وتنقيته من شوائب الفساد يعتبر مشروعاً استراتيجياً متقاطعاً مع المشروع الصهيومسيحي في بلاد المسلمين، متجاوزاً مفهوم حدود بلاده وإقليميت أمر له دلالته وأبعاده من حيث شمول النظرة الإسلامية التي تمتع بها السلطان علي دينار، ومن حيث الشعور بالواجب. وتدل اتجاهاته تلك على قراءته الذكية لمعطيات الواقع في محاولة جادة لإبطال المشاريع الاستغلالية الاستعمارية في المنطقة.

وبذلك أثبت أنه أذكى من كل القيادات السياسية الآن التي تتسابق وتتبارى في إنفاذ المشاريع الغربية في السودان وفي أفريقيا وفي العالم العربي بدلاً عن إسقاطها والعمل على إفشالها.

ومنذ أن بدأ السلطان في إرسال المحمل سنوياً إلى الحرمين الشريفين لم يتاخر سنة واحدة. وأصبح يعين أميراً للمحمل كل سنة ويطلب من الحكومة الثنائية البريطانية تسهيل إجراءاته حتى يبحر من سواكن حيث يقول سنة 1321هـ: (إني قد وجهت الأفكار بإرسال الوقف للحرمين الشريفين وقد تجهز، والآن قادماً لأرض الحجاز المعين من ملوكنا المكرم صالح على ... فغاية الأمل ... يقوموا بواجبات سفره بكافة من معه وتحرروا له لمديرون المحطات بربر ولغاية سواكن ولا يأخذون منهم أجرة في ذهابهم وإيابهم)(13).

وحفاظاً على حسن العلاقة معه قامت الحكومة الثنائية البريطانية ظاهرياً مراعاة لشعوره بكل التسهيلات اللازمة للمحمل. وبالفعل قد عاد المحمل (ومن معه من المعنيين بالسلام)(14).

• المبحث الرابع:-

المحمل الدارفوري ودوره في إحياء النشاط الاقتصادي بين دارفور والحجاز

ولم يقتصر دور المحمل على الصرة والأوقاف التي تسدى إلى الحرمين بقدر ما كان يرمى من ورائه إلى أن يقوم بنشاط تجارى وتبادل اقتصادي يعتبر اتجاها أصيلاً في سياسة السلطان الشهيد على دينار الخارجية. حيث أن تعدد المصادر والموارد من الأهداف الرئيسية في سياسة السلطان الشهيد. وهي سياسة اقتصادية رشيدة لأن البلد الذي يرهن اقتصاده لناتج نقدي واحد أو يتعامل اقتصادياً وتجارياً مع جهة واحدة يرهن

(14) على دينار إلى سلاطين في 20/9/20م (27/جمادي الأخرة سنة 1322هـ) 5.N.A.INTELL. 7/1/6

== 207 =

⁽¹³⁾ على دينار إلى سلاطين في 6 رجب سنة 1321هـ (1903/10/6م) S.N.A. INTELL. 7/1/5

لها إرادته هو في مهب الريح. وتحت قناع المحمل ولكي يحمي تجارته الخارجية مسن وطأة ضرائب الحكومة حين مرورها عبر أراضيها. اذا طلب من الحكومة الثنائية البريطانية إعفاءه وطالبها بأن لا تفرض ضرائب على صادراته. وأن تسمح، له بحرية التجارة سواء في داخل أراضي الحكومة أو خارجها. وأن يترك تقدير الربح والخسارة والمكاسب الاقتصادية لقادة المحمل بقوله: (لنا أحد عشر قنطار سن فيل ونصف قنطار سن فيل وسبعة عشر مربوع ريش نعام وثلاثين نعام أسود وأربعة وثلاثين رطل ريش ريده مرسوله منا للحجاز ... تعطوهم تصريح بعدم تعرض أحد إليهم أن جماعتنا أن وجدوا أثمان السن والريش متحسنة بأم درمان ورغبوا مباعها امنعوا صاحب الدخولية (الضرائب أو الجمارك) بحيث لا يأخذ منهم شيئاً وإن لم يوافقهم المثمن وتوجهوا بها للحجاز أعطوهم تصريح بعدم تعرض إليهم). (15) إن المحمل الدارفورى كان يمثل سفارة ذات تمثيل ضخم، سفارة بكل معانيها الثقافية والروحية والفكريسة واللاجتماعية والتربوية والإعلامية والسياسية والعسكرية والاقتصادية.

وتعدى دور المحمل النشاط الروحي والثقافي الكائن بنقل العادات والتقاليد والقيم وتبادل الآراء والمعارف إلى النشاط الاقتصادي الذي يقتضي تبادلاً تجارياً واسعاً. ثم النشاط العسكري الذي استدعي استجلاب الأسلحة وتوفير احتياجات السلطنة من هذا الجانب. فكان المحمل عبارة عن بعثة دينية وعلمية وتجارية وعسكرية واقتصادية ولعل ما يأتي من نصوص يلقي الضوء على هذه الحقائق حيث يطلب السلطان من الحكومة الثنائية البريطانية التسهيل للشيخ محمد سيماوي(*) قائد المحمل بقوله: (أن المحمل الشريف تعين من طرفنا ومرسول للحجاز برفقه مرسولنا محمد السيخ سيماوي، ومن معه من الفقهاء وأو لادنا وغير هم لرغبتنا في سرعة توجههم نرغب حال وصولهم الخرطوم سفروهم بوقتهم بالسكة حديد ويتحرر سواكن يسركهم على

⁽¹⁵⁾ على دينار إلى مفتش عموم السودان في 1906/9/18م (18 شعبان سنة 1324هـ) S.N.A. Intell 7/1/8 (*) هو والد الشيخ على محمد سيماوي شيخ معهد ام درمان الاوسط في فترة الستينيات من القرن الماضي حينما كنا طلاباً بالمعهد يومئذ وهو والد لاعب الكرة المشهور ومنزله الذي توجد به أسرته بالعرضة بأم درمان شرق سوق العرضة القديم وغرب مستشفى عوض حسين الحالي.

الوابور لجدة ولا يأخرهم) (16). المحمل الدارفوري هو بعثة ثقافية على مستوى عال حيث أشار السلطان الشهيد على دينار إلى أن قيادة المحمل تحت إمرة السفيخ محمد سيماوي وبصحبته عدد من الفقهاء.

كما أن إشارة المحمل الشريف تحمل أبعاد القداسة للمقصود وهو البيت الحرام حتى سمي به القاصدون. ويلاحظ أن المحمل قد تضمن سفارة كاملة بشتى تخصصاتها من مسئول عن المحمل ومبعوث تجاري وبعثه توعية وإرشاد.

• المبحث الخامس:-

المحمل الشريف الدارفوري والدور العسكري

أما النص التالي فيلقي الضوء على الجانب العسكري للمحمل حيث يقول السلطان الشهيد على دينار (في المرة الأولى العرب البدو إن تعرضوا جماعتنا بطريق المدينة وضايقوهم ولأجل ما صار منهم أعطينا جماعتنا أسلحة نارية متوجهين بها لأجل حفظ نفوسهم وأيضا أعطوا مرسولنا محمد الشيخ سيماوي أمر كافي تأذنوه فيه بمشتري الأشياء التي تليق بنا ويكون من آلات السلطنة ويجدها هناك يشترى بها ويحسضرها البينا ولا يتعرض له فيها أحد بكافة جهات الحكومة). (17)

• المبحث السادس: -

تردي الأوضاع الأمنية والاقتصادية بالحجاز وإغاثة دارفور السنوية

النص السابق يلقي الضوء على الحالة الأمنية التي كانت تسود الحجاز والمضنك وتردي الأوضاع الأمنية في تلك الديار. ويحكي عن الحالة التي كانمت تمسود هذه المنطقة قبل هيمنة الحكومة السعودية على منطقة الحرمين الشريفين وما جاورها، كما

209

⁽¹⁶⁾ السلطان إلى السردار في 1906/9/8م (18 شعبان سنة 1324هــ) S.N.A INTELL 7/1/8

على دينار إلى سلاطين في 9/8/1906م (18 شعبان سنة 1324هــ).

يلقى هذا الخطاب الضوء على الدور المنوط بالمحمل الشريف لأداء دوره كاملاً بأن يقوم بحماية أفراده من بدو الجزيرة العربية قطاع الطريق الذين درجوا على نهب كل ما تحمله قوافل الحجيج وزوار البيت العتيق. وهي حالسة أشب ما تكون بحالسة مجموعات النهب المسلح الآن في دارفور وفي شرق السودان في عهد المشير جعفر نميري الرئيس الأسبق جماعة (الشفتة) الأحباش الذين كانوا يهددون الطريق العام وحياة المواطنين بين بورتسودان وكسلا. ومما لا ريب فيه أن محمـــلاً فـــى عدديـــة وأهمية محمل دارفور لابد أن يكون كامل الإعداد والعتاد. وذلك مما اقتضى السلطان أن يسلح أفراد محمله لضمان أداء المهمة الموكلة إليهم وللإيفاء بالالتزامات التي أوجبتها السلطنة في عهده على نفسها سيراً على نهج أسلافه. ولقد كان محمل دارفور ينوف على المائتين والخمسين شخصا (18). مما يدل على عظم الجهد المبذول لأعداده ولعبت الحكومة الثنائية البريطانية حفاظاً على حسن الجوار دوراً هاماً في مجال التسهيلات المطلوبة. حيث ذكر المفتش العام سلاطين باشا في خطاب للسلطان الشهيد على دينار ما نصه: (أن رسولكم محمد الشيخ سيماوي أمير المحمل ومن معه من الفقهاء والمشايخ قد وصل وقابل سعادة أفندم السردار والحاكم العام وشاهد المحمل وكامل المعدات التي أرسلتموها وقد كتبت للحكومة بالخرطوم لمصطحة السسكة حديد بأن يرحلوا الشيخ سيماوي ورجالكم إلى سواكن. أما السفر من سواكن إلى جده بحراً والحجاز ... أن الوابورات التي تنقل الركاب لا علاقة لها بالحكومة بل هي ملكاً لتجار وشركات أجنبية). (19)

(18) S.I.R 149/2, 4th, Nov. 1906.

• المبحث السابع:-

الـسلطان الـشهيد علـي دينـار وتعـدد مـصادر اسـتيراد الـسلاح لتقوية ترسانته

كان السلطان الشهيد علي دينار بعد شعوره بموقف الحكومة الثنائية البريطانية الحذر تجاه تزويده بما يحتاجه من سلاح قد ازداد حرصه على تعدد مصادر استيراد السلاح. ويبدو أن طلب الإذن الذي أشار إليه بحمل السلاح لحماية المحمل لم يكن صادراً عن غير قصد. بل إن الهدف من ذلك كله التمويه وجعل الحكومة تغفل جانب تقتيش الأسلحة. إلا أنها كانت حذرة تجاه علاقات السلطان الشهيد على دينار بالحرمين الشريفين. وقامت بضبط كميات من الأسلحة تم استيرادها من أرض الحرمين الشريفين برفقة المحمل ويشير السلطان على دينار في خطاب احتج فيه على إجراءات الحكومة السابقة ويفند مبررات الحكومة بقوله: (أن أتباعنا رفقاء المحمل المكمي عادوا من الحجاز وأنهم أحضروا معهم عددا من الأسلحة النارية والجباخين بدون معلومية الحكومة ... والحال عندنا أننا عند إرسال المحمل الشريف من هنا أخبرنا سعادتكم بمقدار الأثني قنطار سن فيل والريش الذي بيد المحمل، ولوثوقنا بالحكومة وثقتها بنا وكوننا حالة واحدة معها، وبالنظر أن عربان البدو قطاع طريق الحرمين الشريفين أمرنا أمناء المحمل أن يسشتروا الأسلحة الناريسة مسن خالص حقنا ليحفظوا المؤنفسهم). (20)

هذا الخطاب تبدو فيه نعومة الخطاب الدبلوماسي، ويعكس مدى ذكاء السلطان الشهيد على دينار وقدرته على المراوغة السياسية وإدارة اللعبة السياسية حسب مقتضى الحال وانه كان يعد نفسه لليوم الأسود ولكن بنفس طويل وبمدارة مدروسة، كما يقرر الخطاب السابق دور المحمل العسكري في تسليح السلطنة وتوفير احتياجاتها العاجلة من ارض الحرمين الشريفين. ولم تكن الحكومة الثنائية البريطانية بدورها

211

⁽²⁰⁾ السلطان إلى سلاطين في 1907/9/23م (16 رمضان سنة 1325هـ) S.N.A. INTELL 7/1/9

غافلة عن هذا الدور. لذا لا غرابة أن بدأت من غير سابق إنذار بتفتيش المحمل بعد عودته من رحلة الحج ومصادرة الأسلحة المستوردة التي كانت بحوزة القادمين حتى تضيق الخناق على موارد السلطان الشهيد على دينار الخارجية.وتكون الحكومة الثنائية البريطانية بهذا الإجراء الاحترازي قد أبطلت مفعول كثير من المحاولات الدارفورية الرامية إلى تقوية سلطانها وترسيخ أقدامها وتمكين استقلالها.

وقام السلطان الشهيد على دينار من جانبه بجهد ملحوظ بغية تخليص الأسلحة المصادرة والتي استجلبت من الحجاز. وتحت ضغط المطالبة وإلحاحها وافق المفتش العام سلاطين باشا النمساوي على إطلاقها (21). إذن كانت المصادرة هي محاولة من الحكومة الثنائية البريطانية لإشعار السلطان بأنه تحت المجهر والمراقبة التامة وأن تحركاته مرصودة. وينبغي عليه ألا يكرر تلك المحاولة أو ذات الأسلوب مرة أخرى. وبذا تكون الرسالة قد وصلت إلى السلطان الشهيد على دينار بصورة أكثر وضوحاً وجلاء بهذا الأسلوب الثنائي البريطاني المباشر.

يؤكد ما مضى أن دور المحمل كان أوسع مضموناً وأكبر وظيفة من أداء مجرد الفريضة وإنما كان يقوم بأدوار مزدوجة في آن واحد منها رفع مستوى الحالسة الاقتصادية لأهل الحجاز، وتجقيق قيمة التكافل الاجتماعي بمفهومها الذي يتجاوز حدود الإقليمية الضيقة والوطنية البغيضة إلى ميدان الإسلام الأرحب. هذه الأدوار كان يستم انجازها بإرسال صرة الحرمين. هذا بالإضافة إلى ما كان للمحمل من دور عسكري يلعبه بإتقان سبقت الإشارة إليه.

وشعر السلطان الشهيد على دينار بتضييق الخناق عليه من قبل الحكومة التتائية البريطانية ومماطلتها له في إمداده بما يحتاجه من عتاد وسلاح. ولم يكن تفكيره في فتح منافذ أخرى لاستيراد السلاح أمراً مقصوداً لذاته. بقدر ما دعته إليه الحاجة والتفكير المستقبلي الجاد في توفير احتياجات سلطنته الحربية وخلق علاقات سياسية ينتزع بها اعتراف القوى الإسلامية المحيطة. ويؤكد بها استقلال بلاده تماماً سواء من

⁽²¹⁾ سلاطين إلى السلطان في 1908/12/17م (15 محرم سنة 1326هــ) S.N.A.INTELL.7/3/9

الحكم الثنائي البريطاني أو غيره من القوى الاستعمارية الاستغللية الأخرى التي بدأت تتمدد على حدوده الغربية، لأنه أصبح في فوهة نارين أحلاهما مر وبين فكي كماشة، الاستعمار الألماني والفرنسي في الغرب والإنجليزي في الشرق.

وفى سنة 1327هـ أنفذ السلطان الشهيد على دينار المحمل الذي أصبح يعرف في الدوائر الثنائية البريطانية (بالمحمل الشريف)⁽²²⁾. إن هذا اللقب بهذا الشكل أضحى يضفي على المحمل هيبة ومكانة أراد بها السلطان الشهيد على دينار أن يحمي تجارته الخارجية في ظلها. ويعكس هذا الاهتمام الدارفورى بالمحمل الشريف الذي يعتبر بحق بعثة دبلوماسية تقوم بدور هام في مجال العلاقات الدارفورية الحجازية.

وبلغت عددية المحمل سنة 1327هـ مائـة وخمـسة وثلاثـون حاجـاً تحـت قيادة الشيخ محمد سيماوى. ووصل الخرطوم فـي 1909/11/15م. وسـواكن فـي 1909/11/30م.

• المبحث الثامن:-

المحمل الشريف الدارفوري و دوره الدبلوماسي

ويبدو أن علاقات السلطان الشهيد على دينار الخارجية بالحجاز تجاوزت حدود إنعاش الحالة الاقتصادية لكلا البلدين وتحقيق التكافل الاجتماعي في الحجاز إلى مائدة النقاش والمفاوضة المباشرة مع الحسين بن على حول موقفه من تركيا العثمانية الأمر الذي حدا بالأخير أن يكتفي بالعبارة التالية في رده: (جناب صاحب دارقور الأعز علي دينار سلمه الله وصل كتابك ولولا حشمة حامله الشيخ محمد لم نجيب عليه وأما ما ذكر تحرر)(24). هذا الكلام المقتضب وحدته غير المعهودة تعكس حقيقة مؤداها أن شريف مكة كان متورطاً في علاقته مع الحلفاء حتى النخاع، وأنه كان مخدوعاً حال

S.N.A.INTELL. 7/1/9

^{(&}lt;sup>22)</sup> السلطان إلي سلاطين في 1907/7/10م.

⁽²³⁾ S.I.R. 184/ 4- 5,. Nov. 1909.

⁽²⁴⁾ الحسين بن على إلي السلطان في 1/12/1909م (25 ذو الحجة سنة 1327هــ) S.N.A. INTELL. 2/3/12.

كثير من القيادات العربية التي وقعت يومئذ في شباك المخطط العربي الأوروبي، تلك القيادات التي لا تعى عبر التاريخ فيما مضمى وحاليا ولا تتعاطى مع الواقع بذكاء و لا تملك المؤهل لاستشراف المستقبل بشفاهية. والآن ما يجرى في دارفور هو فصل من فصول الغباء السياسي والقراءة غير الذكية وغير الواعية لمفردات الماضي ومعطيات الحاضر وفق رؤية إستراتيجية واضحة المعالم بينة القسمات. وليت الشريف (شريف مكة) استيقظ يومئذ من غفوته وسباته العميق واستجاب لنداء العقل والعقيدة والوطن الكبير والأمة والضمير وانحاز إلى معسكر السلطنة الإسلامية. ولكنه لم يفعل وانجرف مع تيار الكثرة الكاثرة والأغلبية المغفلة وظن أن خلف السراب ماء. شان كثير من قيادات العرب التي سقطت يومئذ في شراك خطط الغرب وشباكه شان ما حدث للقيادات الحالية في وقوعها في براثن الافتراء الصهيوأمريكي خلال حربي أفغانستان والعراق. وفي قضية السودان الحالية قضية الساعة قضية دارفور حيث نجد أن الأحزاب السياسية في المعارضة الآن تتبارى في إرضاء أمريكا. ومن المعلوم أن أمريكا كلما تم لها التتازل عن بند قفزت إلى بند آخر وفي إستراتيجية معلومة، والمخطط الأمريكي هو مخطط مدروس يهدف إلى تقسيم السودان إلى أربعة أجـزاء أو خمسة أجزاء كما سبق وأن أشرنا إلى تلك الحقيقة المرة في أكثر من إصدارة. ولكن للأسف أن السياسيين سواء في السلطة أو في المعارضة السودانية لا يقرأون وإن قرأوا لا يفهمون. حيث أكدنا أن السودان هو مشروع دولة عظمى وغن اختطف بعضهم الفكرة وكأنه أتى بجديد مصرحاً بذلك في صحافة يوم 2007/5/29م. وهذا الأمسر حقيقة بالنظر إلى إمكانات السودان ومدخراته التي فوق الأرض والتي تحبت الأرض وإنسانه المتميز عطاءً وتفكيراً لو وجد قيادة سياسية نزيهة ويقظة قادرة على العطاء.

هذه المحاولة الدارفورية غير المسبوقة هي في الواقع كانت ترمى إلى حث للشريف بالتزام الجماعة ووحدة الصف الإسلامي بمراجعة علاقات مع السلطان العثماني - العاهل الأكبر للمسلمين آنذاك. وكان الهدف من كل ذلك الوقوف أمام حديات الغرب المسيحي الصهيوني في ديار المسلمين. مما يوحي بأن السلطان الشهيد

على دينار بكل المقاييس كان أكثر وعياً وذكاء من القيادات المعاصرة على مستوى السودان بل على مستوى العالم العربي وهو أذكى من قيادات اليوم سواء في الخرطوم أو في دارفور أو في فنادق العالم أو حانات أوروبا. أو في أندية الماسونية الصهيومسيحية مقابل دريهمات معدودات ودولارات تدفع بليل ويأخذها الرخيصيون ممن باعوا ضمائرهم وأوطانهم وإرثهم وقومهم لمخطط الغرب دون وعي وإدراك.

• المبحث التاسع:-

السلطان الشهيد علي دينار ودوره الإقليمي

ويبدو أن تحركات السلطان الشهيد على دينار قد تجاوزت حدود مملكته. هذه التحركات لا يمكن بحال وبأي منطق أن تنسب أبدا إلى أطماع شخصية بقدر ما تعبر عن وعي عميق وقراءة صحيحة وتعطِ متقدم مع الواقع. بل هي قد تجاوزت دون شك تلك الآفاق المحدودة الصبغة. وفي الواقع فان تلك السياسة في مجملها ترتفع بالسلطان الشهيد على دينار البطل القومي والإقليمي من حاكم محلى صعير متسلط - كما تصوره مخابرات الحكم الثنائي البريطاني في بقية أنحاء السودان من خلل مخطط دسائس الاغتيال السياسي الشخصيي- إلى طليعة زعماء العالم الإسلامي الذين أدركوا بوعى وبذكاء دون غيرهم ومنذ بدايات القرن العشرين طبيعة ما يتعرض له الإسلام والمسلمون والوطن والمواطنون من أخطار من جراء التوغــل الأوربــى والتحــرك الصهيومسيحي. فأهابوا بالمسلمين بضم صفوفهم والوقوف أمام ما يتهددهم من أخطار. وبينما كان اغلب الدعاة من أولئك النفر من بين رجال الفكر كالأفغاني ومحمد عبده أو رجال الحرب كعرابي ومحمود سامي البارودي، فان السلطان الشهيد على دينار ينفرد عنهم بأنه سلطان سليل سلاطين ووريث مجد سلطنة تليدة. ومن هذا الجانب فلم يسبقه سوى محمد احمد المهدي وخليفته الذين تجاوز اهتمام دعوتهما حدود السسودان. ودعيا سائر المسلمين إلى الهبة الكبرى أمام فساد الحكم التركى واستخدما بذكاء ادعاء المهدية في استنهاض همم الجماهير واستثمرا الإرث الصوفي في هذا الجانب.

• المبحث العاشر:-

المحمــل الــشريف الــدارفوري ودوره الاقتــصادي والثقــافي والاجتماعي في الحجاز

نلاحظ بعد مكاتبة السلطان الشهيد على دينار لشريف مكة حاثاً إياه على الانحياز إلى صف الجماعة المسلمة والانضواء تحت راية السلطنة العثمانية بدلاً من الانحياز إلى صف الحلفاء الصهيومسيحيين الذين لا يُؤمن لهم جانب، والسذين لا عهد لهم ولا ذمة وقيام شريف مكة بالرد عليه بأسلوب يفتقد إلى أدنى بروتوكولات الدبلوماسية والحنكة والأدب السياسي فقد توقف إرسال المحمل بعدئذ لأكثر من عامين. ربما كان ذلك لسوء العلاقة الدارفورية الحجازية نتيجة لسوء التفاهم الذي تعكسه العبارة السابقة الصادرة عن شريف مكة دون اعتبار منه لعمق العلاقة التاريخية التي تربط السلطتين الزمنيتين في كل من دارفور والحجاز. أو لربما نتج ذلك عن سوء الحالة الاقتصادية في دارفور نسبة لظروف الحرب الدارفورية الفرنسية التي استنزفت جهد السبلا وطاقتها وأنهكت اقتصادها. وقد يكون السبب غير هذا أو ذاك حيث لا تكشف المصادر بوضوح وجلاء النقاب عن ذلك بتفصيل. وما مضى من استنتاج لا يعدو عسن كونسه استطاقاً واستخلاصاً بل استقراء عل وثيقة تالية تبينه. ويطلب السلطان الشهيد على دينار من الحكومة الثنائية البريطانية تسهيل مهمة المحمل الشريف وتهيئة الظروف

وبالفعل وصل المحمل الشريف تحت إمارة الشيخ محمد سيماوى إلى الخرطوم وتوجه من ثم إلى سواكن (26).

وظلت العلاقات الدارفورية الحجازية قائمة على أساس التبادل التجاري والثقافي. وشكلت دارفور لفترة طويلة من الزمان مصدراً اقتصادياً هاماً للحجاز. وأضدى

⁽²⁵⁾ السلطان إلى سلاطين 9/1631هم (15 شوال سنة 1331هــ) S.N.A.INTELL. 7/2/15 سلاطين إلى السلطان في 1913/10/16م (1913/10/16 منة 1331هــ)

الحجاز بدوره مورداً هاماً لتزويد دارفور بالسلاح. وكانت هذه العلاقة بين دارفور والحجاز علاقة متميزة وعلى قدر من المتانة وثق عراها الرابط العقدي. ولعل مل مضى يمكن إدراكه في ضوء المعطيات التالية: حيث كان المحمل السشريف يستكل وفد دارفور السنوي المنتظم لأداء الشعيرة الإسلامية سنوياً تحت إمرة يختارها السلطان بنفسه. ويوكل أمرها إلى أكثر الناس ثقة عنده واحتراماً لدى أعضاء الوفد. وفي الوقت ذاته كان هذا المحمل الشريف يمثل دفعة اقتصادية هامة للحجاز بما يحمل من بضائع وهدايا ومبالغ لرفع المستوى الفردي والرسمي في الحجاز كما تقدم.

ولئلا تقف الحكومة الثنائية البريطانية تارة أخرى حجر عثرة في وجه سياسته العسكرية الرامية إلى بناء ترسانته الحربية. طلب السلطان الشهيد على دينار من الحكومة الثنائية البريطانية السماح لرسوله بشراء أسلحة وجبخانة من جدة (⁽²⁷⁾. هذا الطلب يعكس توجها جديدا فبعد أن كان القصد من شراء السلاح هو لحماية القافلة من بدو الحجاز أصبح الطلب يأتي في صورة مباشرة وغير مبررة.

هذا الخطاب بدوره يلقي الضوء على دور العلاقة الدارفورية الحجازية في تزويد سلطنته بالسلاح اللازم. وبذا أصبح الحجاز منفذاً جديداً عله يعوض مماطلة الحكومة الثنائية البريطانية في إمداده بما يحتاجه. وتعكس تلك المحاولات المتكررة التي لا تعرف اليأس بُعد نظر السلطان الشهيد على دينار ورؤيته المستقبلية ومدى قدرته على الإمساك بكل خيوط لعبة العلاقات بيده في آن واحد لبلوغ أهدافه وغاياته.

ويبدو أن العلاقة الدارفورية الحجازية قد شهدت تحسناً ملحوظاً خلال هذه الفترة. حيث أن وجود هدايا متبادلة بين الطرفين تؤكد على ذلك (28). وهذه السياسة من قبل السلطان الشهيد على دينار تؤكد على مرونته وأنه لم يكن أحادياً في توجهه السسياسي إذ لم تقتصر الألوان عنده على أبيض وأسود شأن كثير من الأنظمة السشمولية أو ذات الحزب الواحد من قبائل البعثيين والاشتراكيين والطائفيين والعلمانيين والإسلاميين

⁽²⁷⁾ السلطان إلي سلاطين في 1914/4/23م (27 جمادي الأولى سنة1332هــ) S.N.A.INTELL.7/4/1 (28) على دينار إلى مدير المخابرات في 1914/11/25م (11/ محرم سنة 1333هــ) (28) S.N.A.INTELL 2/3/13

الجدد تلك المجموعات التي تنظر بعين واحدة. إذ ينبغي على القيادة السياسية الواعية أن تملك القدرة على التعاطي مع الواقع بواقعية وإيجابية وان تعالج الموضوع الواحد بأكثر من عين وزاوية، دون تفصيل سابق للمواقف. والسياسي الناجح هو الذي يتصرف في حدود الممكن بما يمكن لصالح أمنه ووطنه بعيداً عن مصالحه الشخصية.

ولقد كان للسلطان الشهيد على دينار صلة قوية بالأغوات ونفوذ قوي بينهم. وكان دوره بارزاً في تهدئتهم في لحظات ثورتهم على شرف مكة أو شريف المدينة المنورة حيث يلاحظ انه في سنة 1333هـ قام بإرسال خمسة خطابات إلى مسسئلم الحرمين الشريفين والأغوات يطلب فيها من الأغوات الاتصياع التام و الإخلاص في خدمة الحرم الشريف. (29).

كما يبدو أن الصلة بين الأغوات وسلاطين دارفور صلة قديمة حيث سبق أن أكد السلطان إبراهيم قرض على هذه الحقيقة. وقام السلطان إبراهيم قرض آخر سلطين دارفور قبل سقوط السلطنة سنة (1874م) بإرسال مجموعة من الأغوات لخدمة كل من الحرم المكي والمدني (30).

وكان السلطان الشهيد على دينار من جانب آخر يشعر بوجوب الإنفاق على هؤلاء الأغوات. وفى الوقت ذاته كانوا في مكة والمدينة سلطة وشعباً وحجاجاً ينتظرون محمله بفارق الصبر. وقد تستغرب الأجيال الشابة الآن من السعوديين ممن نشأوا في ظل النعيم بعد استخراج البترول من هذا الكلام بيد أن الكبار من السيوخ من ساكني جزيرة العرب في الحجاز ونجد وفي جنوب المملكة العربية السعودية أو في اليمن يحكون القصص والحكاوي النادرة والطريفة عن تلك الأيام الخوالي بصدق وكيف أن السودان كان للكثيرين منهم مهجراً بقصد التجارة وتحصيل الأرزاق وان السودان كان بقرة حلوباً بسخاء دون من أو أذى. انبعاثاً من هذا المنطلق الأوحد الأمثل قام السلطان الشهيد على دينار سنة 1333هـ بالاعتذار اللطيف إلى الشيخ

⁽²⁹⁾ السلطان إلي الشيخ عبيد الحمدى في 1914/11/25م (11محرم سنة 1333هــ) S.N.A.INTELL. 2/3/13.

⁽³⁰⁾ دار الوثائق القومية المصرية 1/3/104.

عبيد الحمدى من أولاد الشيخ بخيت مقوم المسجد النبوي عن تأخير إرسال المحمل وصرة الحرمين مشيراً إلى سوء الحالة الاقتصادية في بلاده وشحها ويبدي اهتمامه وقلقه لما يدور في بلاد الحرمين من حركات وفتن ويعد بأنه سيرسل (ما يجبر خاطركم ويشرح صدوركم عند حضور محملنا)(31).

هذا الخطاب ذو أهمية بالغة في مجال العلاقات الحجازية الدارفورية حيث يكشف النقاب عن طبيعة هذه العلاقة كما انه يعطى قراءة اقتصادية صحيحة لمنطقة الحجاز في الربع الأول من القرن العشرين التي كانت تنتظر محمل دارفور بفارق الصبر. وقد استنكر أحد الأساتذة المناقشين لبحثنا قبل أكثر من عشرين سنة عن سياسة دارفور الخارجية وهو من السعوديين النجديين وممن نشأوا في كنف النظام السعودي الحالى بعد استخراج البترول بسنوات عديدة وتمتع المملكة العربية السعودية بوضع إقتصادى مميز. استنكر وردد هذه العبارة التي أوردناها في بحثنا يومئذ بهذه الكيفيــة متعجبــاً ومستتكراً قائلاً: كيف ينتظر أهل الحجاز محمل دارفور بفارق الصبر؟ وهذا ما أكدته الوثائق وهي أصدق برهان وحجة تاريخية على الإطلاق ولكنه مقدور في تقديري. ذلك لأنه قد تفتحت عيناه على دولة بترولية لم تنعم في الواقع بما نعمت بــ إلا بعــ د عقد الستينات في القرن العشرين ولكنها كانت قبل ذلك دولة فقيرة يغترب أبناؤها في السودان ويضربون في الأرض في طلب المعاش وجلب الضروري من المعاش. وفي ذات الوقت يلقى هذا الخطاب الضوء على سياسة السلطان على دينار الخارجية. ولم يكن السلطان يومها على وفاق مع السياسة العربية القاضية بالخروج على الدولة العثمانية. إذ كان يعتبرها رمزاً إسلامياً لابد من وجوده. وفي الوقت نفسه لم يكن غافلاً عن حركة الأشراف في مكة والمدينة. ولم يخف قلقه واهتمامه الزائد بما يدور في هذه الديار من صراع واضطرابات وقلاقل. الأمر الذي يلقى الضوء على بعد نظره وعمق تفكيره لأنه لم يكن على وفاق مع السياسة الأجنبية في البلاد الإسلامية. ولعله كان ينظر إلى الأمر من باب أهون الشرين لأن الاستعمار مهما اختلفت وجهات النظر

على دينار إلي الشيخ عبيد الحمدى في 1914/11/25م (11 محرم سنة 1333هــ). S.N.A.INTELL.2/3/13 .

حوله قديماً وحديثاً فهو شر محض لا ينخدع بأطروحاته إلا مغفل متخلف عقلياً وغبي أبله ولا ينجرف وراء وعوده إلا متبلد الحس السياسي، قصير النظر أو عميل خبيت كما هو الحال الآن على مستوى العالم الإسلامي والعربي الأفريقي. وبقراءة سريعة لخارطة العالم الإسلامي نرى بقعاً سوداء يجسدها كثير من هؤلاء السياسيين والمفكرين والقادة الذين شكلوا أقدار شؤم وأضحوا نذر انحطاط لهذه الشعوب وتلكم الأمم فكانوا كالغربان حيث قادوا أممهم وشعوبهم إلى حتفها بظلفها دون وعيى أو رشد قاصد. وأي قارئ حصيف لمفردات التاريخ الحديث والمعاصر يدرك صوابية توجه السلطان الشهيد على دينار لأنه مهما كان سوء النظام القائم على أكتاف أبناء الملة والوطن لهو أهون شراً من الاحتلال فمما لا شك فيه أن نظام صدام حسين في العراق لم يكن جيداً ولا قريباً من ذلك. فكان نظاماً فردياً استبدادياً يجسد نظام الحزب الواحد ونظام الحكم الشمولي الذي يضيق ذرعاً بالآخر وبرأيه. وقد قام بقتل كثير من معرضيه ظلماً وعدواناً ولكن بالرغم من ذلك فإن الأرواح التي أزهقت بعد مجيء النظام الأمريكي الصهيومسيحي والتي تزهق يومياً عشرة أضعاف ما حدث في عهد صدام حسين.

ففي الشمال أقام السلطان الشهيد على دينار علاقة طيبة مع القوى الإسلامية الوطنية ضد الاحتلال الأجنبي. وفي بلاده كان يعد العدة للانفيلات من قيد ربقة السيطرة الأجنبية البريطانية. وفي الحجاز كان يحث القوى الوطنية على الانصباع للقيادة المحلية. ولعله بذلك أراد أن يفتح حواراً مفتوحاً مع هذه القوى الوطنية إلا أن ذلك لم يأت ثماره كما تقدمت إشارة الحسين بن على في عدم رده على السلطان الشهيد على دينار. لأنه كان قد تورط مسبقاً ولطخ يديه بالتعاون مع الحلفاء فأصبح تخليصه من قبضتهم شبه مستحيل كما هو الحال الآن مع القوى الإقليمية والمحلية التي وقعت في ربقة فك القوى العظمى فأضحى أمامها حل واحد ألا وهو الانصياع المطلق لمن دفعوا لها بليل أو في غرف مظلمة على حساب أوطانها وشعوبها وضمائرها وموروثها الروحي والأخلاقي. فقام هؤلاء الخونة المرتزقة من القيادات العربية والإسلامية والأفريقية بتسليم المخلصين من أبناء أمستهم لهؤلاء الغربيين النين الخين العظمى في

بلادهم ويقومون بدور الجلادين لشعوبهم لمصلحة المسشروع السصهيوني الأمريكي والغربي في بلادهم مقابل بقائهم في سدة الحكم فباعوا ضمائرهم ووطنيتهم ومسصلحة بلادهم مقابل دريهمات معدودة فبئس الثمن وبئس القابض وبئس الدافع والمتآمر على أمنتا وموروثاتنا الحضارية والدينية والأخلاقية والسلوكية. وقام السلطان الشهيد علي دينار بإرسال خطاب بنفس المعنى إلى مستلم الحرم المدني وشيخ الأغوات محمد سرور يشكرهما فيه على وصول الهدايا المرسلة مع الشيخ محمد سيماوى. ويعتذر له عن عدم إرسال المبالغ السنوية لانعدام النقد ببلاده. هذا بالإضافة إلى عدم أمن الطريق وقيام الفتن والحركات (والشواشر) و إن شاء الله ما دمنا على قيد الحياة يصلكم منا ما يجبر خاطركم ويشرح صدوركم)(32).

• المبحث الحادي عشر:-

المحمل الدارفوري يهدد المشروع البريطاني في المنطقة

بدأت الحكومة الثنائية البريطانية تشعر بقوة الرابطة الدارفورية الحجازية وأدركت خطورة الدور الدارفورى في الحجاز، ولم تغفل أثر ذلك على السياسة الاستعمارية في البلاد العربية على وجه العموم والسودانية على وجه الخصوص وهذا ما يوضحه نص الفقرة التالية الواردة في تقرير المخابرات البريطانية:

أما السلطان فقد اتخذ من المحمل ذريعة للاتصال بالقوى الإسلامية في المنطقة وأراد بناء سياج وطني في وجه القوى الاستعمارية. قبداً يكتب خطاباته إلى الأغوات وشريف مكة بغية إثارتهم وتوحيد جهودهم وانحيازهم إلى القوى التركية التي تمثل الإسلام وتحمى بيضته. وانطلاقاً من خطورة هذا الموقف بدأت المخابرات الثنائية تنسج خططها القاضية بتفتيش المحمل في سواكن تفتيشاً دقيقاً. ومن ذلك خطاب أرسله نائب مدير المخابرات إلى المفتش بسواكن يفيده بأن وفد على دينار قادم إلى سواكن وعلى حسب تعليمات الحاكم العام يطلب التسهيلات لهم مع تفتيشهم تفتيشاً دقيقاً وغير

221

⁽³²⁾ السلطان إلى مسئلم الحرم النبوي وشيخ الأغوات سنة 1332هـ S.N.A.INTELL. 2/3/13

ملفت لانتباههم وخداعهم بأن التفتيش جمركي فقط(33). بهذا يمكن القول بأن الحكومة الثنائية البريطانية كانت تلعب مع السلطان الشهيد على دينار لعبة القط مع الفأر.

ولم يكن إحساس الحكومة الثنائية البريطانية بهذا الخطر كاذباً كما لم تكن الاستنتاجات السابقة ظنية. الأمر الذي يكشف النقاب عن سوء التفاهم الذي حدث بين السلطان على دينار والشريف حسين بن على في عبارته السابقة والتي لم تزدنا تفصيلاً على كلماتها المقتضبة وعلى ضوئها تم إغلاق باب الحوار بين الطرفين لفترة من الزمن. ففي 1915/5/30م، ورد خطاب من المفتش بسواكن يفيد بأنه قد عثر على خطابات من على دينار ونداء يحث فيه المسلمين على الجهاد في سبيل الله بالدم والمال ويدعو فيه إلى تأييد السلطان التركي. ومن ضمن هذه الخطابات خطاب موجه إلى محمد سرور أغا وآخر إلى شريف مكة إضافة إلى النداء المذكور (34).

كل ذلك يبين أن دور السلطان الشهيد على دينار كان فاعلاً لاسيما في علاقته مع الحجاز. وكانت سياسته إيجابية إلى أبعد الحدود. وقد تولى في تلك الفترة الحرجة من تاريخ العالم الإسلامي والعربي والأفريقي عبء المسؤولية التاريخية الواقعة على عاتقة والمتمثلة في الدعوة إلى وحدة الصف المسلم في المنطقة. وندب نفسه بجدارة إلى تسوية الخلافات بين أبناء الأمة الإسلامية وتشجيعهم لطرح الخلافات ونبذ الفرقة والالتفاف حول قيادة إسلامية واحدة. وشكل ذلك السعى الحثيث مسن قبل السلطان الشهيد على دينار لبلوغ هذه الغاية شطراً كبيراً من سياسته الخارجية. ففي السودان فقد اتصل بالشيوخ والأعيان والقيادات الإسلامية داخل الأراضي الثنائية البريطانية بغيبة توحيد جهودهم وإثارتهم ضد الحكم الأجنبي البريطاني في البلاد. أما في الحجاز فقد قام بمجهودات كبيرة لتوحيد الأطراف المختلفة ذات الـوزن والثقـل الـسياسي فيهـا للوقوف بجانب الخلافة الإسلامية. هذا رغماً عما اعتور السلطنة العثمانية من ضعف وسوء إدارة. إلا أنها كانت تمثل رمزاً للوحدة الإسلامية في نظره.

⁽³³ نائب مدير المخابرات إلى مفتش سواكن في 1915/5/26م 16/ شعبان سنة 1333هــ

S.N.A.INTELL. 2/3/13 S.N.A.INTELL. 2/3/13

^{1915/5/30} مفتش سواكن إلى نائب مدير المخابرات في 1915/5/30م

ومما لا شك فيه أن هذه السياسة بأبعادها تلك ظلت تشكل خطراً جسيماً على القوى الاستعمارية بمختلف مدارسها ومسمياتها في المنطقة الإسلامية بأثرها. للذا لا عجب أن عملت على وأد هذه الجهود في مهدها وسارعت إلى كفكفة أطرافها وحسر آثارها الإيببية. الأمر الذي يؤكد على أن سياسة السلطان الشهيد على دينار واتصالاته الخارجية بدت تشكل خطراً على السياسة البريطانية في المنطقة وعلى موقف الحلفاء في الحرب الأوروبية الأولى (1914-1918م).

وبدأت الحكومة الثنائية البريطانية من جانبها تجند عقليات مخابراتها لـوأد هـذا الاتجاه بعد إدراكها لخطورته وأبعاده. فبدأت أولاً بإجراء تحقيقات صارمة مع رسـل السلطان ومبعوثيه. وأضحت ثانياً تفتش قوافله الذاهبة والآيبة (35).

• المبحث الثاني عشر:-

المحمل الدارفوري وتنسيق المواقف لخوض الحرب لصالح المشروع الإسلامي في المنطقة

إن هذه السياسة الثنائية البريطانية آتت ثمارها العاجلة لاستيما إذا علمنا أن الجانبين الدارفورى والحجازي أدركا خطورة الموقف فألغيا من الاعتبار الرسائل الكتابية. واستخدما بدلاً من ذلك الرسائل الشفاهية. وبدأت المخابرات الثنائية البريطانية تتخذ كافة التدابير للقضاء على سياسة السلطان القاضية بالاتصال بالقوى الوطنية الإسلامية في المنطقة وإثارتها ضد السيطرة الاستعمارية على مقدرات وثروات الأمة الإسلامية. وحثها على الوقوف بجانب رمز الوحدة الإسلامية تركيا العثمانية.

لذا قامت الحكومة الثنائية البريطانية بالتحقيق مع الحاج على كنجارا الذي كان يصحب مجموعة الأغوات - وهم الخصيان الذين يعملون في الحرمين - من الفاشر الى المدينة. وتم حبسه رهن التحقيق بعد رجوعه من الحجاز وتم حبسه بسجن بورتسودان وهو يحمل رسالة شفهية إلى السلطان الشهيد على دينار من قبل متسلم

223

⁽³⁵⁾ السكرتير الخاص إلى نائب مدير المخابرات في 1915/12/20م (35) S.N.A. INTELL. 2/3/13

الحرم النبوي الشريف (36). يبرز هذا السلوك ذكاء ودهاء السلطان الشهيد على دينار ومدى قدرته على تجاوز العقبات والتعاطي مع الواقع بفاعلية.

هذه الإشارة السابقة بتفاصيلها تؤكد أن دارفور كانت مصدراً هاماً للأغوات وأن السلطان الشهيد على دينار سار على نهج سلفه بتزويد الحرمين الشريفين بخدامه. ولقد ظلت مفاتيح التأثير على هذا الوجود المعتبر من الأغوات بالحرمين السريفين بيد سلاطين دارفور دون غيرهم فحاول السلطان الشهيد على دينار استثمار هذا الجانب لصالح المشروع الإسلامي الكبير مقابل إيطال المشروع الاستعماري الاستغلالي في المنطقة.

وتوضح أيضا أن السلطان الشهيد على دينار لم يأل جهداً في الاستفادة من علاقاته الخارجية بالحجاز. ولم يقتصر جهده القاضي بتأليب كل القوى ضد المخطط الاحتلالي الاستعماري في المنطقة على حدود بدلاده أو أراضي الحكم التسائي الابريطاني. وإنما بذل قصارى جهده لكسب الأشراف إلى صف القوى التركيبة الإسلامية. وحاول أن يستفيد من صلاته الطيبة بالأغوات بغية التأثير على أصحاب القرار السياسي في الحجاز. بيد أن الأمر كما يبدو كان أكبر من مجهوداته المحدودة. فقد وقع معظم هؤلاء القادة في العالم الإسلامي - إلا من رحم الله وهم قليل أفي ربقة المخطط الأوربي دون وعي بعض منهم بعمالة ورغبة وآخر بجبن ورهبة وثالث بغفلة وغباء، وبالتالي فان السلطان الشهيد على دينار مهما يكن من أمر فهو أذكى من كان ببلاده يومئذ. بل أذكى وأكثر وعياً من كثير من قيادات دارفور والسودان ممن يدعون كثيراً من قيادات المنطقة العربية والإسلامية والأفريقية الحالية.

وكان الحجاز من جانب آخر يمثل نقطة التقاء لمستشاريه مع رجالات البلاط التركي. الأمر الذي سمح له بتبادل وجهات النظر معهم. بهذا لم تكن طراباس هي

⁽³⁶⁾ نائب مدير المخابرات إلي السكرتير الخاص في 1915/12/20م (8 ربيع الأول سنة 1334هــ) S.N.A. INTELL. 2/3/13

الوسيط الوحيد لتقوية علاقاته بالأتراك وإنما كانت مكة بمؤتمرها الجامع الذي يؤمه الناس من كل حدب وصوب فرصة مناسبة للالتقاء بالعثمانيين (37).

لقد أرهبت سياسة السلطان الشهيد علي دينار الخارجية واتصالاته المباشرة بالحجاز القوى الإنكليزية في المنطقة. ولوحظ أن السلطان الشهيد على دينار دائماً كان لا يبعث على رأس وفد بلاده إلى الحجاز أي شخص سوى مستشاره الخاص الشيخ محمد سيماوى. الأمر الذي له دلالته السياسية ومغزاه الموضوعي من حيث محتوى تبادل الرسائل الكتابية والشفهية التي لا يوثق بشخص آخر لإيصالها واخذ ردها سوى هذا المستشار القدير والشيخ الوقور. وقد وردت إشارة الحسين بن على صريحة لإيضاح هذا الأمر. حيث أجبرته هيبة وسمت الشيخ على محمد سيماوي مبعوث السلطان الرسمي ورئيس المحمل الشريف أن يقوم بالرد المقتضب السالف.

ويبدو أن الشيخ محمد سيماوى كان ممثلاً دبلوماسياً بارعاً وسفيراً ممتازاً. وفي الوقت ذاته كان يتمتع بمكانة علمية مرموقة الأمر الذي أهله لأن يكون المبعوث الخاص والدائم للحجاز. وأصبح أهلاً لثقة الطرفين. لقد أخاف ذلك السلطات البريطانية في الحكم الثنائي البريطاني. وخشيت من تردد هذا الشخص على الحجاز دون أن تتمكن مخابراتها من الحصول منه على معلومات تتعلق بطبيعة العلاقات الدارفورية الحجازية طيلة فترة توليه السفارة بين البلدين (38).

وكان السلطان الشهيد على دينار يتمتع بالمعية أهلته لاختيار عناصر مقتدرة مناسبة لإدارات معينة، أعطاها ثقته فلم تأل جهداً في خدمته والقيام بأدوارها على أحسن وجه.وهذه صفة قيادية هامة قليل ما هم من يمتلكونها وهي موهبة توفر الجهد والمال والوقت أعني وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

كانت هناك صلة وثيقة بين سياسة السلطان الشهيد على دينار الخارجية وإرساله المحمل للحرمين الشريفين وما يدور في الرقعة الإسلامية على وجه العموم. حيث

⁽³⁷⁾ S.I.R.290/5 march 1916

⁽³⁸⁾ الحاكم العام إلي اللورد كتشنر ووزارة الحربية في 1916/4/24م

يقول في خطاب بعث به إلى السلطان محمد رشاد العثماني: (لقد اعتدنا على إرسال المحمل سنوياً إلى الحرمين الشريفين هدية لخدمة الحرمين الشريفين. ولقد درجنا على النصح والتعليمات لرأس المحمل أن يقوم بالاتصال بكم في الحج ولكن الإنكليز درجوا على تعيين جواسيس يراقبون تحركات رأس المحمل ذهاباً وإياباً. ومنذ سنة 1318هـ اعتدنا على إرسال المحمل سنوياً أو كل سنتين في بعض الأحيان من غير انقطاع)(89).

ما ورد من إشارة في هذا الخطاب عله يفسر انقطاع المحمل لمدة سنتين في أيام الشريف الحسين بن على - ربما لسوء الأحوال الاقتصادية أو التشدد من قبل الحكومة الثنائية البريطانية في تفتيش المحمل ذهاباً وإياباً.

• المبحث الثالث عشر:-

الوظائف الحيوية للمحمل الشريف الدارفوري

ويبرز الخطاب السابق دور المحمل والصلة الوثيقة بينه وبين السياسة العثمانية في المنطقة. فلم يكن الوفد الدارفوري المكون للمحمل مهمته أداء الفريضة فحسب بقدر ما كان منوطاً به أدواراً أخرى منها أولاً: أداء أموال لتوزيعها على فقراء العاصمتين المقدستين، ثاتيها: إيصال صرة الحرمين الشريفين إلى شريفي مكة والمدينة لتصريف أمور هما. ثالثها: أداء أموال إلى متسلم الحرم الشريف النبوي والمكي توزع على الأغوات. رابعها: إجراء مفاوضات سياسية مع شريفي مكة والمدينة لتسيق المواقف وتوحيد وجهات النظر بصدد الحرب الأوروبية الأولى ومدى إمكانية الانحياز إلى القوى الأوروبية الغادرة. خامسها: الالتقاء برجالات البلاط لاعثماني وإن أمكن الخليفة العثماني نفسه لتبادل وجهات النظر حول مستقبل المنطقة وتدارس الأخطار المحيطة بديار الإسلام من وجهة النظر الإسلامية واتخاذ التدابير الكفيلة لدرئها.

⁽³⁹⁾ السلطان على دينار إلى السلطان العثماني محمد رشاد 1916/4/1م (8 جمادي 1335هـــ) D.S.A. Box. 128L5.

• المبحث الرابع عشر:-

السلطان السهيد علي دينار و محاولة التأثير على السلطة الزمنية بالحجاز

وكان السلطان الشهيد علي دينار يشعر بأنه مسئول عن القيام بهذا الدور نيابة عن الدولة العثمانية. لذا كانت محاولته للتأثير على القوى صاحبة القرار في الحجاز. بيد أن القوى الأجنبية كانت محيطة به إحاطة السوار بالمعصم فعملت جاهدة على وأد كل جهوده الرامية إلى الاتصال بالقوى الإسلامية في المنطقة. وإيطال مفعول إثارتها ضد الوجود الاستعماري في البلاد.

ولقد أدركت القوى الاستعمارية المعادية للسياسة العثمانية والمناهضة لها دور القوى الوطنية ذات الميول الإسلامية الواضحة. وأدركت أن من أبعاد السياسة العثمانية وحدة الأمة الإسلامية وقهرها للعدو الجاثم على صدر بعض البلاد الإسلامية. وفى الوقت ذاته فإن السياسة الاستعمارية لم تسقط من حسابها التأثير على اتجاهات بعض القوى الوطنية في البلاد العربية لاسيما الحجاز.

ولإدراك السلطان الشهيد على دينار لخطورة الموقف وشعوره بأهمية الوحدة الإسلامية لذا ما أن أعلن الحرب ضد الوجود الإنكليزي في البلاد حتى أعلن انحيازه التام للنجانب العثماني وقام بالاتصال بالحجاز عن طريق الرسائل الكتابية والشفهية. بيد أن هذه الاتصالات لم تؤت ثمارها لأن اللعبة الاستعمارية في المنطقة كانت بحاجة إلى جهود وطاقات وإمكانات أكبر متضافرة. وكان مجهوده محاطاً بتدابير محكمة ومدروسة، علماً بأن طاقاته محدودة، وإمكانات بلاده موثقة بحدود بلاده. لاسيما وأن القوى الوطنية في الحجاز كان قد تم استيعابها واستقطابها من قبل القوى الاستعمارية في المنطقة. لذا لا غرابة أن فكر الحاكم العام في إقصاء السلطان الشهيد على دينار في حالة استسلامه إلى مكة. هذا بعد ورود أخبار بأنه قد عزم على الاستسلام. وذكر الحاكم العام في معرض حديثه أنه مشغول خلال هذا الأثناء بإشعال نار التمرد في

الجزيرة العربية ضد العثمانيين على شكل ثورة يكون رأسها شريف مكة وقد نجد الحاكم البريطاني في ذلك (40). ولعل هذه الإشارة من قبل الحاكم العام في السسودان في تلك الفترة الحرجة من تاريخ أمتنا العربية والأفريقية والإسلامية تلقى الضوء على بعض أسرار اللعبة الانكليزية الكبرى في المنطقة العربية والأفريقية، وكيف أن كثيراً من القيادات والزعامات العربية والإسلامية كانت دون المستوى من حيث التفكير والتخطيط وأنها قد وقعت فريسة سهلة في شباك الخطط الاستعمارية بدون وعيى وإرادة منها. وان شعار اليقظة العربية كان ستاراً لسوأة الاستعمار الاستغلالي لهذه البلاد وتلك الشعوب وتجييرا للحقائق وتزويرا للتاريخ وما أشبه اليوم بالبارحة وليت القادة والمفكرون وحملة الأقلام يستيقظون من سباتهم وغيبة وعيهم. يبدو أن القــضية كانت قضية تسابق على العاصمة المقدسة قبلة المسلمين. وتدل سياسة السلطان الشهيد على دينار الخارجية تجاه الحجاز على بعد نظره ووعيه وإدراكه لمعطيات فترته. حيث اتجهت أنظاره إلى هذه الديار ومنذ فترة مبكرة بغية كسبها إلى جانسب السصف الإسلامي. بيد أن جهوده لم تتل حظها من النجاح لمحدودية إمكاناتـــه ووقـــوع منافـــذ اتصاله تحت سيطرة الحكم الثنائي البريطاني. ويكشف خطاب ونجست باشا السسابق وإشارته هذه إلى أن الحركة العربية أو الثورة العربية الكبرى أو سمها النكسة العربية الكبرى والتي قدر لها أن يكون على رأسها شريف مكة قد تمت بايعاز من القوى الاستعمارية في المنطقة. وأنها حققت أهدافاً استعمارية أكثر منها أهدافاً وطنيـة وقومية أصيلة بخروجها على الدولة العثمانية وتمردها على طاعـة الخلافـة. وهـذا الخطاب بدوره يلقي الضوء على وطنية السلطان الشهيد وأصالة تفكيره ونزاهـة صلاته الخارجية.

وإشارة الحاكم العام بقوله: (وقد نجحنا في ذلك)(41). أي في إثارة شريف مكنة ضد الوجود العثماني ترينا إلى أي حد كان للإدارة البريطانية دور فيما جرى بين شريف مكة والدولة العثمانية. وأن تخطيط ما سمى زوراً وبهتاناً بالثورة العربية

^{(&}lt;sup>40)</sup> الحاكم العام إلى كالى فى 1916/6/13م D.S.A.BOX.129/6

^(4!) المصدر السابق.

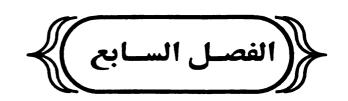
أو اليقظة العربية لم يكن محلياً وإنما نسجت خيوطه في الخارج. وتم استيراد المواصفات والأشكال والكيفيات. وقام بتنفيذها وتحقيق أقدارها أبناء المنطقة. ولذا قررت السلطات البريطانية إبعاد السلطان الشهيد على دينار في حالة استسلامه إلى (مكة التي ستكون تحت قيادة رجل لا يميل إلى الأتراك لان تلك القيادة ستضعه في حجمه وان لا فسأرسله إلى مالطة أو عدن أو أي مكان آخر)(42).

هذا هو قرار الحاكم العام البريطاني الذي يمثل السلطات البريطانية في التحية الثنائي البريطاني في السودان. وكان هو الذي يقوم بدور فاعل في الثيورة العربية. وافتخر بنجاحه في إشعالها في الجزيرة العربية بعد فشل جهود السلطان الشهيد على دينار في تحقيق أهداف وحدة القوى الوطنية الإسلامية ذات الارتباط العقدي. إذن كان السلطان الشهيد على دينار بطلا إسلاميا وقيادة إقليمية أكثر منها قيادة محلية ينحسر دورها في حدود دارفور. وكان يتطلع إلى لعب دور إسلامي يتجاوز حدود الوطنية الفارغة والعرقية النتنة إلى رحاب العالم الإسلامي ونصرته في كفاحه ضد الوجود الاستعماري في أنحاء الرقعة الإسلامية.



⁽⁴²⁾ المصدر السابق.

229



العسلاقات بين دارفسور والدولـة العثـمانية ومصــر

الفصل السابع

العلاقات بين دارفور والدولة العثمانية ومصر

سبق القول بأن سلطنة دارفور هي ضمن سلسلة السلطنات والممالك الإسلمية التي انتظمت وسط أفريقيا. وقد احتفظت باستقلالها بيد أنها لم تلغ من اعتبارها الرباط الإسلامي بدولة الخلافة. حيث بادلت هذه السلطنة دار الخلافة الود وكانت لها صلات حميمة مع كل من الخديوية بمصر والسلطنة العثمانية بتركيا. وهذه الصلات لا تعدو عن كونها الترام أدبي. وشعور بواجب التعاون والتكافل.

وهناك وثيقة عبارة عن خطاب بعث به آخر سلاطين دارفور إبراهيم قسرض (1873-1874) إلى الخديوي جاء فيه: (من أمير مملكة دارفور السلطان إبراهيم ... إلى الخديوي الأعظم ... يكن بعلمكم الزكي أنه قد توفى والدنا محبكم السلطان حسين الزمنا الله وإياكم الصبر ... وكان هو له مودة مع الحضرة الخديوية ... وصل لطرف الحضرة الكريمة الحاج حمزة وأخيه محمود سر تجار دارفور الدي تسشرف بالأعتاب الخديوية حين أرسله الوالد وصحبتهم جوابات و وصايات)(1). هذا الخطاب يكشف عن أفق العلاقات الدارفورية الخارجية وأن سقفها كان عالياً وأن صلتها بالخلافة العثمانية ومصر كانت علاقة ندية وود واحترام متبادل.

امتدت فترة حكم السلطان حسين ما بين (1839 - 1870م) وتفصح هذه الوثيقة عن العلاقة الحميمة القائمة بين سلطنة دارفور والخديوية في مصر بعد أن عدلت عن غزو دارفور. وكلمات السلطان محمد الفضل الساخنة التي يؤكد فيها بأن سلطنة

⁽¹⁾ دار الوثائق القومية المصرية 1/3/104.

ارفور هي سلطنة إسلامية ذات تاريخ وروابط حميمة بالسلطات الزمنية في كل أنحاء العالم الإسلامي. وبالتالي لا يوجد أدنى مبرر لغزوها في عقر دارها من قبل قدى اسلامية صديقة.

بدأت بعدئذ العلاقة على ما كانت عليه وأصبح هناك مبعوثون ورسائل وأعمال تجارية وهدايا تتم بين البلدين. وحفاظاً على عمق هذه العلاقة قام السلطان إبراهيم قرض بمواصلة المسيرة حيث بعث بخطاب بهذا المعنى جاء فيه: (وصل من أمير دارفور للحضرة الخديوية عشرون سناً من سن الفيل وزنها قنطار وعشرة)(2).

يوضح ذلك أن دارفور قد تمتعت باستقلالها بيد أنها لم تهمل الرباط الفكري والثقافي بمصر. وفي الوقت ذاته لم تغفل عن توثيق علاقاتها بدولة الخلافة التي كانت رمزاً للوحدة الإسلامية. وسبق أن رأينا إنها لم تتجاهل أيضاً الرباط الديني بقبلة المسلمين وبمسجد الرسول (ص). إن هذا الرباط بالحرمين يجسد شوقاً سودانياً خاصاً، ويؤكد على أن دارفور لم تخرج عن هذا الإطار السوداني العام المتمثل في حسب الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن هذا المنطلق فإن علاقة دارفور بتركيا العثمانية هي علاقة طبيعية ومنطقية اقتضتها وحدة العقيدة والثقافة. بيد أنها لم تصل إلى حد التبعية المطلقة أو الهذوبان المطلق في رقعة الدولة العثمانية والخضوع التام لها. وإنما تمتعت دارفور بالهسيادة على حدودها واستقلال سيادتها عن أي وجود سياسي ولكنها في ذات الوقت فتحت أبواب التعاون بينها وبين جيرانها وظلت دار فور محافظة على هذا الاستقلال بيد أن الخديوية المصرية نتيجة لأطماع ذاتية ورغبة قوية في الاستيلاء على دارفور التسياستعصت على الغزو أكثر من مرة أخيراً وجدت بغيتها في طموح قدير أوعزت إليه بالقيام بذلك الدور. وبحكم الظروف الراهنة للسلطنة ولصعف إمكانياتها العسكرية استطاع الزبير باشا ود رحمة أن يقضي على آخر سلاطين دارفور إبراهيم قرض بن السلطان حسين في منواشي في 25 أكتوبر سنة 1875م. بيد أن هذا الهسقوط

⁽²⁾ المصدر السابق.

الظاهري للنظام السياسي والإداري في دارفور لم يلن القناة الدارفورية. إذ كان أهل دارفور بالرغم من سقوط النظام السياسي يتمتعون بوجود تنظيم دارفوري قدير تمتع بنظام فريد ودقيق. الأمر الذي جعلهم يحافظون على وجود سلاطين لهم في الظل طوال العهد التركى في السودان والعهد المهدوي. لقد صمد هذا التنظيم الدارفوري وهو يحمل راية المقاومة ويبدي تحدياً للسلطات الزمنية لأكثر من ثلاثة وعشرين عاماً. وظل أهل دارفور يناهضون كل أنواع الحكم الأجنبي في دارفور أياً كان اتجاهه أو لونه (3). مما يعنى أن هذه المنطقة ظلت عنيدة في الانصياع للمركزية وشرسة في مواجهة التواجد الأجنبي بالبلاد عكس ما يحدث الآن. حيث نلاحظ أن بعضاً من القيادات الدارفورية تطالب اليوم بتدخل دولى في قضية دارفور الأمر السذي يعكس مفارقة عجيبة. حيث لاحظنا ولاحظ كل عاقل متبصر بأحوال العصر الحديث والمعاصر ما جرى في أفغانستان والعراق وكوسوفو والصومال. إذ لم يصحب التدخل الأجنبي سلام وأمن في البلاد التي دخلها الغربيون بحال من الأحوال وإنما كانت نتيجة ذلك التواجد الأجنبي تحت أي مسمى من المسميات أو شكل من الأشكال تدمير البنيـة الأخلاقية التحتية للأمة والاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وأي تواجد أجنبي تحــت أي اسم من الأسماء فهو قدر من أقدار الاحتلال. وحتى الأمريكان الدذين يسمون تواجدهم في العراق ليس احتلالاً عادوا بأنفسهم يطلقون على ذلك التواجد احتلالاً. وهذا ما صرح به الرئيس الأسبق جيمي كارتر للإذاعة البريطانية القسم العربي في شهر مايو سنة 2007م.

وتوج أهل دارفور كفاحهم بتربيع السلطان الشهيد علي دينار على العرش وتمكن من استعادة الحقوق الدارفورية المسلوبة ولم يتجاهل العلاقة الدارفورية العثمانية. وبدا منه هذا الاتجاه لأنه كان يعتبره إحياء لمراسم السلطنة الدارفورية الإسلامية وعاداتها وتقاليدها بغية إحياء تراث اندثر وكانت محاولته تلك هي مد جسر من العلاقات الأزلية قد إنهار بسبب الأطماع الفردية وسوء التفاهم.

⁽³⁾ أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

ويؤكد السلطان الشهيد على دينار في أوائل أيام حكمه هذه الحقيقة بقوله: (بغايسة الوفاء إذا كانت المدة الماضية السابقة زمن المتقدمين آباؤنا سلاطين دارفور لهم عوائد وشروط وحدود معلومة وهدايا تقدم لوالي مصر ومحمل يرسل لبيت الله الحرام)(4).

• المبحث الأول:-

العلاقة الدارفورية التركية (العثمانية)

العلاقة القائمة بين دارفور ومصر وتركيا والحجاز هي ليست علاقة تبعية وإنما هي علاقة ودية. تقوم على أساس الندية ولكن تحكمها نصوص وروح التعاون والتكاتف والتآخي والمناصرة الدينية. وفي هذه الأثناء دارت تكهنات في الأوساط الثنائية البريطانية حول علاقة السلطان الشهيد علي دينار بتركيا. لا سيما بعد انطلاقة السلطان الشهيد على دينار ومحاولاته المستمرة للاتصال بكل القوى الوطنية الإسلامية في المنطقة. وقد تناولت الصحافة المصرية ذلك حيث جاء في جريدة مصر ما يلي: بأن السلطان الشهيد علي دينار: (قد أرسل وفداً إلى القسطنطينية بواسطة طرابلس وهذا الوفد يحمل معه هدايا للسلطان العثماني في تركيا. ولربما يهدف السلطان على دينار من ذلك إلى فتح علاقة معه. كما يدل ذلك على وفاء المسلمين وطاعتهم لسلطان الإسلام وان تباعدت ديارهم. ويقال إن الهدف من هذه الزيارة هو إعلن خصوع دارفور للسلطنة العثمانية إلا أن العثمانيين في الوقت الراهن يعون دورهم وقوتهم تماماً. وإن كانت حتى الآن لم تبدر من السلطان على دينار بادرة تدل على انه تخلى عن ولائه للحكومة الثنائية على الإطلاق حيث أن الهدايا والضريبة السنوية لا تـزال عن وبين الحكومة الثنائية على الإطلاق حيث أن الهدايا والضريبة السنوية لا تـزال بينه وبين الحكومة).

هذه الإشارة المبكرة وتلك الاستقراءات لا تخلو من حقائق. صحيح أن السلطان الشهيد على دينار كان يهدف إلى انتزاع اعتراف بوجوده كقوة مستقلة ذات كيان من قبل كل القوى الإسلامية ذات الوزن السياسي في المنطقة. أما إعلان خضوع دارفور

⁽⁴⁾ السلطان إلى السردار في نوفمبر 1900م الموافق 29 رمضان 1318هـ 3/1/2 S. N. A. INTELL السلطان إلى السردار في نوفمبر

للدولة العثمانية فهذا أمر بعيد. واستباق للأحداث وقراءة خاطئة للمعطيات. وتدرك حقيقته باستقراء الكفاح الدارفوري من أجل استعادة السلطنة ودور السلطان الشهيد على دينار في استرداد حق أبناء جلاته في الاستقلال. لأن هؤلاء السلاطين كانوا يدركون جيداً بأن قيام أو استعادة سلطتهم هو واجب تاريخي ووطني وأن التفريط فيب بالتبعية لأي جهة يعنى خيانة القضية. وبالتالي يستحيل أن تتنازل سلطنة دارفور التي عرفت عبر تاريخها الحافل المجيد باستقلالها التام عن مكتسباتها التاريخية، ويستحيل أن يتنازل السلطان الشهيد على دينار بهذه السرعة وبهذه السداجة والبساطة عن منجزاته التي كلفته الروح والدم والتضحية والصبر والعزم وقوة الإرادة. ولكن فيما يبدو أن هذا التحليل الصوفي الفج ناتج عن غياب المعلومة الصورة غير المعقولة وغير المقولة.

ولكن من جانب آخر يمكن القول بأن هذه العلاقة المبكرة تدل على الوفاء الإسلامي تجاه رمز الوحدة الإسلامية في العالم الإسالمي. ويدل إرسال الوفد الدارفوري عن طريق طرابلس على بعد نظر السلطان الشهيد على دينار ووعيه السياسي. فلم يقم بإرسال ذلك عن طريق الخديوية في مصر لأنه كان أدرى بالظروف السياسية الراهنة التي تعيشها مصر. إذ كان يدرك أن الخديوية كانت كرها واقعة تحت سيطرة النفوذ الإنجليزي، لذا أراد أن يحيط علاقته بالسلطنة العثمانية (تركيا) بقدر من السرية لئلا يفسد ذلك عليه علاقته القائمة مع الحكم الثنائي البريطاني الذي يعتبره قدراً من أقداره الراهنة ووضعاً استثنائياً لابد من التعاطي معه بحدر. وفي ذات الوقت لا يريد أن يرهن إرادته وحركته لهذا القدر المحتل. فبدأ يستخدم كل المعطيات وكل الممكنات لتجاوز ما وجد نفسه فيه من إحاطة أجنبية وقوة معادية لوجوده ولتاريخه ولإرثه الحضاري وحقه في أن يعيش حراً مستقلاً فقام بمحاولة جادة لكسر طوق هذه العزلة، لذا لا غرابة أن قام بالاتصال بإخوانه المسلمين في كل من ليبيا والدولة العثمانية بغية التعاون. لاسيما في دولة السلطنة المغلوبة على أمرها يومئذ من أجل العثمانية بغية التعاون. لاسيما في دولة السلطنة المغلوبة على أمرها يومئذ من أجل العثمانية بغية التعاون. لاسيما في دولة السلطنة المغلوبة على أمرها يومئذ من أجل العثمانية بغية التعاون. لاسيما في دولة السلطنة المغلوبة على أمرها يومئذ من أجل العثمانية بغية التعاون. لاسيما في دولة السلطنة المغلوبة على أمرها يومئذ من أجل

توحيد الرؤى واتخاذ موقف موحد على صعيد السياسة الدولية. في محاولة جادة لإبطال المشروع الاستغلالي الاستعماري في المنطقة الإسلامية والأفريقية.

وكانت دارفور رغماً عن هذه الروح الاستقلالية على استعداد لمؤازرة المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي، وسباقة إلى التعاون والتآزر مع كل القوى الوطنية الإسلامية، كل ذلك على أن لا يقضى على استقلاليتها وشخصيتها الاعتبارية.

وفي الوقت الذي فتح فيه السلطان الشهيد على دينار صفحة علاقات خارجية مسع الدولة العثمانية لم يقدم على إشعار الحكم الثنائي البريطاني بتغيير أحواله أو تبدلها تجاهه. وذلك ليمكن لنفسه ويعيد ثقة الآخرين فيه في إدارة بلاده ومقدرته الإدارية والسياسية وليعيد للأذهان مجد أجداده وآبائه.

ولعل ما يؤكد ارتباط دارفور الوثيق بالسلطنة العثمانية استخدامها للعملة العثمانية بدلاً عن استخدام العملة البريطانية أو الثنائية تأكيداً على استقلالية سلطنة دارفور وحريتها في اختيار العملة والنشاط الاقتصادي الذي يروق لها. وهي تشير في الوقت ذاته إلى قدر من التأثير الثقافي والاقتصادي مما لا يغفل دورهما في مجال العلاقات السياسية. ويتبين ذلك من النص التالي الذي جاء فيه علي لسان السلطان الشهيد على دينار: (أنه بعث بألفي ريال مجيدي ... ألف منها يوزع في مكة ... والألف الآخر يقسم في المدينة)(5).

وعلى صعيد آخر أراد السلطان الشهيد على دينار أن يمد جسراً من العلاقات الودية والحميمة مع الخديوية في مصر وسعى إلى ذلك بواسطة صديقه القديم سلاطين باشا مفتش عموم السودان. وقد حاول سلاطين باشا أن يحقق لقاء بين الخديوي والسلطان. فقام السلطان الشهيد على دينار بشكره على هذه المحاولات. ولتطبيع العلاقة بين النظامين طلب السلطان على دينار من سلاطين باشا أن يقترح له نوع الهدية التى يمكن تقديمها للخديوي حيث لم يسبق له التعامل معه من قبل (6).

⁽⁵⁾ السلطان على دينار إلى شريف مكة 1321هـ 1902م (5) S. N. A. INTELL 2/3/12

⁽⁶⁾ على دينار إلى سلاطين في 1909/7/10م الموافق 20 جمادي الآخرة سنة 1327هـــ (5) S. N. A.INTEL 7/1/11

هذه فيما يبدو أول مبادرة صلة جدية بين السلطان الشهيد على دينار وعباس حلمي خديوي مصر. وتقدم أن صلات السلطان الشهيد على دينار بتركيا سابقة بسنين عديدة على علاقاته بالخديوية. فلربما أن وقوع الخديوية تحت نفوذ السيطرة الإنجليزية هو الذي أخر حدوث هذه العلاقة منذ فترة مبكرة في حكم السلطان الشهيد على دينار، وأضعف من الصلات المباشرة بينهما.

ومرة أخرى لا ننسى أن الخديوية هي التي أزالت سلطنة دارفور الأولى على يد الزبير باشا ود رحمة. فمن البديهي أن يكون السلطان متحفظاً بعض الشيء في علاقاته معها. لا سيما وهو يدرك أن الخديوية نفسها تستمد شرعيتها من الخليفة العثماني ظاهرياً بالرغم من وقوعها الفعلي تحت هيمنة النفوذ البريطاني، فمن الطبيعي إذا أن يداري الأصل قبل الفرع، وأن يحصل على اعتراف صريح من السلطنة العثمانية لترسيخ أقدامه وإضفاء شرعية دولية على حكمه، وبالتالي يكون قد تفادى بصورة غير مباشرة الواقع الثنائي البريطاني في السودان إلى أفق أرحب وأوسع.

• المبحث الثاني:-

السلطان الشهيد علي دينار وعلاقته بالدولة العثمانية

وعلى وجه العموم فإن علاقة السلطان الشهيد على دينار الخارجية بتركيا تميزت بأبعاد وآثار يمكن أن تلقى الضوء على طبيعة هذه العلاقة. فهي علاقة عميقة لها جنورها ولها أبعادها السياسية. والعلاقة الدارفورية العثمانية التركية لم تكن علاقة منبتة برزت فجأة وبحكم ظروف الحرب الأوربية الأولى وحاجة تركيا العثمانية إلى مناصرة كل القوى الإسلامية في المنطقة. أو تحت وطأة الظروف السياسية للسلطان الشهيد على دينار. فمن الناحية التاريخية فإن تسمية عبد الرحمن الرشيد الجد الرابع لكل من السلطان الشهيد على دينار ومقبولة والدة عبد الرحمن المهدي جد الصادق المهدي ووالد أحمد المهدي جاءت من السلطان العثماني بتركيا لما اشتهر به هذا السلطان الدارفوري من علم وعدل وتقوى. وقد حكم في الفترة عرون خلت.

S. I. R. 184/4 4TH NOV. 1909 من هذا الكتاب (7)

• المىحث الثالث:-

السلطان الشهيد علي دينار والدعوة الدائمة للسلطان العثماني على المنبر كل جمعة

أما بالنسبة للسلطان الشهيد على دينار فان ما ورد في سجلات المخابرات الثنائية البريطانية ومنذ فترة مبكرة ينفي كل المزاعم السابقة التي حاولت بها المخابرات البريطانية تشويه سمعة السلطان الشهيد على دينار وسياسته الخارجية فيما بعد باعتبار أن سياسته إزاء الدولة العثمانية كانت اضطرارية اقتضتها ظروف عزلته وموقف الحكومة الثنائية البريطانية. مما لا شك فيه أن موقف السلطان الشهيد على دينار إزاء الدولة العثمانية هو موقف أصيل ذو أبعاد تاريخية وموروث حضاري لم تمله عليه الظروف فحسب. ولعل ما أثبته الشيخ محمد سيماوي يلقى الضوء على عمق العلاقــة الدارفورية العثمانية وأبعادها السياسية والدينية والثقافية حينما سئل عن التأثير التركي العثماني في دارفور لا سيما بعد التغيير في موقف تركيا العثمانية الأخير. فذكر من العادة أن كل يوم جمعة جربت العادة والتقاليد المرعية في سلطنة دارفسور فسي عهد السلطان الشهيد على دينار أن يدعى لسلطان تركيا العثماني على المنبر بالاسم ويستم التأمين بصورة جماعية على هذا الدعاء. وبهذه الكيفية فقد فتح السلطان بــــلاده ومنـــذ اليوم الأول للأثر العثماني ولم يقف حجر عثرة في وجه أي جهد عثماني إيجابي فاعل في بلاده. وبالتالي يكون قد انحاز ومنذ توليه السلطة في دارفور طوعاً واختياراً ودون إجبار من أحد إلى جانب السلطنة العثمانية باعتبارها رمز وحدة المسلمين. ولعل الدعوة المتكررة للخليفة العثماني كل يوم جمعة على المنبر تدل على وجود تقليد دارفورى متين وأصيل في ذات الوقت. ويؤكد ذلك على قوة الرباط العفوي بين الدولتين عبر التاريخ. ومما لا شك فيه أن لهذه السسياسة البريطانية ذات الأهداف الإستراتيجية الواضحة أثر في تشويه سمعته من قبل المخابرات الثنائية البريطانية وتفسر اتجاه إسدال الستار على الجوانب المشرقة والطيبة في فترة حكمه والتركين على الجوانب السالبة في فترة حكمه. وهذا هو شأن الغرب قديماً وحديثاً بصدد مواقفه

الثابتة وإزاء كل نزيه ووطنى غيور على بلاده ودينه ووطنه، ولقد درج الغربيون وخلفاؤهم الأمريكيون على أن يقلبوا الحق باطلاً والباطل حقاً، وأن يجعلوا من الجبان الرعديد شجاعاً ومن الخائن المخنث بطلاً ومفكراً وأكاديمياً مبرزاً وسياسياً متفرداً وقيادياً لا يشق له غبار، ومن العميل عديم الضمير وطنياً مخلصاً والعكس صحيح. ولعل ما يدور على ألسنة الكثيرين ممن استهوتهم الدعاية الثنائية البريطانية بأجهزة مخابراتها المقتدرة بشأن السلطان الشهيد وتاريخه وممارساته هو كذب وافتراء محض الأمر الذي ترك بصماته على الخلفية الثقافية تجاه السلطان الشهيد على دينار لدى الكثيرين من المغفلين والعامة ممن لم يطلعوا على سجل حياته أو يتعرفوا على أدواره الإيجابية في المجال الوطني والإسلامي على وجه العموم. ولعل هذا الحكم يطال الكثير مما كتب عن الرموز الوطنية الشجاعة التي تمتعت بنصاعة التاريخ، وصلابة المواقف، وقوة الرأي، إزاء الوجود الأجنبي في البلاد. فحاولت أقسلام الاستخبارات الأجنبية تشويه سمعتهم ووصمهم بكل منقصة مع أن الواقع كان خلاف ذلك. وفي المقابل حاولت من رفع شأن أضدادهم ممن كانوا خونة وعملاء وجواسيس. فأغدقت عليهم النعم والأنوال ومنحتهم الأراضى والأملاك في قلب العاصمة المثلثة لا لسشيء سوى أن ذلك العطاء السخى هو مدفوع مقدم لما أسدوه للسلطة الأجنبية من خدمات لا تقدر بثمن. وهذا هو شأن الاحتلال قديماً وحديثاً. وبحلول نذر الحرب الأوربية الأولى كان السلطان الشهيد على دينار على علم تام بما يدور وكان موقفه متوطناً. وبدأت الحكومة الثنائية البريطانية تشكك في نواياه إلا أنها لم تملك أدلة قاطعة تكشف اللئام عن سياسته الخارجية ومواقفه المتوقعة. هذا وكان السلطان الشهيد على دينار على إطلاع تام بما يدور على الجبهة التركية العثمانية وخططها وتحركاتها. وزود بواسطة القيادة السنوسية بليبيا بأخبار وخطط العثمانيين. وعلم من مصادر مقربة من القيادتين ومطلعة أن السلطان محمد رشاد السلطان العثماني والزعيم السنوسي قد انعقدت معاهدة بينهما على محاربة الإنجليز لا سيما في السلوم (8).

⁽⁸⁾ محمد عبد الرحيم الحاج صالح إلى السلطان، 1914/10/7م

لا شك أن أخباراً على هذا القدر مما يرفع الروح المعنوية لدى السلطان السشهيد على دينار ويدعوه للوقوف بشراسة لمناهضة الحكم الإنجليزي المصري في السبلاد. والعمل الدؤوب على كسر شوكته في السودان. كل ذلك كان يحدث في وقت لم تتوفر فيه وسائل الاتصال الحديثة مما يوحي بالإصرار والعزم في التواصل مع الدولة العثمانية والقوى الإسلامية ذات التوجه التحرري في المنطقة.

• المبحث الرابع:-

اهتمام الدولة العثمانية بالسلطان الشهيد على دينار

وفى الوقت ذاته لم تهمل الدولة العثمانية دوره الطليعي ولم تغفل علاقاته السابقة. فقد أرسل أنفر باشا وزير الحربية التركية خطاباً ضافياً اشتمل على استنفار عام للمسلمين ودعوة خاصة للسلطان الشهيد على دينار لمحاربة الحكم الثنائي البريطاني في البلاد. وبدأ الخطاب بإسباغ الصفات التبجيلية على السلطان الشهيد على دينار. وعرض الخطاب في ثناياه لـشرح واف لبدايـة الحرب بـين الدولـة العثمانيـة والإمبراطورية الروسية على حدود البحر الأسود. وأكد أن الروس هم السنين بـــدأوا بالاعتداء. لأن المعلوم أن الدولة الروسية القيصرية كان لها سعى دعوب للوصول إلى المياه الدفينة على حساب أملاك الدولة العثمانية. وبالتالي كان لزاماً على الدولة العثمانية الدفاع عن حدودها وأراضيها وأن تقف في وجه الاعتداء الروسي بقوة وبصلابة. لذلك ذكر أنفر باشا بأن العثمانيين تمكنوا من رد الجنود السروس على أعقابهم. وشرح لـــه طبيعة الاتفاق القائم بين الألمان والنمسا والدولة العثمانية مــشيداً بانتصارات الألمان على الفرنسيين. واستثار في السلطان الشهيد على دينار الروح الدينية والنخوة الوطنية ووجوب الخروج على الكفار فيما يليه من مناطق وسحقهم وإبعادهم من العالم الإسلامي، الذي يجب أن يهب هبة رجل واحد في وجــه الوجــود الاحتلالي الأوروبي، وينتهز هذه الفرصة التي قد لا تتوفر لــه مرة ثانية في التخلص من نير الاستعباد والذل والاستعمار والخضوع لأعداء الله ورسوله. وذكر له في ذات الخطاب إمعاناً في الشرح ورفعاً لروحه المعنوية، بأن جنود الدولة العثمانية وهم مئات الألوف يتقدمون في تلك الفترة إلى قنال السويس. وقد حاول الإنجليز التقدم إلينا ولكن أسود العرب البواسل ردوهم. وسرد عدداً من الآيات والأحاديث الداعمة لنداء السلطان العثماني باستتهاض الهمم والتحريض على قتال الأعداء وطلب منه في نهاية الخطاب أن يكون عاقلاً كما هو متوقع. وان يعمل جهده في القصاء على الحكم الثنائي البريطاني في السودان. وأشار إلى أنه قد أرسل خطاباً آخر إلى السيد أحمد السشريف السنوسي مع أخيه البمباشي نوري بك يحوي ذات المصمون وخستم ذلك بقوله: (وأرسلت لك خطابي هذا مع جعفر بك وذلك بعد صدور الفتوى من المشيخة الإسلامية أو هيئة الإفتاء وتوجيهها النداء إلى كل المسلمين في العالم الإسلمي وندائها لهم ومطالبتها لهم بالاتحاد والاستجابة لنداء الجهاد) (9).

بذا تكون الدولة العثمانية قد بذلت جهداً موفوراً لوضع السلطان الشهيد على دينار في الصورة ووفرت له المعلومة الصحيحة وملكته الحقيقة كما ينبغي الأمر الذي يؤكد على انه كان رقماً هاماً استحق كل هذا التتوير وهذا الإسهاب المطول في اطلاعه على أدق التفاصيل. وتم الاتصال معه على مستوى عال في الدولة العثمانية. وزود بتفاصيل الوضع الراهن وأعطى إجابة قاطعة لكل التساؤلات المطروحة حول الدولة العثمانية وموقفها واتفاقاتها. وهي مسائل غاية في الدقة والأهمية والخطورة وتمليك المعلومة الصحيحة جزء من الاعتراف بكينونة المخاطب وقدره ومكانته ودوره.

واحتوى الخطاب قدراً من الإغراء بإشعار السلطان الشهيد على دينار أن هذه الفرصة السائحة التي قد لا تتكرر إذا ما أراد التخلص من ربقة القيود الاستعمارية المحيطة به. والإشارة التي أوردها أنفر باشا وزير الحربية العثمانية والتي مصمونها أن الألوف من جنود الدولة العثمانية قادمون إلى قناة السويس لا تعدو عن كونها إغراء وقد تكون من باب الحرب النفسية لرفع روح السلطان الشهيد المعنوية وإرباك خطط الدول الأوروبية المعادية في المنطقة حال تسريب هذه المعلومات إليها عن طريق عملاء المخابرات الموجودين في الفاشر عاصمة دارفور يومئذ، وفسى ذات الوقت

D. S. A. Box. 129/2

^{(&}lt;sup>9)</sup> أنفر باشا إلى السلطان في 3 فبراير سنة 1915م الموافق 18 ربيع الأول3 133هـــ

تكشف هذه الإشارة النقاب عن نوايا وخطط عثمانية مستقبلية. ومما لا شك فيه أن تحرك السلطان ودوره في شل حركة الإنجليز من الأمور التي قد تساعد حلف ما يسمى بدول الوسط (تركيه وألمانيا وحلفائهما).

ومن هذه الناحية فإن الاهتمام به قد يكون أمراً اقتضته المصلحة. وكانت التلبيسة سريعة وإيجابية من قبل السلطان الشهيد على دينار الذي كان يتوق أبداً ويتطلع إلى الإنعتاق من ربقة التبعية الاسمية للحكومة الثنائية البريطانية. ومسن أهداف تحقيق الحرية والاستقلال. ومما يعطي المسألة بعداً إسلامياً هو إرفاق صسورة مسن فتسوى المشيخة الإسلامية الأمر الذي أولاه السلطان عناية فاتقة وتقديراً خاصساً وحساول أن يستثمره ويوظفه لأبعد حد في استنهاض الهمم واستقزاز الروح السديني لسدى أهسل السودان. لاشك أن هذا العمل الذي قام به السلطان العثماني إزاء السلطان الشهيد على دينار يشير إلى مدى أهمية الأخير وما يمكن أن يلعبه مسن دور فسي هذه القسضية المصيرية. ووفقاً لذلك أصدر السلطان الشهيد على دينار البيان السابق ذكسره داعيساً الأمة السودانية بمختلف قطاعاتها واتجاهاتها وأعرافها إلى نبذ الفرقة والاعتصام بأمر الدين والخروج غضبة شه وجهاداً في سبيله بغية إخراج الكفرة أعداء الله ورسوله مسن ديار المسلمين عموماً ومن السودان على وجه الخصوص. وفي الواقع لم يكسن بيانسه محلياً وإنما كان ذا صبغة عالمية موجهاً إلى جميع المسلمين بغض النظر عن وطنيتهم أو ألوانهم مهيباً بهم للالتقاف في وقت الشدة حول القيادة الإسلامية ورمز الوحدة الخليفة العثماني.

• المبحث الخامس:-

الـسلطان الـشهيد علـي دينـار وإعـلان الخـروج علـي الحكـم البريطاني

يلاحظ المدقق في تاريخ تلك الفترة الحرجة من تاريخ الأمة السودانية خصوصاً والأمة العربية والإسلامية والأفريقية عموماً، أن قلة من القيادات الوطنية والقومية

والفكرية هي التي استوعبت الدرس وسبرت أغوار الإستراتيجية الأوروبية في المنطقة العربية والأفريقية والإسلامية علماً بأن الكثرة الكاثرة هي التي تبلد حسها وضعف أداؤها وشلت قدراتها وكانت مثبطة للهمم مقعدة للأمة عن السير في طريق الاستقلال والتحرر ورغماً عن هذه المواقف المخزية إزاء قضايا الأمة الحيوية ووقوف تلك القيادات في صف الوجود الأجنبي في البلاد إلا أنها أصبحت فيما بعد وبقدرة قدر وبتخطيط وإستراتيجية بعيدة المدى من قبل الاستعمار الأوروبي هي الزعامات والقيادات الوطنية المعتمدة وأسدل ستار من الظلام المتعمد على المقاومة الحرة الشريفة في المنطقة. وقد جبن أحفادها حتى ساروا بوعي أو بغير وعي في ركباب الأجندة الغربية في بلدانهم. وعليه نلاحظ أن ما تلى من أحداث كان نتاجاً طبيعياً فيمجرد وصول أنباء الحرب الأوربية الأولى إلى السودان ودارفور على وجه المحموص ونشوب الحرب بين تركيا العثمانية وبريطانيا. أبدى السلطان انحيازه التام وميله نحو الأثراك العثمانيين علناً. واتخذ موقفاً عدائياً سافراً من المدكم الثنائية البريطاني في السودان في أبريل سنة 1915م. وأعلن حينذ فض ما بينه وبين الحكومة الثنائية البريطانية من معاهدات واتفاقيات. وأفصح صراحة عن انضمامه رسمياً إلى الأثراك العثمانيين الذين كانوا على صلة وثيقة به دون مواربة أو استحياء (١٥).

ولم تكن صلات السلطان الشهيد على دينار بتركيا تتم عبر قناة واحدة وإنما درج على تعدد القنوات التي عن طريقها يستطيع الاتصال بدولة الخلافة العثمانية. فحين حاولت الحكومة الثنائية البريطانية أن تضيق الخناق على طريق القوافل المتجهة إلى طرابلس كان هو بدوره قد اتجه إلى منفذ آخر وهو طريق الشرق تحميه مظلة المحمل الشريف. بيد أن الحكم الثنائي البريطاني كان له بالمرصاد حيث بدأ في تفتيش المحمل تفتيشاً دقيقاً بغية محاولة العثور على خطاب مرسل إلى أحد المسئولين الأتراك(11).

(10) Sir Reginald Wingate : op.cit.pp.103-176 S.N.A.intell.3/13 (1333 شعبان 1333هـــ) 1915/5/19 في 1915/5/19 مرير المخابرات إلى مفتش سواكن في 1915/5/19 مراكز المخابرات المخابر وترجم السلطان الشهيد على دينار خلال هذه الفترة السياسة العثمانية ترجمسة صادقة مصدراً بياناً ضافياً ونداء حماسياً على غرار النداء العثماني يحث فيه المسلمين قاطبة ويهيب بهم أن يجاهدوا في سبيل الله بالدم والمال، ودعا فيه الكافة إلى وحدة الصف الوطني والمسلم والتزام خط الجماعة بتأييد السلطان العثماني في حرب ضد الحلفاء، وقام بإرسال نسخة من هذا البيان مع خطاب آخر إلى أحمد الشريف السنوسي وآخر إلى شريف مكة بغية كسبهما إلى جانب الصف العثماني في جهاده المقدس ضد الكفار أعداء الله وأعداء رسوله (12). وأولته الدولة العثمانية عناية واهتماماً خاصاً حيث بعث إليه السلطان العثماني ميدالية وهدايا في شكل سيف وسرح ومدفع مزخرف ومسدس ونظارات حقل، وتم إطلاعه على مجريات الأمور أولاً بأول ليكون على دراية تامة بالأوضاع (13). كما تم اطلاعه على أحوال الجبهة السنوسية في الشمال (14).

• المبحث السادس:-

الـسلطان الـشهيد علـي دينـار في قلـب الأحـداث في الحـرب الأوروبية الأولى

ولعل هذا يعكس أن دارفور وسلطتها السياسية أضحت في قلب الحدث وغدت أحد اللاعبين الرئيسيين على مستوى السودان، ولم تقف على الرصيف متفرجة وإنما كانت فاعلة وبإيجابية منقطعة النظير ومثلت وجه السودان المشرق في وقت قل فيه الشجعان وتوارت فيه كثير من القيادات الوطنية والسودانية والإقليمية عن الأنظار خوفاً من بطش الحلفاء ومداراة لهم وطمعاً في دراهمهم البخسة.

لم يكن تحرك السلطان الشهيد على دينار عشوائياً وإنما كان مبنياً على حسابات دقيقة وفقاً للمعلومات التي تيسرت له يومئذ في وضع كوضعه ومنطقة كمنطقت وإمكانات كإمكاناته. وإدراكاً منه بالواقع وشعوراً بالواجب وأداء للأمانة ووفاء بحق

نورى بك أخ وزير الحربية إلى السلطان على دينار 1915/8/14م (1915) نفس المرجع.

⁽¹²⁾ مفتش سواكن إلى نائب مدير المخابرات في 1915/5/30م(20 شعبان سنة 1333هــ) S.N.A.intell.3/1 (13) نوري بك أخ وزير الحربية إلى السلطان على دينار 1915/8/14م (1915/8/14

الدين عليه كان انحيازه غير المشروط إلى معسكر السلطنة العثمانية طبيعياً. لذا لـم يتوان في الرد على أنور باشا صهر الخليفة ووزير الحربية العثماني بقوله: (من حيث إنتشاب الحرب ولحد تحرير مكاتبتكم ... قد وجهنا أفكارنا كلية وجزئية نحو قتال ما يلينا من طائفة النين كفروا عملاً بقول الله تعالى: يا أيها النين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة إننا منذ إنتشاب الحرب بين جلالة سلطان الإسلام وبين الأعداء الكفار الفساق الإنكليز وفرنسا وما يليهم. فمن وقته قطعت ما بيني وبين الزعماء الملعونين من العلايق الودية وجاهرتهم بالعداوة وأعلنتهم بالحرب، واستعديت بقدر ما يستطعني من القوة غيرة في دين الله.ومن وقتئذ ملتفت لورود المخابرة من جهة سلطان الإسلام ليفهمني كلمة الموافقة على القيام للجهاد في سبيل الله فبادرت قبل ذلك بإرسال مكاتبات لجلالته رأساً ومكاتبات إلى السيد احمد الشريف السنوسى بما فيه الكفاية للموافقة وذلك فهو لما تحقق لدينا أن الجهاد في هذا الزمان صار فرض عين على كافة المسلمين المنتشرين في الأرض)(15). كلمات يمكن أن تكتب بمداد من ذهب لو قالها أي زعيم آخر من العملاء الذين صنعهم الاستعمار على عينه بصنيغة غير هذه الصيغة الجهادية الماثلة ذات البعد الدينى ولو قالها في موقع آخسر لصالح الإستراتيجية الأوروبية في المنطقة لهالت له أجهزة الإعلام الأوروبية ولحملت كلماته الأثير ولسار بها الركبان ولعدوه واحداً من مشاهير وعظماء التاريخ في العسالم العربي والأفريقي والإسلامي.

• المبحث السابع:-

الـسلطان الـشهيد علـي دينار وإعـلان الجهـاد علـي الـذين يلـونه

وفى الوقت ذاته لم يكن السلطان عجولاً أو مستعجلاً إنما هدف إلى تنسيق الحركة وأداء الدور المنوط به بانتظار المخابرة وإضاءة النور الخضر. وورود عبارة الانتظار

247

⁽¹⁵⁾ السلطان إلى وزير الحربية العثماني ووكيل القمندان الأعظم في(1334ه) (1915م) S.N.A. Intel 2/3/12

توحى بالتزام تبعية قيادة حربية واحدة. ولعله أراد بذلك أن تتحمل تركيا العثمانية دورها كاملا في المسؤولية التاريخية تجاهه وهو على استعداد للقيام بالدور المنوط به حتى لا يصبح منعزلاً فيسهل استئصاله. والمسالة الثانية هي ضمان وحدة الخطه. ولا يغفل المرء تباعد المسافات واستحالة المتابعة التفصيلية في مثل هذه الظروف التي قد تتجح فيها اللامركزية. مما يعنى انه كان على وعسى وذكساء وقسراءة صسحيحة لمفردات ومعطيات المرحلة. ولقد حمل السلطان لواء المبادرة لوحدة الصف المسلم والوطنى بالسودان وليبيا. وأن اتصالاته بالسنوسى يمكن أن تفسر في ضـوء ذلـك. ويمكن أن تصب في خانة توحيد الجهود وتقوية الجبهة الداخلية، والخروج من إطـــار المحلية إلى رحاب الماعون الإسلامي الكبير لتلعب دار فور دورها التاريخي بعيدا عن الأثنية والعرقية والجهوية التى تحاول الآن جهات كثيرة تدعى الانتماء إلى دارفور وثقافة دارفور وأصالة دارفور وأهل دارفور وهى فى الواقع والحقيقة جاهلة بدارفور وتاريخها وإرثها الحضاري والسياسي والاجتماعي، تحاول أن تؤطرها وأن تحسشرها في زاوية وجحر الأثنية والعرقية النتنة وأن تضطرها إلى محجرها المضيق الذي سيعزلها عن ماض تليد وموروث خالد. كل ذلك من أجل مآرب شخصية ومصالح ذاتية. أو على حسب ما يورده عامة السفهاء (يا فيها يا أطفيها). وبالتالي يمكن أن نقول أن السياسة في السودان هي ضرب من (الصعلكة المستترة). فالحزبي أياً كان شرقياً ام غربياً حينما يكون خارج إطار الحكومة يفلح في النقد والتنظير والطيرح الموضوعي وتفلح القيادات والأحزاب السياسية بمدارسها المختلفة واتجاهاتها المتنوعة أن تقدم كل منافق عليم وخطيب مفوّه معتوه لخداع الجماهير المتطلعة للحق والفصيلة وكسب كل مغفل نافع، وما أن يركب صهوة أدنى سلطة حتى يصم أننيه، ويغمض عينيه عن الحق وأهله ويلجم لسانه عن قول الحق ونصرته والوقوف بجانبه. وهذا شأنهم جميعاً في السودان طاتفيين أو علمانيين بشتى قبائلهم من موسكو إلى واشنطن أو إسلاميين بشتى مسمياتهم وألوان طيفهم من إسلام آباد إلى طنجة. ولم يخف السلطان الشهيد على دينار مشاعره الصادقة والدافئة حتى نحو أحد أصدقائه حينما حاول الأخير التأثير عليه لاتخاذ قرار يقضى بانحيازه إلى دول الحلفاء (بريطانيا - فرنسا وحلفائهما). وأشار السلطان الشهيد على دينار في رده عليه إلى أنه قد علم من خطاب المذكور أخبار الحرب الدائرة بين سلطان الإسلام وبين بريطانيا ويؤنبه على رغبته في أن ينتصر المسيحيون على المسلمين. ويختم السلطان خطابه بأن يسال الله أن يجعل الدائرة على المسيحيين وأن ينتصر الإسلام أهله (16). هذا تعبير صادق عن مشاعر إسلامية حميمة وعاطفة دينية عميقة، وانتماء حقيقي غير زائف الأمر الذي يجافى ما يدور في دارفور الآن من حيث البداية ومن حيث الأهداف، ومن حيث الوعى والتعاطى مع الواقع بمسؤولية وعقلانية. فدارفور الماضى كانت محسور الأحداث على المستوى الإقليمي والعالمي من حيث طموحاتها وأهدافها ومن حيث نظامها السياسي وموروثها الحضاري. والآن يحاول أحفاد هؤلاء الأماجد أن يحشروها فى جحر ضب من العرقية والجهوية وحب الذات والكسب الرخيص بأن يجنوا أمــوالاً على حساب تاريخها الناصع وماضيها المجيد وتراثها الفريد. وحاول نوري بك من جانب آخر أن يزود السلطان الشهيد على دينار بكميات من الأسلحة من بنادق وذخيرة كافية. الأمر الذي يشد من أزره ويقوي من عزيمته حيث أرسلت إليه الأسلحة من ليبيا وفقاً لتعليمات أحمد الشريف السنوسي بعد تأكده من علاقته الطيبة مع المسنوسيين الموجودين في الفاشر (17).

• المبحث الثامن:-

السلطان الشهيد علي دينار وخيبة الأمل في القيادات الوطنية والزعامات الطائفية

وشعر السلطان الشهيد على دينار بخطورة الموقف وعدم تجاوب الأعيان والمشايخ وتأثر هم بالدعاية الإنكليزية في البلاد فأرسل خطاباً إلى السلطان محمد رشاد مطلعاً إياه على الأحوال الجارية في البلاد حيث يقول: (فبدى أن النصارى الإنكليز

⁽¹⁶⁾ السلطان إلى عبد المسيح الأنطاكي في 1915/10/26م (17 ذو الحجة سنة 1333هــ) S.N.A.intell.4/10

⁽¹⁷⁾ كالايتون إلى الحاكم العام في 1915/12/25م D.S.A.BOX.131/6

بعدما ملكوا السودان جميع المسلمين بشرق السودان العلماء والفقهاء ومشايخ الطرق وغيرهم ارتدوا وصاروا على ملة النصارى واتبعوهم في أقوالهم وأفعالهم وخرجوا عن دين الإسلام وأعيانهم صهاروا يكاتبونا ويثنوا على دولة الإنكليز ويمدحوها وردت لنا بالجرائد شهادات من أعيان السودان وأهالي النواحي مدحين فيها دولة الإنكليز بتمويهات مكذوبة. وقد بلغنا أن جلالتكم أعلنتوا الحرب مع أعداء الدين الكلاب الإنكليز وفرنسا والطليان وكافة النصارى. فالله سبحانه وتعالى هو المسئول أن ينصر دينه ويؤيده ... ويعلى كلمة الحق في عموم أقطار الدنيا)(18).

هذا الخطاب يلقى الضوء على علاقة السلطان الشهيد على دينار بالحكم التنائي البريطاني منذ الوهلة الأولى. فهو يرى أن الحكم الثنائي البريطاني عبارة عن سيطرة الإنجليز وهي سيطرة ذات وجه مسيحي في السودان. وإشارته إلى أن الأعيان والعلماء ومشائخ الطرق قد ارتدوا ربما أراد بذلك السير على الميرغني وعبد الرحمن المهدي والشريف يوسف الهندي في ركاب الحكم الثنائي البريطاني. وترينا هذه الكلمات التسى وردت بهذا الشأن مدى غيظه من سلوكهم غير السسوي وإتباعهم لأعدائه الكفار وممالأتهم للنصارى ضد المسلمين. لاسيما بعد ورود شهاداتهم التي توحى بعدالة وصلاحية الحكم النصراني في البلاد. ومعلوم انه لا يحق لأي مسلم موادة الكفار باي كيفية وتحت أي مسمى ماداموا قد أعلنوا الحرب ضد إخوانه في الدين وضد الدولة التي تحمى بيضة الإسلام. وذلك بعد أن تعين فقها الجهاد ضد الحكم الانجليزي وأعوانه سواء أكانوا في السودإن أو في أفريقيا عموماً او في العالم العربي والإسلامي. وقد وردت بذلك أيات محكمة في سورة المائدة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52) هذه الآبات بدلالالتها الواضحة

⁽¹⁸⁾ السلطان على دينار إلى السلطان محمد رشاد 1915/12/25م (23 ربيع الأول سنة 1333هـ). S.N.A. INTEL/3/12 .

وبمعناها ومراميها تشكل مرتكزاً قوياً للسلطان الشهيد على دينار في دعواه واتهامه للذين يسيرون في ركاب الحلفاء من الزعماء المحليين الذين انحازوا للصف الكافر ضد تركيا العثمانية دولة السلطنة الإسلامية وحامية بيضة الإسلام.

وكان السلطان الشهيد على دينار موقناً في قرارة نفسه بأن ما جاء من قبل هؤلاء الأعيان والخطابات التي أرسلوها له بغية إقناعه للانحياز للإنكليز هي لا تعدو في مجملها عن كونها تمويهات مكذوبة وقع فريستها هؤلاء الشيوخ والفقهاء والأعيان ممن قعدت بهم الهمم وقصرت نظرتهم عن الشمول. ومن جانب آخر فقد أحاط السلطان الشهيد على دينار رسائله إلى السلطان العثماني بقدر من السرية البالغة. هذا لضمان وصول خطاباته والحصول على ردها حيث قام بإرسال خطاب عن طريق أحمد الشريف بواسطة مبعوث خاص من قبله. وطلب من السيد أحمد السشريف السنوسي كتمان أمر هذه الرسالة حتى وصول الرد من تركيا العثمانية وإعطائه المبعوث السلطان الشهيد على دينار الخاص. (19)

• المبحث التاسع:-

السلطان الشهيد علي دينار ومراسلات الدولة العثمانية في فـترة الحرب الأوروبية الأولى

وفى الخطاب ذاته والذي تمت الإشارة إليه في المبحث الثامن ذكر السلطان الشهيد على دينار بأن رسالته للسلطان محمد رشاد تتضمن أموراً في غايسة الأهميسة والخطورة. وآثر تزويد مبعوثه بها ليبلغها لأحمد الشريف السنوسي شفاهة لئلا يتعرض مبعوثه لتفتيش من قبل استخبارات الحكومة الثنائية البريطانية يعثر فيه على مكتوب. ويشير في ذات الخطاب إلى تشديد الرقابة من قبل الإنجليز أعداء الله ورسوله. ويأمل كتمان السر والتصرف بحكمة (20).

251

⁽¹⁹⁾ السلطان إلى احمد الشريف في 1915/12/25م (23 ربيع الأول سنة 1334هــ) S.N.A.INTELL .3/12 (منة 1334هــ) السلطان إلى احمد الشريف في 1915/12/25م (23 ربيع الأول سنة 1334هــ) (20) S.N.A. INTEL/3/12 D.S.A.BOX.129/7.

فيما يبدو انه أراد أن يحيط خطابه ذلك بالسرية لما تضمنه من معلومات في غاية الخطورة والأهمية وهي كشف الخطط الاستعمارية الاحتلالية في السودان التي اقتضت استقطاب كبار رجالات القبائل والمشائخ والعلماء. ووصل بهم الحد إلى أن يصدروا بيانات يدعون فيها كل أهل السودان إلى الانضواء تحت راية الإنجليل والفرنسيين أعداء الله. وأن الله تعالى لابد أن يحقق نصره. وإعلان الجهاد في مثل هذه الظروف كفيل بتحقيق هذه الغاية. وأرفق مع ذلك الخطاب بعض البيانات والمطبوعات فلي جريدة السودان والتي تثبت صدق مقولته وليطلع السلطان محمد رشاد على حقيقة الأوضاع في السودان (21). من خلال ما مضى يتضح مدى قراءة السلطان الشهيد على دينار لمعطيات الواقع قراءة موضوعية ومنطقية تتسق وسلامة فكرة وتتاسق ذاته وأنه والتزام سديد ودعوة إلهية راشدة ومنهاج غاية في الوضوح ليس جلباباً يلبس ويخلع وفقاً لمقتضى الحال كما فعل غيره ممن فعل في السودان من بعده وفي خارج السودان وليس لحى تسدل أو مسابح تطقطق أو عمائم تلبس وإنما هو منهاج حياة وتشريع أهة وعدالة سماء ودماثة خلق وميزان عدل ونور سماء.

• المبحث العاشر:-

مبررات خروج السلطان الشهيد علي دينار وقيادته المقاومة الوطنية الأولى

فمنطلق السلطان الشهيد على دينار في حربه وخروجه على الحكم النتائي البريطاني في البلاد مؤسس أولاً: على قناعة ذاتية لحمتها وسداها عدم مولاة الأعداء من الكفار. وقد تواترت النصوص الشرعية الدالة على هذه المعاني. ثانياً: أن الكفار قاموا بالاعتداء على بلاده ولابد من ردهم بالقوة. وهذه من الحالات التي يتعين فيها الجهاد من وجهة نظره وهذا هو عين الصواب شرعاً حيث وردت طائفة من آيات القرآن وأحاديث المصطفى (ص) بهذا المعنى. ومما لا شك فيه أن هذه من الحالات

S.N.A. INTEL/3/12. See also .- D.S.A. Box 129/7.

² على دينار إلى السلطان محمد رشاد في 1615/12/25م.

التي يتعين فيها الجهاد وينتقل من فرض الكفاية إلى فرض العين حسب ما هو مقرر في كتب الفقه الاسلامي.

ولعل هذه القناعة التامة بأهداف التحرك وشرعية الموقف العثماني جعلتاه يراسل الأعيان بغية إقناعهم وإغرائهم بنقل أخبار الجبهة العثمانية والسنوسية إليهم ففي خطاب بعث به إلى الشريف يوسف الهندي ذكر له فيه أن السلطان محمد رشد وأولاد السنوسي قد قتلوا عدداً كبيراً من الأعداء. وأنهم قد أرسلوا إليه تحت إشراف قيس كريم وآخرين ألفين وأربعمائة بندقية وأربعمائة صندوق (22). تلك محاولة جدادة مسن قبل السلطان لإغراء هؤلاء الزعماء وتحفيزهم للنهوض ضد الحكم الثنائي البريطاني إلا أنهم كانوا أضعف من أن يحركوا ساكناً أو يقتلوا نبابة وكما جاء في المثل السسائر الذي هو قطعة من بيت شعر: - ما لجرح بميت إيلام.

وفى يناير سنة 1916م. فض السلطان ما بينه وبين الحكم الثنائي البريطاني تماماً وأعلن عداوته له. وقد قصد من ذلك إرهاب الحكم الثنائي البريطاني وإشعاره بان موقفه الحالي قد اتخذه نتيجة سياسة عثمانية دارفورية موحدة (23). وتوالت خطابات النارية بعدئذ مؤكدة موقفه السابق وميله إلى سلطان تركيا العثماني والدفاع عن الأهداف التي وضعها سلطان تركيا العثماني نصب عينيه. (24) وتأصيلاً لهذا الدور فقد أرسل خطاباً إلى نائب السلطان العثماني والقائد العام. في هذا الخطاب يذكر السلطان الشهيد على دينار أن سبب إثارته للحرب ضد قيادة الحكم الثنائي البريطاني في السودان هو الاستجابة الفورية لنداء الدولة العثمانية وتنفيذاً لأمر الله بمحاربة الدين يلونه من الكفار. حيث أضفى بذلك بعداً جديداً على موقفه القومي والوطني والرجولي بتأكيده بأنه لا يوجد مسلمون متمسكون بدينهم الحق لا علماء ولا أشراف. وكأنه بذلك يعرض بمن ينتمون إلى الأشراف من أمثال الشريف يوسف الهندي وعلي الميرغني يعرض بمن ينتمون الذي يقطنون الخرطوم ويعيشون في كنف النظام البريطاني في

S.N.A. INTEL/4/10 محمد رشاد في 1915/12/25م على دينار إلى السلطان محمد رشاد في 1915/12/25م S.N. A. INTEL /4/10. (23)

S.I.R . 259/4 - 5 .Feb. .1916

دعة عيش وراحة بال، ولم يحركوا ساكناً خوفاً من بطش الانجليز بهم، وغيرهم من الناس الذين يقطنون دارفور الذين لا يحتمون بمن يحكم أو كيف يحكم. إن هذا الخطاب بمفرداته الآنفة الذكر يوحى بأنه قد يئس من هؤلاء الشيوخ وأولئك الزعماء والأشراف. وأنهم كانوا في حقيقة الأمر دون الدور المنوط بهم تاريخياً فـــى مقاومـــة المحتل الغاصب، بل أصبحوا بوعى أو دون وعى وبرغبة أو برهبة أبواقاً وأدوات استعمارية أوروبية كما هو شأن الأحفاد الآن على مستوى دارفور أو على مستوى السودان عموماً. وظل السلطان الشهيد على دينار في كل مناسبة تتسنى ينتهز الفرصة السانحة ليؤكد على أصالة موقفه، وموروث سلطنته، إذ يعرف نفسه ودولته بأنها سلطنة قامت منذ القديم وضعفت بمرور الأيام ويصف أسرته بأنها أسرة عباسية تتتمى إلى بيت الرسول (ص). ولعله بذلك يشير إلى أنهم ينتمون إلى دولة ابن حسن كردم كما جاء في بعض أشجار النسب السودانية ويلتفون مع القبائل العربية السسودانية أي المجموعة الجعلية في أصولها. أو أنه من نسل احمد المعقور الهلالي. وأشار إلى أنه لا يملك في الوقت الراهن سلاحاً ولا نخيرة كما هو الحال بالنسبة إلى الدولة العثمانية التي تملك العتاد والرجال بيد أن دارفور تملك ارادةً ورجالاً وخيلاً وإيماناً بالله وحده واعتماداً عليه وثقة به. (25) إشارة إلى أنه يملك قوة معنوية وكافة الأسباب الممكنة للنصر ويؤكد بأنه على استعداد لبذل أقصى ما يمكن في سبيل دينه وعقيدته متى ما توفرت لديه قوة مادية أكبر وعتاد أوفر.

• المبحث الحادي عشر:-

بريطانيا وتشويه سمعة السلطان الشهيد علي دينار

وشعر الحكم الثنائي البريطاني بخطورة الموقف إذا ما نجحت مساعي السلطان الشهيد على دينار في المنطقة فاقتضاه ذلك إجراء تجهيزات وترتيبات عالية. وشن

⁽²⁵⁾ السلطان على دينار إلى انقر باشا بواسطة حسين عارف في 12 مارس سنة 1916م (8 جمادي الأولى سنة D.S.A.BOX. 129/3

على السلطان الشهيد حملة إعلامية قويه منظمة بغية تشويه سمعته ووصمه بالخيانة وإلى ذلك يشير القائد الانجليزي (كالى) بقوله: (إن على دينار قد استلم خطابات من الأتراك والألمان تعزز من موقفه وتشجعه على الخسروج على الحكومة الثنائية البريطانية، وقصد أولئك من هذا هو شغل الحكومة الإنجليزية وجيشها حتى لا يرسل إلى جبهة أخرى، أما بالنسبة إلى السلطان الشهيد على دينار فانه قد أصبح ضحية لهذا المخطط ليواجه مصيره المحتوم، وأضاف قائلاً بأن السلطان رجل غير متحضر وجاهل غير مهذب وقد أصبح مغروراً ومعتزاً بأمجاده مخدوعاً بمن حوله)(26).

لقد أراد الحكم الثنائي البريطاني بهذه الكلمات الفجة، وبهذه الأوصاف الوضيعة، أن يشوه سمعة السلطان الشهيد على دينار وقلب ظهر المجن له ظهراً على عقب وهذا شأن أوروبي وغربي قديم حديث فما دمت خادماً لمصالحهم فأنت بطل الأبطال، ويوم أن تتمرد أو تبدي قدراً من التبرم والتضجر فأنت أسوأ من مشى على البسيطة دون تحفظ. ولعل هذه الكلمات الصادرة عن الحاكم العام وزمرته تعبر عن مدى الغيظ والحنق الذي يعتمل في نفس القيادة الثنائية الانجليزية تجاه وقوف السلطان الشهيد على دينار في صف الجماعة المسلمة وعدم موالاته للكفرة والنصاري. وكان الغرض من هذا الخطاب هو تهدئة الأحوال بعد ظهور بوادر التمرد بين قطاع الجايش الثنائي الإنجليزي المصري في الجبهة الغربية. وحاول بعض من الضباط المصريين الغيورين على أوطانهم ودينهم الاتصال بالسلطان الشهيد على دينار والتنسيق معه رغماً عن إرادة قياداتهم العميلة كما أشار إلى ذلك (كالى) في خطابه (27). الأمر الذي يعنسي أن السلطان الشهيد على دينار لم يكن كما وصفه (كالى) بعدم التحضر والتهذيب لأنه لسو كان كذلك لما كان جاذباً لتلكم العناصر التي انحازت إلى قيادته والى صفه ضد الوجود الأجنبي في كل من مصر والسودان ولو كان كذلك لما انحاز إليه ضباط متقفون وواعون قدموا من بلد متحضر ولم يكونوا على ذلك القدر من السذاجة والبساطة لينقادوا إلى رجل جاهل وغير متحضر وغير مهذب على حد تعبير هذا القائد الانجليزي الأفاك.

⁽²⁶⁾ كالى إلى جميع الضباط وقيادة الهنود في 191/3/13 الصباط وقيادة الهنود الهنود المناطق الصباط وقيادة الهنود المناطق الصباط وقيادة الهنود المناطق الم

⁽²⁷⁾ المصدر السابق.

ولربما يفسر ذلك الموقف البطولي والوطني للسلطان الشهيد على دينار وصف (كالي) للسلطان بأنه غير متحضر وجاهل إلى غير ذلك من ألفاظ السب والشتم التسى قصد منها تزهید الناس فی إتباعه و هو أسلوب سیاسی رخیص قدیم حدیث تنتهجه الحكومات والأحزاب والجماعات ضد من يرفع عقيرته عليها أو من ينسلخ عليها. والآلة الغربية الإعلامية الحالية تتبع هذا الأسلوب بعلمية ومنهجية دقيقة لحرق أوراق كل من لا يقف ومصالح الغرب في خندق واحد .. وقد أتت هــذه الــسياسة الثنائيــة البريطانية ثمارها حين وقع الناس نتيجة المناهج الدراسية التي وضعها المستعمر وردد أصداءها تلاميذه من أنصاف المثقفين والأكاديميين ضحية للدعاية الإنكليزية حيث حجبت الإدارة انبريطانية في السودان بوعي وبتخطيط مدروس أدوار السلطان الشهيد على دينار المشرقة وبطولاته الإيجابية عن الأمة وعن أجيالها الصاعدة التي أضحت تردد المقولات الغربية بغباء. مما جعل الناس وحتى الباحثين لا يعرفون عنه كثير شيء سوى ما كتبه بعض الباحثين الغربيين وإن كان ذاك الذي كتب لا يخلو من تحليلات مغرضة وتجيير للحقائق وتزوير للوقائع وهي في كثير من جوانبها لـصالح أمة الكاتب (28). والآن نحن ندرك ونرى ونسمع ما تقوم به الآلة الإعلامية الغربية والأمريكية في مجال قلب الحقائق من حيث جعل الحق باطلاً، والباطل حقاً، والجبان بطلاً والبطل جباناً وخائناً والمدافع عن وطنه وبلده إرهابياً والبائع لبلده والإرهابي الغادر بطلاً قومياً، والجاهل البليد مفكراً والمفكر الحر الذي لا يشق له غبار منبوذاً، الأمر الذي يقتضى مراجعة شاملة من قبل عقول وأقلام حرة لتاريخنا وفقاً لوثائق وتحليل موضوعي ومنطقي بعيداً عن المؤثرات الخارجية فتاريخ أي بلد كان، فإن أدرى الناس به هم أهل البلد المخلصين النجباء لا العملاء والمغفلين ولا الأجانب الذين حوروا وبدلوا وفق أهوائهم كثيراً من الحقائق التاريخية واجبروا الجيل الأول من الباحثين في بلادنا من الذين تلقوا التعليم على أيديهم وفي مؤسساتهم على تبنى آرائهم وإرضائهم حتى يتمكنوا من الحصول منهم على شهادات عليا من جامعات الغرب، وينبغي ألا نغتر بحرية البحث والتفكير وحيدة المناهج التي غدت أكذوبة وبالونة فارغة

A.B. THEOBALD. OP.CIT انظر (28)

لا تنطلي إلا على كل مغفل نافع أو عميل مباع في سوق النخاسة الماسونية الصهيومسيحية في المؤسسات الأكاديمية الغربية أو الشرقية عموماً. فلكل ثمن مدفوع سياسياً أم أخلاقياً أم دينياً.

• المبحث الثاني عشر:-

نجاح السلطان الشهيد علي دينار في إقناع عدد من القيادات العسكرية المصرية في الانضمام إليه

يبدو واضحاً من خلال الوقائع وخطابات الاستخبارات الانجليزية أن الـسلطان الشهيد على دينار قد تمكن ببراعة وبذكاء من أن يحدث تمردا داخل الجيش التسائي البريطاني في البلاد. وأعرب بوضوح وبجلاء وبمنطق مقبول عن عدالة قنضيته، ووضوح رؤاه، وسلامة منطقه، بقوة وبوضوح حيث أقنع كل ذلك عدداً من المنباط والجنود المصريين بسلامة موقف السلطان الشهيد على دينار وأبدوا تعاطفأ وانحيـــازأ تامأ لصفه فهجروا ثكناتهم غير نادمين وولوا وجوههم شطر معسكرات السلطان الشهيد على دينار في دارفور. وقد خاطروا في سبيل نلك بحياتهم وبمستقبلهم المهنسي والأسري بهذا الانحياز إلى معسكر السلطان الشهيد على دينار الذي فتح نراعيه لاستقبالهم، وأثبت لهم بموضوعية وبعقلانية شرعية الموقف العثماني ووجوب الوقوف بجانبه. واقتضى ذلك النجاح الحكم الثنائي البريطاني أن يقوم بتصفيات وسط القيادة الغربية وخسران عدد من القوة الغازية. وبدأت الإدارة الثنائية البريطانية تتصرف بعدم اتزان وعقلانية حيث تم حبس بعض الشخصيات القيادية في النهود (29)، ويئست القوات الثنائية البريطانية وقيادتها من استقطاب السلطان الشهيد على دينار إلى صفها وشعرت بخطورته وتهديده لوجودها. ولعل مما يؤكد نزاهته ووطنيته وأن كثيرين ممن جهلوا حياته وسيرته وقعوا ضحية الدعاية المغرضة ضده من قبل الحكم الثنائي البريطاني ما جاء على لسان الملازم المصري محمد أفندي عبد الموجود الذي وجه خطاباً إلى إخوانه الضباط والجنود المصريين العاملين في الجيش الثنائي البريطاني، أكد فيه أن

⁽²⁹⁾ مجموعة المجاهنين بالغرب إلى السردار في 1916/3/18م

الكلام الذي ذكره (كالى) قائد القيادة الغربية والحاكم العام في حق السلطان على دينار من الظلم والاضطهاد لا يعدو عن كونه هراء وكذباً صراحاً. ونفى الزعم القائل بان السلطان الشهيد على دينار عنصري يكره كل الوافدين من غير سكان دارفور، فقرر أن ذلك كله كذب محض. فهناك في دارفور أنراك ومصريون وغيرهم من شتى الأعراق والانتيات. وأشار الضابط المصري محمد أفندي إلى انه حين قدومه دارفور استقبل بحفاوة بالغة. وهنف الجنود (الله اكبر، الله اكبر) وأشار أيضاً إلى وجود عدد من الأشخاص مبتعثين من قبل السلطان العثماني محمد رشاد في دارفور. ودعا الملازم المصري محمد أفندي الجنود والضباط المصريين والسودانيين في النهود في ختام خطابه إلى النهوض ضد الوجود الأجنبي والثورة على الكفار والمشركين وأعوان الجيش الغازي الكافر (30).

• المبحث الثالث عشر:-

السلطان الشهيد علي دينار وتهمة العنصرية

مما مضى يتضح أن السلطان على دينار لم يكن عنصرياً معصوباً بعرقية بغيضة كما حاولت الحكومة الثنائية البريطانية وصفه بذلك. ولم يكن ظالماً حيث صورته الدعاية الإنكليزية متهمة إياه باضطهاد أتباعه. ولعل الكثيرين من الباحثين والمفكرين السودانيين الأوائل وقعوا فريسة هذه الدعاية الاستعمارية الغربية الحاقدة التي تطاولت على شموخ وكبرياء كل القيادات الوطنية في القرن التاسع عشر المديلادي وبدايات القرن العشرين في محاولة جادة ومدروسة من أجل تبخيس دورها البطولي في التضحية والاستبسال والدفاع عن العباد والبلاد وهدم الأنموذج وإسقاط المثال الأعلى الشعب. ولا يخفى أن وجود جنسيات متعددة، وشعار الله اكبر، والاتصال العثماني الدار فورى هذه كلها مؤشرات تضع السلطان الشهيد على دينار فوق كل الاعتبارات الإقليمية المحدودة من حيث الجهد والتخطيط والفكر والرؤية والإستراتيجية والتضحية والفهم والتعاطي مع الواقع بفاعلية وباقتدار فهذه هي دار فور التاريخ والمواقف والإرث

الملازم محمد أفندي عبد الموجود 1916/3/17م 013 جمادى الأولى سنة 1334هـــ D.S.A.BOX.127/8

الحضاري الفاعل والمجاهدات الكبيرة التي يريد الاستعمار الحديث والمعاصر وأعوانه أن يقلصوا ويحجموا من دور دارفور الريادي وأن يكفكفوا تاريخها ويعملوا على حصرها في دائرة ضيقة وأن يضطروها إلى جحر العصبية ونفق الإنتية المظلم. لقد كانت دارفور ولا تزال وستظل درة في تاج وطننا السودان وستظل غرة في جبين رغم ما يجري فيها الآن فهو سحابة صيف تتقشع إذا تحاكمنا إلى العقل والحكمة وعقلاء وحكماء دارفور فهم كثر، ولكنهم في ظل العمالة الحديثة تقلص دورهم، أما إذا أعطيت القوس لباريها فان الأمور والمياه ستعود إلى مجاريها الإدارية والتنظيمية والقبيلية والعشائرية، فدارفور غنية بعقولها وحكمائها وفضلائها وحكاماتها الفاعلات في المجتمع الدارفوري إلى حد الحسم والإقصاء من الحياة العامة والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وقام الشهيد السلطان الشهيد على دينار من جانبه بالاتصال بالخديوي عباس حلمي ولعب هذا الدور الخطير سفيره فوق العادة الشيخ محمد سيماوى فقام بالسفارة بين الرجلين أثناء تواجده في مكة. حيث التقى هناك بالخديو عباس حلمي وتذكر إحدى الوثائق ما نصه: (لقد ظهر جلياً أن الشيخ محمد سيماوى قد قابل الخديوي (هكذا) ولعل ذلك خطاً لأن لفظة الخديو تنطق بدون ياء وهو الصحيح ما أشار إلى ذلك أحد الباحثين المصريين في ورقة قدمها إلى ندوة (العرب والتحديات عبر العصور) بجامعة القاهرة/ كلية الاداب / قسم التاريخ في الفترة 17-200/5/190م المخلوع في الحج وأجرى معه محادثات الأمر الذي كان له أثره الواضح على موقف السلطان على دينار تجاه خلع عباس حلمي وعدائه للخديوي حسين)(31).

بيد أن المتتبع للأحداث يلاحظ أن العلاقة بين الخديو عباس حلمي والسلطان الشهيد على دينار لم تتشأ بعد خلع الخديو. وإنما بدأت منذ فترة مبكرة سبقت الإشارة اليها. وقد لعب سلاطين باشا النمساوي دوراً هاما في نشوء هذه العلاقة. وتؤكد هذه العلاقة المتينة والمتجذرة على أن السلطان الشهيد على دينار لم يكن يعادي حكام مصر

259

⁽³¹⁾ الحاكم العام إلى كتشنر ووزارة الحربية البريطانية في 1916/4/24م D.S.A.BOX.128/3.

أو المصريين بصورة عمياء – على الرغم من أن الخديوية هي التي هدت عرش سلطنة دارفور واسقطت آخر سلاطين دارفور في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي، وزعزعت أركانه منذ الغزير الأول سنة 1822م بانتزاع إقليم كردفان – يؤكد ذلك ما مر ذكره عن محمد عبد الجواد. وهو مصري المولد والمنشأ والثقافة بيد أن قاسم الدين وهو أقوى من كل القواسم الأخرى دفع به إلى الانحياز إلى جانب الحق والانخراط في صفوف قوات سلطنة دارفور النظامية دون تمييز أو رائحة عنصرية بأي درجة من الدرجات التي تم التركيز عليها الآن من قبل عملاء في الخارج وطابور خامس في الداخل.

وفى الواقع أن دارفور هي المنطقة المفصلية الهامة قد تكون الأولى أو الثانية بعد مملكة سنار في السودان التي قد ارتبطت بمصر ارتباطاً ثقافياً وحضارياً مستمراً عن طريق الرواق الدارفورية والرواق السنارية بالأزهر، واقتصادياً عن طريق مصالح اقتصادية حيوية منذ القدم (طريق الأربعين) – ولذلك فان القول بان أهل دارفور كانوا ينظرون إلى هذه العلاقات بصورة عاطفية (حب أو كراهية) أمر لا يستقيم لدى ذوي العقول والبصائر. ذلك لأنها علاقة أزلية وعلاقة ثقافية وروحية توطدت أركانها وتوثقت عراها بعد قيام سلطنة دارفور الإسلامية حيث قدمت عوائل مصرية أقامت بدارفور وتمازجت مع أهل البلاد الأصليين وقدمت عوائل مغربية وحجازية وتونسية ويمنية ودخلت في نسيج دارفور واصبحت جزءاً من دارفور لحماً ودماً وتاريخاً وثقافة وإرثاً، وأضحت دارفور منطقة جذب سياسي واقتصادي وروحي وفكري خلال خمسة قرون إلا قليلا من الزمان. وهي فترة ليست بقصيرة بكل المقاييس.

ويؤكد ذلك أيضاً إدراك السلطان الشهيد على دينار لاتجاهات النظام السنياسي في مصر. فصداقة السلطان الشهيد على دينار للخديو عباس ناتجة عن ميول الأخير للدولة العثمانية ووقوفه مع القضية الإسلامية، والتزامه جانب الصف المسلم. وهذه ذات الأسباب التي اقتضته – أي السلطان الشهيد على دينار – الخروج على الحكم للثنائي البريطاني في البلاد وإعلان الحرب ضده. وبالتالي فإن عداوته للخديو حسين

كانت ناتجة عن كون الأخير أمسى دمية في يد القوى الأوروبية المعادية التي كانت سبباً في تنصيبه.

لذا أبدى السلطان الشهيد على دينار معارضة قوية لخلع السلطان عباس حلمي. وعرض بالحاكم العام الإنجليزي وقدرته على تغيير أو تبديل شيء، بقوله أن الملك لله يؤتيه من يشاء. وذكر بأن الحاكم العام أضعف من أن يصل إليه ناهيك عن خلعه. كما أكد بأن عباس حلمي موجود وسيعود إلى العرش (32). هذا الخطاب قد صدر بلهجة دارفورية حادة وقوية مما يوحى بأنه رد على مراسلات دارت بين الطرفين – الحاكم العام والسلطان الشهيد على دينار. وفيه إيماءة إلى ورود تهديد واستفزاز من قبل الحاكم العام له بخلعه كما خلع الخديو عباس. وأن مصيره سيكون مصير الخديو المخلوع عباس حلمي، ولذا سخر السلطان الشهيد على دينار من الحاكم العام ومدى قدرته على زحزحة شخص أو الوصول إليه وخلعه. ويعكس هذا الخطاب أن الصفوف قد تمايزت وأن المواقف قد تحددت وأن التهديد لم يعد إيجدي شيئاً مع السلطان وأن ايمانه قوي بأن النصر من عند الله.

ومعارضة السلطان الشهيد على دينار لخلع الخديو كانت نابعة من وحدة الهدف والوفاء لفا هو قائم بين الطرفين من اتفاق يلمحه المرء - بين سطور الوثيقة بقوله: أن الخديو موجود وأنه سوف يعود. هذه التأكيدات لا يستبعد أن تكون ناتجة عن اتصال وتخطيط مشترك بين الجانبين. وبالتالي فإن السلطان قد تجاوز حدود المحلية الصنيقة إلى آفاق النتسيق الإقليمي والدولي. وما فتئ السلطان الشهيد على دينار يؤكد مواقف الإسلامية ويكرر محاولاته للاتصال بالدولة العثمانية، محاولاً اختراق الحواجز الإنجليزية المصرية. ولكن يبدو أن التدابير الثنائية البريطانية كانت على قدر من الإحكام حيث يقول السلطان الشهيد على دينار: (لقد حاولنا إرسال رسلي إلى مصر لمقابلتكم ولكن الإنجليز قاموا بمراقبتهم فلم يتمكنوا من أداء مهمتهم حيث فتشوهم ولهي يتركوا معهم شيئاً مما أرسلناه إليكم وحتى الآن ومنذ إعلانكم الحرب سنة 1332ه....

⁽³²⁾ المصنر السابق.

م يصلنا منكم خطاب و لا خبر واحد ولكن نحن من جانبنا ما أن علمنا بخبر الحرب فصعنا صلاتنا معهم. وعند وصول خطابنا هذا إليكم نرجو إعلامنا بالذي يجب إتخاذه سر خطوات) (33). لم يأل السلطان الشهيد على دينار جهداً في الإتصال بالدولة العثمانية رغماً عن كل التدابير الثنائية البريطانية التي قطعت الصلة القائمة بينه وبين الدولة العثمانية. فعمل على فتح قناة أخرى عن طريق الشمال بواسطة ليبيا والثانية عن طريق مصر والثالثة عن طريق الحجاز. بيد أن التدابير الثنائية البريطانية كانت مطبقة ومحكمة على محاولاته من كل الجهات. ولا يزال السلطان يقرر أن طبيعة الحرب المعلنة من قبله هي حرب طبيعتها دينية.

وفى خطاب آخر كشف فيه السلطان الشهيد على دينار عن خطط الحكومة الثنائية البريطانية الرامية إلى مكاتبة عدد من الشيوخ والعمد السدار فوريين والمسئولين فسي سلطنة دار فور لإثناء السلطان عن مواقفه (34). وهو إجراء طبيعي لهذ البنية من الداخل من قبل الحكومة الثنائية البريطانية أو خلق ما يسمى بالطابور الخامس لنقل أسرار وخطط السلطان الشهيد على دينار إلى الجهة المعادية له. ولكن من جانب آخر فإن خطاب السلطان على دينار المتقدم يدل على تتبهه لما يجري حوله من تدابير عدائية ومدى إطلاعه على مجريات الأحداث ومتابعته المستمرة وتطلعه لمعرفة ما يدور في الساحة الإسلامية الواسعة التي تتجاوز حدود دولته. ولا شك من أن ارتفاعه عن الإقليمية الضيقة هو الذي جعله لا يستجيب لمحاولات الحكومة الثنائية البريطانية. وأن الرتقاء كان ناتجاً عن عقيدة راسخة وفكر نير ثاقب أكثر من أي شيء آخر.

ولا زال تفكير الحكومة الثنائية البريطانية قاصراً تجاه سياسة الـسلطان الـشهيد الخارجية إذ كانت تعتبر أن السلطان الشهيد على دينار قد راح ضحية للدعاية التركية العثمانية الألمانية. وهذا في حد ذاته يعتبر تجاهلاً تاماً للحركة الذاتية والقناعة العقدية لتى شكلت لبنة ثورة السلطان الشهيد على دينار واقتضت عداوته لهذا الحكم الكافر

على دينار إلى السلطان محمد رشاد أبريل 1916م (8 جمادى الثانية سنة 1334هــ) D.S.A. Box. 129/3 .

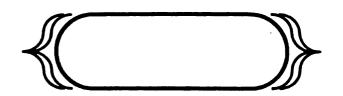
عنى دينار آلي السلطان محمد رشاد في مايو سنة 1916م عنى دينار آلي السلطان محمد رشاد في مايو سنة 1916م

الأوروبي بكل مدارسه واتجاهاته ومداخله. ومما لا ريب فيه أن تلك المحاولات الثنائية البريطانية كانت تشكل مستوى من التبخيس المتعمد والتقليل من شأنه واختصار مواقفه البطولية واختزالها لصورة مخلة وباهتة أو رمادية تزهيداً في الإقتداء به أو إتباعه. وهو أسلوب استعماري غربي قديم حديث. وسبقت الإشارة إلى أن الـسلطان الـشهيد على دينار هو الذي بدأ بمراسلة السلطان العثماني ابتداءً. ولا يخفى أن المحاولات الإيجابية للاتصال بالدولة العثمانية كانت دوماً من قبل السلطان الشميد على دينار. والواقع يقرر أن المسألة قد تجاوزت حدود الاستقطاب السرخيص أو الوقسوع غيسر الواعى فريسة سائغة لدعاية بعينها. فالسلطان الشهيد على دينار كان في الأساس مسلماً معتزاً بدينه، وبموقفه الإسلامي وبطلاً قومياً يرفض الانحناء والخنوع لـشذاذ آفاق الغرب المحتلين، وعداؤه لأعداء الإسلام قد تجاوز كل الاعتبارات وفاق التصورات الثنائية البريطانية، ولا أدل على ذلك من إشارة الحاكم العام بقوله: (منذ أربعة أشهر من الآن أعلن على دينار الجهاد ومنذ سنة بدأت خطاباته تحمل الشتم وذلك بعد نجاحه في أن يحصل على أسلحة من السنوسية. ولأن خطة الأتراك والألمان هي إشالا حرب في غرب السودان ومصر. وذلك بعد نجاحهم في أن يستقطبوا المسنوسي إلى جانبهم واستخدامه كوسيط بينهم وبين على دينار. ونجح الأخير في الاتـصال بعلـي دينار وإمداده بالسلاح فازدادت لهجة على دينار حدة)(35).

صحيح أن الخطة التركية العثمانية الألمانية كانت تقتضي إشعال حرب في غرب السودان. ولكن لولا وجود شخص وطني وقومي غيور على وطنه وقومه في قامة السلطان الشهيد على دينار وفي مستوى شموخه وشجاعته وجرأته غيور على دينه متسلح بقناعة ذاتية، لما وجدت هذه المقاومة الشرسة في دارفور من يقودها لا يخفى أن الساعات الحرجة في تاريخ الأمم لها رجالها الشجعان وقاماتها الفاقعة ومقاماتها وأرقامها فكان السلطان الشهيد على دينار هو رجل الساعة المناسب وقامة تلك الساعات الحرجة من تاريخ السودان الحديث والمعاصر ورقمها الصعب. ومن المعلوم

⁽³⁵⁾ SIR REGINALD WINGATE. OP. CIT. PP. 10307-8.

أن صلات سلطنة دارفور بالدولة العثمانية لها أبعاد تاريخية ووشائج روحية منذ ما قبل عهد السلطان عبد الرحمن الرشيد الذي أطلق عليه لقب الرشيد من قبل السلطان العثماني. وقد كان البلاط الدارفورى على مر التاريخ الوسيط والحديث مركزاً علميـــاً ومحوراً من المحاور الهامة في العالم الإسلامي وقبلة للعلماء والمحتاجين. ومــصدراً دائما لمحمل شريف تواصل عطاؤه لمصر ولبلاد الحرمين مدة خمسة قرون من الزمان فما من حاج إلا وناله قدر من نواله وما من حاكم لمكة والمدينة إلا لـــدارفور عليه يد ودين مستحق عبر التاريخ وكذا مصر. وعلى وجه العموم لقد حالت تدابير الحكومة الثنائية البريطانية دون استمرارية الاتصال المباشر بين القوى العثمانية والدارفورية. ولم تتمكن الدولة العثمانية من نجدته وإمداده بما يحتاجه من سلاح وعتاد في الوقت المناسب وبالقدر المناسب وبالكيف المناسب. ولربما يعود هذا العجز إلى انشغال الجبهة العثمانية بنفسها في جهات متعددة. ولم تتمكن ألمانيا هي الأخرى أيضاً من إمداد حلفائها بما يحتاجونه. ولم تنجح القوة الألمانية التركية في تأمين طرق الاتصال وإبطال مفعول التدابير الإنجليزية التي حالت بين هذه القوى الدارفورية وبين حصولها على ما تحتاجه من مدد وسلاح حتى تؤدى دورها كاملاً. ولو قدر لها نلك لتغيرت معالم السياسة الدولية والأضمحي للسودان شأن آخر على المستوى المحلى والإقليمي بيد أن الرياح قد أتت بما لا تشتهي السفن فسقط المخلص الوطني وبقى الزبد الجفاء فصارت مقادير أهل السودان بيده وتحت أمرته وإرثاً في أيدي حفدته فلله الأمر من قبل ومن بعد.



- المصادر والمراجع - الملاحسق



1- **المسادر الأوليسسة** :-

- المادة الأرشيفية (غير منشورة):

1- المخابرات السودانية (3) SUDAN INTEL

Intel	1/1/1-5 (A) 1/30 1/70 (H.B)(R) 2/1/3 -7(B)(F) 2/3/12-14(D)(G)	خطابات من والى السلطان على دينار مــا بين (1899م-1916م) هذا بالإضافة إلـــى تقارير مخابرات، والمجموعات غير منظمة
		وتسمى (منوعات)
Intel	7/1/1-18(K.J)(3) 7/2/1-20(C)(2) 7/3/1-14(R.E)(1) 7/4/1-10(F.O)(4) 7/5/1-13 (D)(5)	خطابات من والى السلطان ما بين (1899–1916م) منظمة ومرتبة تاريخياً منوعات (1900–1914م)

2- أوراق ر. و. R.W. Papers

Intel	30/1-3 (F)(6)	تشمل مكاتبات رسمية وشخصية ويوميـــات
	31/1-5(W.C)(7)	ومنكرات مرتبة تاريخياً وتغطى الفترة من
	101/5,28-29	وسعرات مرب دريتو وتعني اعره س
	104/4-6(W.C)(8)	(1900–1916م)
	112/1 -	
	114/12(W.C)(9)	
	126/6	
	127/2-8(R.E)(10)	
	128/1-7	
	129/1-8(F.R)(7)	
	130/1-12(T.W)(3)	
	131/1-10(K.G)(12)	
	223/1-3 (H)(14)	

السلطان الشهديد عملي ديسنار

228/1-3(K.G)(5)	
2/1-3,(K.G)(16)	
234/5,6(T.R)(27)	
270/6,300)(C.W)(30)	
301/6(N.O)(31)	

3- أوراق: س. باشا Slat. Papers

121/1-5	1/1/1-5(S.R)(80)	خطابات رسمية وشخصية كسابقتها
403/6-16 260	1/30 (W) (90) 1/70(F.N)(91)	على وجه العموم
200	2/1/3-7(C.W)(111) 2/3/12-14(W.C)(131)	

4- أوراق. MAC

110/1-7 246/1-10 (M)(E)

5- وثائق مجلس الوزراء

(M.D) 1885 – 1869 (Z)15–1/3/104 (M.C) 1919 – 1899م (M.C)

- مطبوعات . SUD. INTEL. REP.

1- هي عبارة عن تقارير شهرية يبعث بها مدير المخابرات إلى سردار الجيش المصري ومن ثم إلى وزارة الحربية البريطانية. وهناك يتم طبعها وتوزيعها على الجهات المختصة بشؤون الأمن والمخابرات وكل تقرير منها يغطي شهراً. وقد تم الرجوع إلى التقارير في الفترة من 60 – 26 ما بين 25 مايو 1898 – 1916م.

. LONDON GAZETTE -2

- المصادر العربية و الأجنبية:

أ- الكتب العربية المطبوعة:-

- 1. إبراهيم فوزي: السودان بين يدي غردون وكتشنر. مصر القاهرة. مطبعة الآداب والمؤيد 1319هـ "جزأين".
- 2. أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي: الجغرافيا. تحقيق وتعليق إسماعيل العربي. لبنان بيروت. المكتب التجاري. الطبعة الأولى 1970م.
- 3. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء مصر القاهرة. المؤسسة المصرية للتأليف والنشر 1963م. 14 جزء.
- 4. سلاطين باشا: السيف والنار في السودان. السودان أم درمان. طبعة عالم الكتب 1978م.
- 5. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت 626 هـ): معجم البلدان. لبنان بيروت دار صابر. (1955 1957م). 5 مجلدات .
- 6. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808 هـ): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر: مصر القاهرة. دار الطباعة الخديوية ببولاق (1284هـ).
- 7. عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. تحرير ونشر أ. كوريللي و آخرين. المانيا برلين معهد الدراسات السشرقية (1970 1971م). جزءين .
- 8. لو ثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي: ترجمة عجاج نويهض، تحقيق وتعليق الأمير شكيب أرسلان لبنان بيروت. دار الفكر. الطبعة الثالثة 1971م. أربعة أجزاء.

- 9. محمد بن عمر بن سليمان التونسي: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان. تحقيق خليل محمود عساكر. مصطفى محمد مسعد مصر القاهرة. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. الطبعة الثالثة 1965م.
- 10. نعوم شقير: تاريخ السودان . تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم. لبنان بيروت دار الجيل. 1981م.

ب- الكتب الأجنبية المطبوعة:-

- 1. E. A. Wallis. Budge (1857 1934). Egyptian Sudan. Its History and Monuments 2. Vols. Oston Public Library. U.S.A- New York 1978.
- 2. Gustavo Nightingale: Sahara & Sudan. Wadi & Darfur Voyage (1874). Trans. By Allan. G. B. & Humphrey Fisher. 4. Vols:- England-. London (1971).
- 3. H. A. Macmicheal: A History of the Arabs in the Sudan & Account of the People Who Preceded Them of the Tribes Inhabiting Darfur. 2. Vols. England- Cambridge 1922.
- 4. W. S. Churchill: The River War. Third Ed. For Eyre & Sprits Wood Ltd. England London 1951.

2- المصادر الثبانوية: -

ج- المصادر العربية والأجنبية الحديثة:-

أ- العربية:-

- 1. توماس. و. أرنولد: الدعوة إلى الإسلام. ترجمة حسن إبراهيم، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي. مصر القاهرة. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثالثة (1947م).
- 2. الشاطر بصيلي عبد الجليل: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط. مصر
 القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1972م.

- 3. صلاح الدين محمد كردوس: جغرافية العمران في مديرية دارفور. السودان
 الخرطوم جامعة القاهرة فرع الخرطوم . 1977م.
- 4. عبد الكريم غرابية: دراسات في تاريخ أفريقية العربية (1918 1958م). سوريا
 دمشق. جامعة دمشق . الطبعة الأولى 1960م.
- 5. عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نسشأتها السي العصر الحديث لبنان بيروت. دار الثقافة للطبع والنشر 1967م.
- محمد عمر بشير: تاريخ الحركة الوطنية في السودان (1900 1969م). ترجمة هنري رياض ووليم رياض، الجنيد علي عمر. الـسودان الخرطـوم. جامعـة الخرطوم. 1980م.
- 7. محمد عوض: السودان الشمالي سكانه وقبائله. مصر القاهرة. لجنة التأليف والنشر 1951م.
- 8. محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة. مصر القاهرة دار الفكر العربي.
 الطبعة الأولى. 1948م.
- 9. موسى المبارك الحسن: تاريخ دارفور السياسي (1882 1898م) السودان الخرطوم. جامعة الخرطوم 1964م.
- 10. نقولا زيادة: صفحات مغربية. لبنان بيروت دار الطليعة. الطبعة الأولى. 1966م.
- 11. يونان لبيب رزق: السودان في عهد الحكم التسائي الأول (1898 1924م). مصر القاهرة. معهد البحوث والدراسات العربية 1976م.
 - ب- الأجسنبية:-
- 1. A. B. Theobald: Ali Dinar the Last Sultan of Darfur (1898-1916). England. Western Printing Service .Ltd. Bristol. 1965.
- 2. A. J. Arkell: A History of the Sudan from the Earliest Times to 1821. England London 1961.

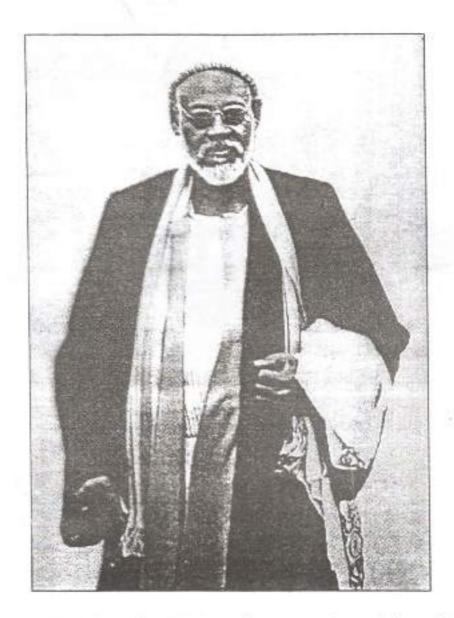
- 3. L. A. Fabunmy: The Sudan in Englo-Egyptian Relation A Case Study In Power Politics. England London. 1964.
- 4. P. M. Holt: A Modern History of the Sudan. From The Fung Sultanate to the Present Day. Third Ed. Redwood Burn. England London. 1974.
- 5. P. M. Holt: The History of The Sudan from the Coming of Islam to the Present .Day. Third Ed. England London. 1979.
- 6. Patricia Wright: Conflict On the Nile: The Fashoda Incident of 1898. First Ed. Cox and Wyman Ltd. England London 1972.
- 7. Rex Sean Ofahey: The Growth and Development of the Kiera Sultanates of Darfur. England London.
- 8. Omar. Al-Naqar: The Pilgrimage Tradition in the West African. Khartoum University Sudan Khartoum. 1972.

Periodicals

S. N.R. Khartoum:

- 1. A.C. Beaton, The Fur. Vol 29 Part 1 (1948) 1-38.
- 2. A.J. Arkell: Darfur Antiquities (1) Vol. 19 (1936) P. 301 10.
- 3. A. J. Arkell-The Coinage of Ali Dinar Vol 23 Part (1) (1940). P.151 60.
- 4. A.J. Arkell -The History of Darfur A.D 1200 1700. Vol.32. Part (1) (1951) P.38-68.
- 5. A. J. Arkell-The History of Darfur Ad 1200 1700 Vol. 33 (1950) P. 207 37.
- 6. G. B. Lampen, History of Darfur. Vol. 31 Part 2 (1950) P. 177 209.
- 7. J. E. H Boustead: The Youth and Last Days of Ali Dinar Vol. 22 (1939) P. 149 53.
- 8. Samuel Bey Atiya, Senin and Ali Dinar. Vol. 7 Part 2 (1924) 63-69.





شكل (1) عبد الرحمن المهدي ابن أخت السلطان علي دينار (ابنة عمه مقبولة)



شكل (2) هذه هي ابنة عم السلطان الشهيد علي دينار بن زكريا بن السلطان محمد الفضل: مقبولة بنت السلطان نورين بن السلطان محمد الفضل: وهي والدة عبد الرحمن المهدي والد المرحوم الهادي واحمد المهدي وجد كل من الصادق المهدي زعيم أحد أجنحة حزب الأمة وروجة حسن الترابي زعيم حزب المؤتمر الشعبي.



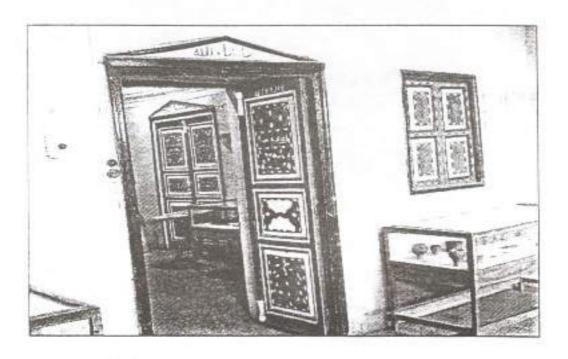
شكل (3) عبد الرحمن المهدي جد الصادق المهدي



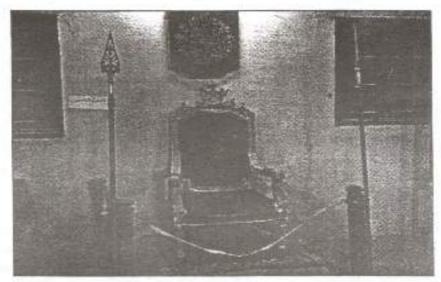
شكل (4) عبد الرحمن المهدي في زيارة للقاهرة



شكل (5) باب غرفة السلطان الشهيد (صورة يونيو2007م)



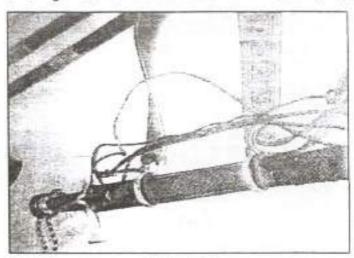
شكل (6) باب غرفة السلطان الشهيد (صورة يونيو2007م)



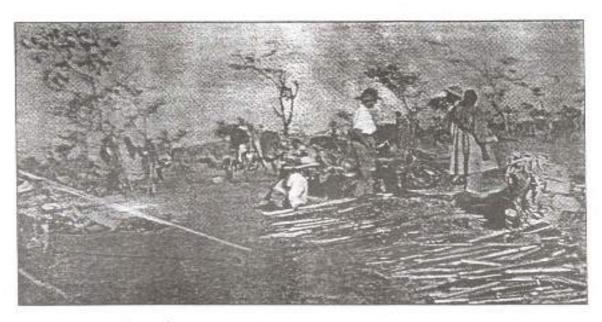
شكل (7) كرسي السلطان الشهيد علي دينار(صورة في يونيو 2007)



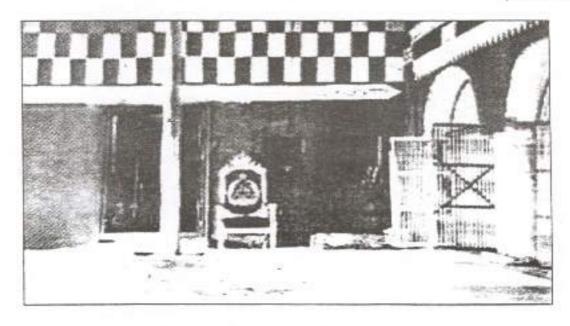
شــكل (8) بعض أسلحة السلطان الشهيد (صورة في يونيو 2007)



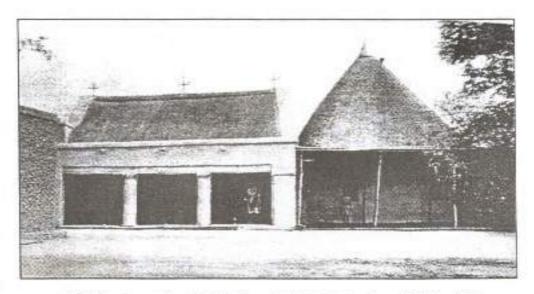
شكل (9)



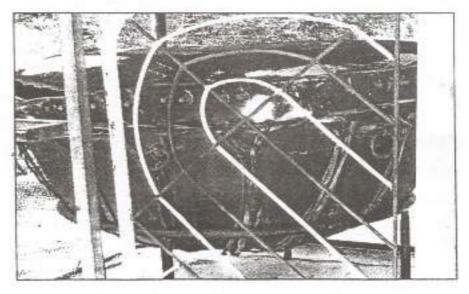
شكل (10) هذه اسلحة السلطان الشهيد علي دينار وريش النعام وأشياء أخرى التي تم جمعها بواسطة الانجليز بعد هزيمته مع بعض الأسري الذين ظهر بعضهم في الصورة، في كالمي في نوفمبر 1916م



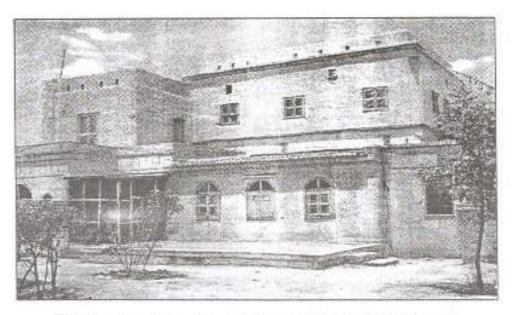
شكل (11) مجلس نساء السلطان الشهيد من الداخل



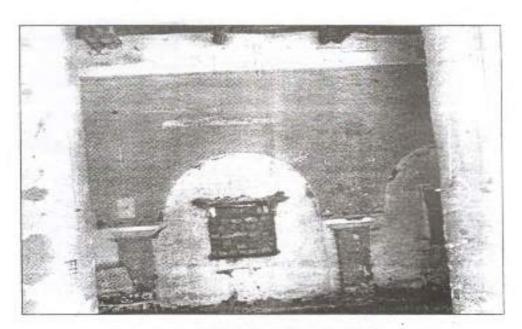
شكل (12) مجلس نساء السلطان داخل القصر في صيف 1916م



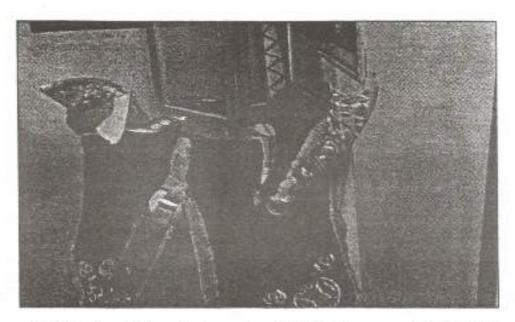
شكل (13) صورة لنحاس السلطان الشهيد (صورة في يونيو 2007)



شكل (14) قصر السلطان من الخارج (صورة في يونيو 2007)



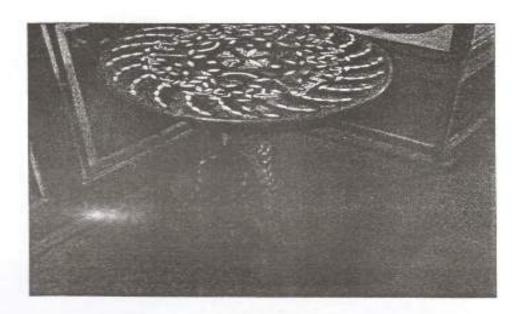
شكل (15) قصر السَّلطان علي دينار من الداخل (صورة في يونيو 2007)



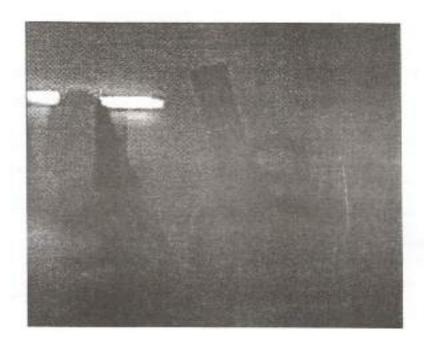
شكل (16) سرج حصان السلطان علي دينار (صورة في يونيو 2007)



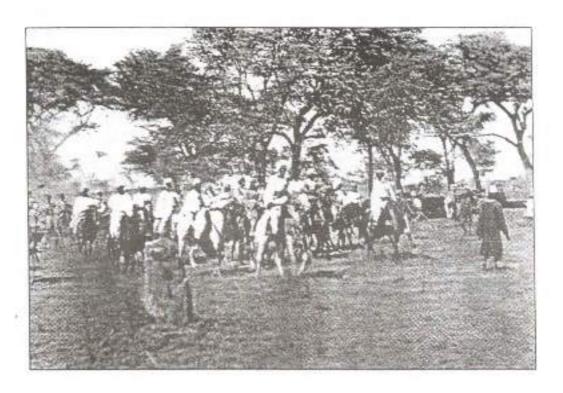
شكل (17) منضدة طعام السلطان علي دينار (صورة في يونيو 2007)



شكل (18) منضدة طعام السلطان الشهيد (صورة في يونيو 2007)



شكل (19) أدوات قهوة (الجبنة) السلطان الشهيد علي دينار (صورة في يونيو 2007)



شكل (20) ابن السلطان الشهيد على دينار



شكل (21) صورة جثمان السلطان الشهيد علي دينار بعد استشهاده في نوفمبر 1916م هو حوله جنود انجليز في كالمي

صورة مخطوط للسلطان الشهيد



الوثيقــة (1)

الوثيقة (2)

الوثيقـــة (3)

الوثيقة (4)

الوثيقـة (5)

الوثيقـــة (6)

الوثيقــة (7)

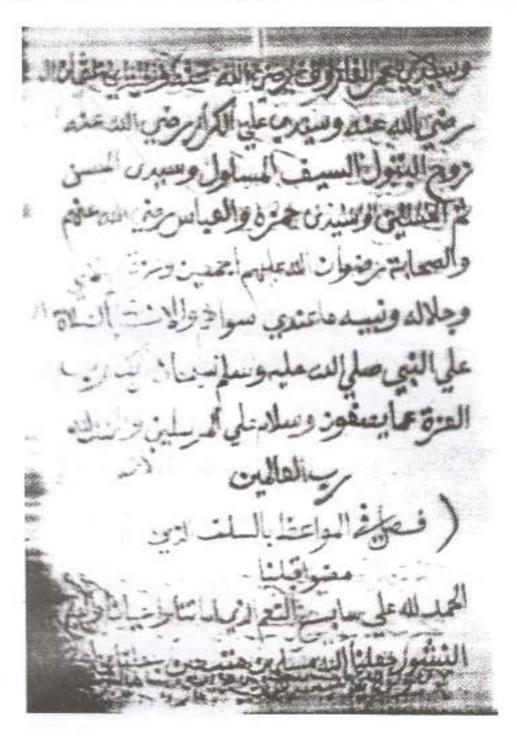
ز و من الاجهار والاسما ويال ع بعدماامأتشااحيا تاواليمالنشورحتن بريحت بلطفه بعدالجوع والعري والبنشنة والنعب كسأتا الدبلباسافاخرجيلاوطابت تتلويثا بعلاناتن من الظلمات إلى التوروعافان اللدمي فسلم ب ظلمنا ومع ذك بفتول نااللالماند بارتكاب المعامى حتراذا قنى الدجزاء ما فسلته وفنار مستو المالامورالتي جرت علينامي سابت الازل تقدي حدوثة الله وفرظهم فانظسا بارتها بالساب والفرش ولانتصف للمظلوم فالطالم ولانستنا لاصراهد بالتابين هواةالنقسروالعب والكرونسفهنابا مالياطل علك الدينا الباطرادة نعيمها فان وزاير متحب

الوثيقــة (8)

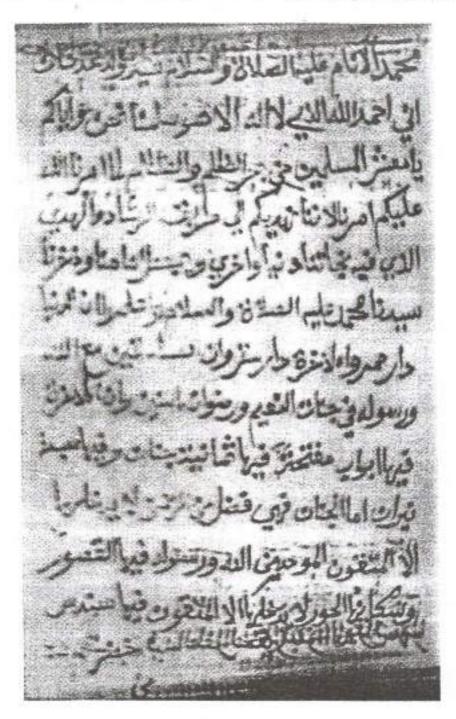
وخردون مى الاجار والاسما وياتر و عفية بعدمااماتنااحياناواليمالنيشور عني برة بلعلقه بعداليوع والعرب والبشنت والندب الله بلباسا فاخرجبلا وطابت تتارينا بعلاناتذ من الظلمات إلى التوروع فإنا اللدين فسله ب ظامنا ومع ذرك بفول الساليني نعاب المعاصي حتى اذا قنى المدجر إءما مسلند فنارحت لاالامورالتي جرت علينام سايت الازا تقديثا حرورالله وفترظلمشاا نقسابارتكاب الساسي اغرش ولانشصف للمظلوم مي الفالم ولا نستنا لاص المع بإتابين هواة النقسروالعب والكرونسقينا باحرالياطل بملك الدهيآ الباطلان تعيمها فاجه وزايل متحنب وامره ولزلا إفاتنا منوالاتعاب

الوثيقــة (9)

الوثيقـــة (10)



الوثيقــة (11)



الوثيقــة (12)

الوثيقـة (13)

الوثيقــة (14)

الوثيقــة (15)

الوثيقـــة (16)

والطراوا بتلعلعل والالسلاطين وإيناه السلاطية ا يعالهم ات والجعود والاباء إن خوافقر فين ابن شراد المدعاداين الفرودين كنعات إن فرعوز وعامان اين ويفلكوا الإرمزات من ولوا وعزلوه إرياالشاس عواللواعظ وعوها وانقتوا المدالت البيه تسنرون والجوع والبنشأي ارتحقهن التعب زعوالإنسان ليكوب جناولاإيوا ولاجنا بستاحزا يواجمع المعاشل

الوثيقــة (17)

سكان دارفورف فردا بتقوى الدالعظير عواد وحقيقة التقوي هي متثال الماس. والهواعن المنكروا فتمواان اذوا توالن توصية لفان لابنماذ قالديابي فالصلاة وامريالمعروف واندعن المتكوواصيرعلى ماساك ان د کان م عرصالاه

الوثيقــة (18)

الاصورفان كالمعدنة بدعة وعابدمة مناتة وكا والحريفتان العاللين

الوثيقــة (19)

